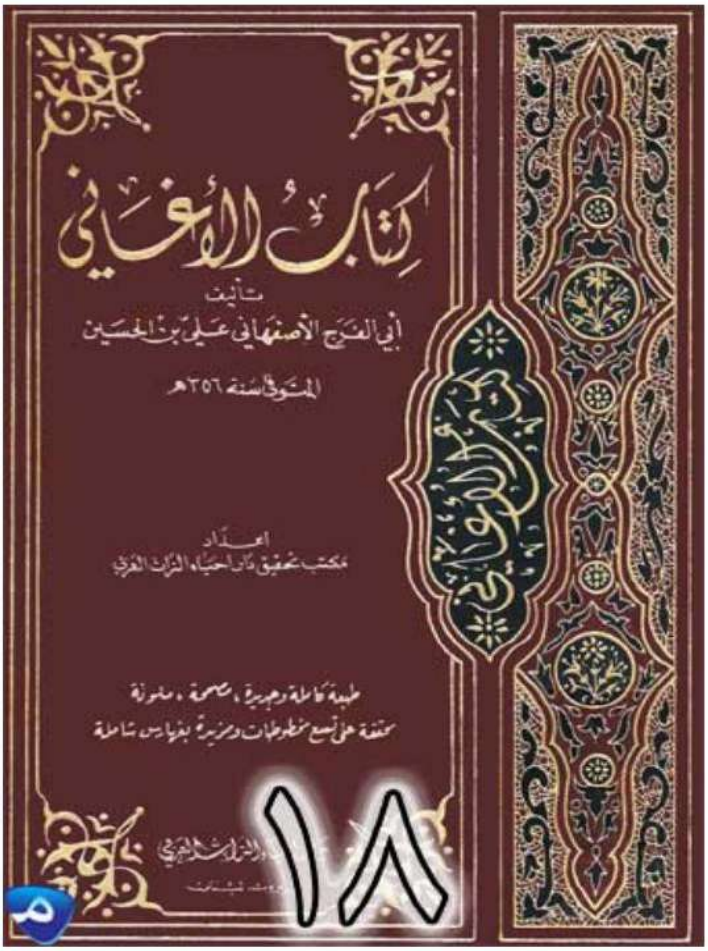

http://www.masaha.org

الأغاني

الجزء الثامن عشر

تأليف

ابو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

جميع الحقوق محفوظة لفريق مساحة حرة

http://www.masaha.org

الجزء الثامن عشر

تتمة التراجم

بِسْمِ اَللَّهِ اَلرَّحْمَنِ اَلرَّحِيمِ*

1-ذكر ذي الرمة و خبره

نسبه

اسمه غيلان بن عقبة بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ملكان بن عديّ بن عبد مناة بن أدّ طابخة بن إلياس بن مضر.

أقوال في سبب تلقيبه ذا الرمة

و قال ابن سلاّم: هو غيلان بن عقبة بن بهيش[1]بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة[2]بن ملكان.

و يكنى أبا الحارث، و ذو الرمة لقب. يقال: لقّبته به ميّة؛ و كان اجتاز بخبائها و هي جالسة إلى جنب أمها فاستسقاها ماء، فقالت لها أمها: قومي فاسقيه. و قيل: بل خرق إداوته لمّا رآها، و قال لها: اخرزي لي هذه، فقالت: و اللّه ما أحسن ذلك، فإني لخرقاء. قال: و الخرقاء التي لا تعمل بيدها شيئا لكرامتها على قومها، فقال لأمها: مريها أن تسقيني ماء، فقالت لها: قومي يا خرقاء فاسقيه ماء، فقامت فأتته بماء، و كانت على كتفه[3]رمّة؛ و هي قطعة من حبل، فقالت: اشرب يا ذا الرّمّة؛ فلقّب بذلك.

و حكى ابن قتيبة[4]أن هذه القصة جرت بينه و بين خرقاء العامريّة.

و قال ابن حبيب: لقّب ذا الرمة لقوله[5]: أشعث باقي رمّة التّقليد

/و قيل: بل كان يصيبه في صغره فزع، فكتبت[6]له تميمة، فعلّقها[7]بحبل، فلقّب بذلك ذا الرّمّة.

و نسخت من كتاب محمد بن داود بن الجرّاح: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات، عن محمد بن صالح العدويّ، عن أبيه، و عن أشياخه، و عدّة من أهل البادية من بني عديّ، منهم زرعة بن أذبول[8]و ابنه سليمان و أبو قيس و تميم/و غيرهم من علمائهم: [1]كذا في «المشتبه» ، و «القاموس» ، و «اللآلي» ، و «ابن خلكان» . و في «الأصول» : «نهيس» .

[2]جـ: «بن عمرو بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ثعلبة بن ربيعة» .

[3]جـ: «كفه» .

[4] «الشعر و الشعراء» 509.

[5] «اللسان» 15: 143، و «نوادر المخطوطات» لابن حبيب 301، و «الشعر و الشعراء» 508.

[6]ب، س: «فكتبت له أمه» .

[7]أ: «فتعلقها» .

[8]ب، س، ف: «دبول» .

أنّ أمّ ذي الرّمة جاءت إلى الحصين بن عبدة بن نعيم العدويّ[1]و هو يقرئ الأعراب بالبادية احتسابا بما يقيم لهم صلاتهم، فقالت له: يا أبا الخليل؛ إن ابني هذا يروّع بالليل، فاكتب لي معاذة أعلّقها على[2]عنقه، فقال لها: ائتيني برقّ أكتب فيه، قالت: فإن لم يكن، فهل يستقيم في غير رقّ أن يكتب له؟قال: فجيئيني بجلد[3]، فأتته بقطعة جلد غليظ، فكتب له معاذة فيه، فعلّقته في عنقه، فمكث دهرا. ثم إنها مرّت مع ابنها لبعض حوائجها بالحصين و هو جالس في ملأ من أصحابه و مواليه، فدنت منه، فسلّمت عليه، و قالت: يا أبا الخليل، أ لا تسمع قول غيلان و شعره؟قال: بلى. فتقدّم فأنشده، و كانت المعاذة مشدودة على يساره في حبل أسود، فقال الحصين: أحسن ذو الرمة؛ فغلبت عليه.

كان له إخوة كلهم شعراء

و قال الأصمعيّ: أمّ ذي الرمة امرأة من بني أسد يقال لها ظبية، و كان له إخوة لأبيه و أمّه شعراء منهم مسعود، و هو الذي يقول يرثي أخاه ذا الرمّة و يذكر ليلى بنته: إلى اللّه أشكو لا إلى الناس أنني # و ليلى كلانا موجع مات وافده[4]

/و لمسعود يقول ذو الرمة[5]:

صوت

أقول لمسعود بجرعاء مالك # و قد همّ دمعي أن تسحّ أوائله

ألا هل ترى الأظعان جاوزن مشرفا # من الرمل أو سالت بهنّ سلاسله[6]

غنّى فيه يحيى بن المكيّ[7]ثاني ثقيل بالوسطى، على مذهب إسحاق من رواية عمرو.

و مسعود الذي يقول[8]يرثي أخاه أيضا ذا الرمّة، و يرثي أوفى بن دلهم ابن عمه، و أوفى هذا أحد من يروى عنه الحديث.

و قال هارون بن[9]الزيات: أخبرني ابن حبيب، عن ابن الأعرابيّ، قال: كان لذي الرمة إخوة ثلاثة[10]: مسعود، و جرفاس، و هشام، كلّهم شعراء، و كان الواحد منهم يقول الأبيات فيبني عليها ذو الرمة أبياتا أخر، فينشدها الناس، فيغلب عليها لشهرته و تنسب إليه[11]: [1]جـ: «العذري» .

[2]ف: «في عنقه» .

[3]جـ: «بقطعة جلد» .

[4]جـ: «واحده» .

[5] «ديوانه» 466.

[6]ف: «أو حاذت... سوائله» . و مشرف: موضع، و سلاسل الرمل: ما انعقد و اتصل.

[7]ف: «يحيى المكي» .

[8]في ف: «يقول فيه أيضا» .

[9]ف: «بن محمد الزيات» .

[10]في ابن سلام: و كانوا إخوة ثلاثة: غيلان و أوفى و مسعود. و قال ابن قتيبة في «الشعر و الشعراء» : و كان لذي الرمة إخوة ثلاثة: هشام و أوفى و مسعود، فجعلهم أربعة إخوة.

[11] «ابن سلام» 481، و «شرح الحماسة» 2: 147، و «الكامل» 1: 153.

نعى الركب أوفى حين آبت ركابهم # لعمري لقد جاءوا بشرّ فأوجعوا[1]

نعوا باسق الأخلاق لا يخلفونه # تكاد الجبال الصّمّ منه تصدّع

/خوى المسجد المعمور بعد ابن دلهم # فأضحى بأوفى قومه قد تضعضعوا

تعزّيت عن أوفى بغيلان بعده # عزاء و جفن العين ملآن مترع

و لم تنسني أوفى المصيبات[2]بعده # و لكن نكاء القرح بالقرح[3]أوجع

و أخوه الآخر هشام، و هو ربّاه[4]، و كان شاعرا. و لذي الرمّة يقول: أ غيلان إن ترجع قوى الودّ بيننا # فكلّ الذي ولّى من العيش[5]راجع

فكن مثل أقصى الناس عندي فإنني # بطول التّنائي من أخي السوء قانع

يقول شعرا لأخيه هشام فيجيبه

و قال ذو الرمة لهشام أخيه[6]:

أغرّ هشاما من أخيه ابن أمّه # قوادم ضأن أقبلت و ربيع[7]

و هل تخلف الضأن الغزار أخا النّدى[8] # إذا حلّ أمر في الصّدور فظيع

/فأجابه هشام فقال:

إذا بان مالي من سوامك لم يكن # إليك و ربّ العالمين رجوع

فأنت الفتى ما اهتزّ في الزّهر النّدى[9] # و أنت إذا اشتدّ الزمان منوع[10]

ذو الرمة و أخوه مسعود يقولان شعرا في ظبية سنحت لهما

و ذكر المهلّبيّ[11]عن أبي كريمة النجويّ، قال: /خرج ذو الرمّة يسير مع أخيه مسعود بأرض الدّهناء، فسنحت لهما ظبية، فقال ذو الرمة[12]: أقول لدهناوية عوهج جرت # لنا بين أعلى برقة بالصّرائم[13]

[1]أ: «فأوجفوا» ، تصحيف.

[2]أ: «أوفى المصائب» .

[3]القرح: الجرح.

[4]ف: «رثاه» .

[5]ف: «من الدهر» .

[6] «ديوانه» 354.

[7]في «الديوان» : «قوادم ضأن يسرت و ربيع» .

[8] «الديوان» : «و لا تخلف... أخا الفتى» .

[9]ف: «ما اهتز في الدهر للندى» .

[10]ف: «هلوع» .

[11]ف: «الهشامي» .

[12] «ديوانه» 621.

[13] «الديوان» : «لنا بين أعلى عرفة بالصرائم» .

و دهناوية: ظبية من ظباء الدهناء. و الصرائم: الرمال. و عوهج: طويلة. و برقة: موضع.

أبا ظبية الوعساء بين جلاجل # و بين النّقا آنت أم أمّ سالم!

و قال مسعود[1]:

فلو تحسن التشبيه و النعت لم تقل # لشاة النّقا آنت أم أمّ سالم

جعلت لها قرنين فوق قصاصها[2] # و ظلفين مسودّين تحت القوائم

و قال[3]ذو الرمة[4]:

هي الشّبه لو لا مذرواها و أذنها # سواء و لو لا مشقة في القوائم[5]

و كان طفيليا

و كان ذو الرمّة كثيرا ما يأتي الحضر فيقيم بالكوفة و البصرة، و كان طفيليّا.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني الحسن بن عليّ، قال: حدثني ابن[6]سعيد الكنديّ، قال: سمعت ابن عيّاش يقول:

حدثني من رأى ذا الرمّة طفيليّا يأتي العرسات[7].

بعض صفاته

نسخت من كتاب محمد بن داود بن الجرّاح: حدثني هارون بن الزيات، قال: أخبرني محمد بن صالح العدويّ، قال: قال زرعة بن أذبول: كان ذو الرمّة مدوّر الوجه، حسن الشّعرة جعدها، أقنى، أنزع، خفيف العارضين، أكحل، حسن الضحك[8]، مفوّها، إذا كلمك كلّمك أبلغ الناس، يضع لسانه حيث يشاء.

قال حمّاد بن إسحاق: حدثني إدريس بن سليمان بن يحيى بن أبي حصفة، عن عمته عافية و غيرها من أهله: أنهم رأوا ذا الرمّة باليمامة عند المهاجر بن عبد اللّه شيخا أجنأ[9]سناطا[10]متساقطا.

و قال هارون[11]بن الزيات: حدثني عليّ بن أحمد الباهليّ، قال: حدثني ربيح النميريّ، قال: اجتمع الناس مرة و تحلّقوا على ذي الرمة، و هو ينشدهم، فجاءت أمه فاطّلعت من بينهم فإذا رجل قاعد و هو [1]ف: «فقال له مسعود» .

[2]قصاص الشعر: حيث تنتهي نبتته من مقدمه أو مؤخره. («القاموس») .

[3]ف «فقال» .

[4] «ديوانه» 622.

[5] «الديوان» : «إلا مدرييها و أذنها... و إلا مشقة، و في أ: ... إلا مذرييها» ، و المذروان من الرأس: ناحيتاه. و المدري: القرن.

و المشقة: الرقة أو فرجة في قوائمها.

[6]ف: «حدثني علي بن سعيد» .

[7]العرسات: جمع عرس، بالضم و بضمتين: طعام الوليمة.

[8]جـ: «حسن المضحك» .

[9]الأجنأ: من يشرف كاهله على صدره.

[10]السناط، بالكسر و الضم: الخفيف العارض، أو الذي لا لحية له أصلا.

[11]جـ: «هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات» .

ذو الرمة. و كان دميما شختا[1]أجنأ فقالت أمه: استمعوا إلى شعره، و لا تنظروا إلى وجهه.

قال هارون: و أخبرني يعقوب بن السكّيت، عن أبي عدنان، قال: أخبرني أسيد الغنويّ، قال: /سمعت بباديتنا من قوم هضبوا في الحديث[2]أنّ ذا الرّمّة كان ترعيّة[3]، و كان كناز اللحم مربوعا قصيرا، و كان أنفه ليس بالحسن.

الفرزدق و جرير يحسدانه

أخبرني ابن عمّار، عن سليمان بن أبي[4]شيخ، عن أبيه، عن صالح بن سليمان قال: كان الفرزدق و جرير يحسدان ذا الرمّة، و أهل البادية يعجبهم شعره.

كان صالح بن سليمان راوية لشعره

قال: و كان صالح بن سليمان راوية لشعر ذي الرمّة، فأنشد يوما قصيدة له، و أعرابيّ من بني عديّ يسمع، فقال: أشهد عنّك-أي أنّك-لفقيه تحسن ما تتلوه[5]، و كان يحسبه قرآنا.

إعجاب الكميت بشعره

نسخت من كتاب محمد بن داود: و حدثني هارون بن الزيات، عن محمد بن صالح العدويّ، قال: قال حمّاد الراوية: قال الكميت حين سمع قول ذي الرمة[6]:

أعاذل قد أكثرت من قول قائل # و عيب على ذي الودّ[7]لوم العواذل

/هذا و اللّه ملهم، و ما علم بدويّ بدقائق[8]الفطنة و ذخائر كنز العقل المعدّ لذوي الألباب!أحسن ثم أحسن.

قال محمد بن صالح: و حدثني محمد بن كناسة بذلك عن الكميت، و قال: /لما أنشده قوله في هذه القصيدة[9]:

دعاني و ما داعي الهوى من بلادها # إذا ما نأت خرقاء عنّي بغافل

فقال الكميت: للّه بلاد هذا الغلام!ما أحسن قوله!و ما أجود وصفه!و لقد شفع[10]البيت الأول بمثله في [1]أ: «و كان ذميما شيخا» . و الشخت: الدقيق الضامر خلقة لا هزالا.

[2]هضب الرجل في الحديث: أفاض. و في حـ: «هضبوا الحديث» .

[3]رجل ترعية بالتشديد، و قد يخفف: يجيد رعية الإبل.

[4]ف: «أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمار، عن أحمد بن سليمان بن أبي شيخ» .

[5]ف: «ما تلوته» .

[6] «ديوانه» 500.

[7]في «الديوان» : «و عيب على ذي اللب» .

[8]ف: «بدقائق فهم الفطنة» .

[9] «ديوانه» 492.

[10]جـ: «شيع» .

جودة الفهم و الفطنة، و قال[1]قول مستسلم.

قال ابن كناسة: و قال لي حمّاد الراوية: ما أخّر القوم ذكره إلاّ لحداثة سنّه، و أنهم حسدوه.

آراء قيلت في شعره

قال محمد بن صالح: و قال لي خالد بن كلثوم و أبو عمرو: قال أبو حزام و أبو المطرّف[2]:

لم يكن أحد من القوم في زمانه أبلغ من ذي الرمة، و لا أحسن جوابا؛ كان كلامه أكثر من شعره.

و قال الأصمعيّ: ما أعلم أحدا من العشّاق الحضريّين و غيرهم شكا حبّا أحسن من شكوى ذي الرمّة، مع عفّة و عقل رصين.

قال: و قال أبو عبيدة:

ذو الرمة يخبر فيحسن الخبر، ثم يردّ على نفسه الحجّة من صاحبه[3]فيحسن الردّ، ثم يعتذر فيحسن التخلص، مع حسن إنصاف و عفاف في الحكم.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أبو أيوب المدينيّ، قال: حدثنا الفضل بن إسحاق الهاشميّ، عن مولًى لجدّه، قال:

رأيت ذا الرمة بسوق المربد، و قد عارضه رجل يهزأ به، فقال له: يا أعرابيّ، أتشهد بما لم تر؟قال: نعم، قال: بما ذا؟قال: أشهد أنّ أباك ناك أمّك.

/أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ، قال: حدثني عمّي عبيد اللّه، عن ابن حبيب، عن عمارة بن عقيل، قال:

كان جرير عند بعض الخلفاء، فسأله عن ذي الرمّة، فقال: أخذ من طريف الشعر و حسنه[4]ما لم يسبقه إليه أحد غيره.

أخبرني وكيع[5]، عن حماد بن إسحاق، قال: قال حماد الراوية:

قدم علينا ذو الرمة الكوفة، فلم أر أفصح و لا أعلم بغريب منه.

نسخت من كتاب ابن النطّاح: حدثني أبو عبيدة، عن أبي عمرو، قال: ختم الشّعر بذي الرمة، و ختم الرّجز برؤبة.

قال: فما تقول في هؤلاء الذين يقولون؟قال: كلّ على غيرهم؛ إن قالوا حسنا فقد سبقوا إليه، و إن قالوا قبيحا فمن عندهم.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز، عن المدائنيّ، عن بعض أصحابه، عن حمّاد الرّاوية، قال:

[1]ف: «فقال» .

[2]جـ: ... و أبو عمرو علي بن حزام و أبو المطرف.

[3]ج: «من صاحبته» .

[4]جـ: «و وحشيه» .

[5]حـ: «محمد بن خلف وكيع. قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه... » .

أحسن الجاهلية تشبيها امرؤ القيس، و ذو الرمة أحسن أهل الإسلام تشبيها.

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ، عن عمه عبيد اللّه، عن ابن حبيب، عن عمارة بن عقيل: أنّ جريرا و الفرزدق اتّفقا عند خليفة من خلفاء بني أميّة، فسأل كلّ واحد منهما على انفراد[1]عن ذي الرمة، فكلاهما قال: أخذ من طريف الشعر و حسنه[2]ما لم يسبقه إليه غيره، فقال الخليفة: أشهد لاتفاقكما[3]فيه أنه أشعر منكما جميعا.

/أخبرني جحظة[4]، عن حماد بن إسحاق، قال: حدثني أبي قال: أنشد الصّيقل شعر ذي الرمة فاستحسنه، و قال: ما له قاتله اللّه!ما كان إلاّ ربيقة، هلاّ عاش قليلا[5]!.

و قال هارون بن محمد: أخبرني عليّ بن أحمد الباهليّ، قال: حدثني محمد بن إسحاق البلخيّ، عن سفيان ابن عيينة، عن ابن شبرمة، قال: سمعت ذا الرمة يقول: إذا قلت: كأنّه، ثم لم أجد مخرجا فقطع[6]اللّه لساني.

/قال هارون: و حدثني[7]العباس بن ميمون طائع، قال: قال الأصمعيّ: كان ذو الرمّة أشعر الناس إذا شبّه، و لم يكن بالمفلق.

و حدثني أبو خليفة، عن محمد بن سلاّم، قال: كان لذي الرمة حظّ في حسن التشبيه لم يكن لأحد من الإسلاميين، كان[8]علماؤنا يقولون: أحسن الجاهلية تشبيها امرؤ القيس، و أحسن أهل الإسلام تشبيها ذو الرّمة.

لقاؤه بمية و شغفه بها

أخبرني محمد بن يزيد قال: حدثنا حماد، عن أبيه، عن أبي عقيل عمارة بن عقيل، عن عمته أم القاسم ابنة بلال بن جرير، عن جارية كانت لأم ميّ، قالت: كنا نازلين بأسفل الدهناء، و كان رهط ذي الرّمة مجاورين لنا، فجلست مية-و هي حينئذ فتاة حين نهد ثدياها أحسن من رأيته-تغسل ثيابا لها و لأمها في بيت منفرد، و كان بيتا رثّا قد أخلق، ففيه خروق، فلما فرغت و لبست ثيابها جاءت فجلست عند أمها، فأقبل ذو الرّمة حتى دخل إلينا، ثم سلّم، و نشد ضالّة و جلس ساعة ثم خرج.

فقالت مية: إني لأرى هذا العدويّ[9]قد رآني منكشفة و اطلع عليّ من/حيث لا أدري؛ فإنّ بني عديّ[10]أخبث قوم في الأرض، فاذهبي فقصّي

أثره، فخرجت فوجدته ما يثبت مقامه، فقصصت أثره ثانية حتى رأيته و قد تردد أكثر [1]أ: «انفراده» .

[2]ف: «و وحشيه» .

[3]ف: «أشهد على اتفاقكما» .

[4]حـ: «أحمد بن جعفر جحظة» .

[5]حـ: «ما كان إلا زنبقة، ألا عاش قليلا!و الربقة: العروة من الحبل، و تصغيرها ربيقة.

[6]حـ: «و لم أجد فقطع» .

[7]حـ: «و حدثني محمد بن العباس» .

[8]جـ: «و كان» .

[9]في «المختار» : «العذري» .

[10]في «المختار» : «بني عذرة» .

من ثلاثين طرقة[1]، كل ذلك يدنو فيطّلع إليها، ثم يرجع على عقبيه، ثم يعود فيطلع إليها، فأخبرتها بذلك، ثم لم تنشب أن جاءنا شعره فيها من كل وجه و مكان[2].

رواية أخرى في ذلك

و ذكر عليّ بن سعيد بن بشر الرازيّ: أن هارون بن مسلم بن سعد حدّثه عن حسين[3]بن براق الأسديّ، عن عمارة بن ثقيف، قال: حدثني ذو الرّمة أنّ أول ما قاد المودّة بينه و بين ميّة أنه خرج هو و أخوه و ابن عمه في بغاء إبل لهم، قال: بينا[4]نحن نسير إذ وردنا على ماء و قد أجهدنا العطش، فعدلنا إلى حواء[5]عظيم، فقال لي أخي و ابن عمي: ائت الحواء فاستسق لنا[6]، فأتيته و بين يديه في رواقه عجوز جالسة. قال: فاستسقيت، فالتفتت وراءها فقالت: يا ميّ، اسقي هذا الغلام، فدخلت عليها فإذا هي تنسج[7]علقة لها، و هي تقول: يا من يرى[8]برقا يمرّ حينا # زمزم رعدا و انتحى يمينا[9]

كأنّ في حافاته حنينا[10] # أو صوت خيل ضمّر يردينا

قال: ثم قامت تصبّ في شكوتي[11]ماء، و عليها شوذب[12]لها، فلما/انحطّت على القربة رأيت مولّى لم أر أحسن منه، فلهوت بالنظر إليها، و أقبلت تصبّ الماء في شكوتي و الماء يذهب يمينا و شمالا. قال: فأقبلت عليّ العجوز «[13]و قالت: يا بنيّ ألهتك ميّ عما بعثك أهلك له، أما ترى الماء يذهب يمينا و شمالا!» [13]فقلت: أما و اللّه ليطولنّ هيامي بها.

قال: و ملأت شكوتي، و أتيت أخي و ابن عمي، و لففت رأسي، فانتبذت ناحية، و قد كانت ميّ قالت: لقد كلّفك أهلك السّفر على ما أرى من صغرك و حداثة سنك، فأنشأت أقول[14]: قد سخرت[15]أخت بني لبيد # منّي و من سلم و من وليد[16]

[1]طرقة: مرّة من الطرق.

[2]انفردت ف بهذا الخبر.

[3]ف: «غصين بن براق» .

[4]ف: «فبينا» .

[5]في المختار: «خباء» . و الخبار و الحواء، ككتاب: جماعة البيوت المتدانية.

[6]ف: «فاستسق لنا ماء» .

[7]في «المختار» : «تمسح علقة لها» . و في ف: «تنسج شقة لها» . و العلقة: قميص بلا كمين، و قيل: ثوب صغير يتخذ للصبي.

[8]في «المختار» : «رأى» .

[9]في «المختار» : «... على يبرينا... و انتحى حنينا» .

[10] «المختار» : «جنينا» .

[11]الشكوة: وعاء من أدم الماء و اللبن.

[12]الشوذب: ثوب طويل.

(13-13) من أ، ف، و المختار.

[14] «ديوانه» 57.

[15] «الديوان» : «قد عجبت» .

[16] «الديوان» : «و هزئت مني و من مسعود» .

رأت غلامي سفر بعيد # يدّرعان اللّيل ذا السّدود[1]

مثل ادّراع اليلمق[2]الجديد

قال: و هي أول قصيدة قلتها ثم أتممتها: هل[3]تعرف المنزل بالوحيد

ثم مكثت أهيم بها في ديارها عشرين سنة.

ذو الرمة و زوج ميّ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، عن النوفليّ[4]، قال: سمعت أبي يقول: ضاف ذو الرّمة[5]زوج ميّ في ليلة ظلماء، و هو طامع في ألاّ يعرفه زوجها، فيدخله بيته[6]، فيراها و يكلّمها، ففطن له الزّوج و عرفه فلم يدخله، و أخرج إليه/قراه، و تركه بالعراء[7]، و قد عرفته ميّة؛ فلما كان في جوف الليل تغني غناء الرّكبان قال[8]: أ راجعة يا ميّ أيامنا الألى # بذي الأثل أم لا، ما لهنّ رجوع!

فغضب زوجها، و قال: قومي فصيحي به: يا بن الزانية، و أيّ أيام كانت لي[9]معك بذي الأثل!فقالت: يا سبحان اللّه، ضيف، و الشاعر يقول! فانتضى السيف، و قال: و اللّه لأضربنّك به حتى آتي عليك أو تقولي[10]، فصاحت به كما أمرها زوجها، فنهض على[11]راحلته، فركبها و انصرف عنها مغضبا يريد أن يصرف مودّته عنها إلى غيرها.

قال شعرا في خرقاء يغيظ به ميّا

فمرّ بفلج في ركب، و بعض أصحابه يريد/أن يرقع خفّه، فإذا هو بجوار خارجات من بيت يردن آخر، و إذا خرقاء فيهنّ-و هي امرأة من بني عامر- فإذا جارية حلوة شهلاء[12]، فوقعت عين ذي الرّمة عليها، فقال لها: يا جارية، أ ترقعين لهذا الرجل خفّه؟فقالت تهزأ به: أنا خرقاء لا أحسن أن أعمل؛ فسمّاها خرقاء، و ترك ذكر ميّ؛ يريد أن يغيظ بذلك ميّا. فقال فيها قصيدتين أو ثلاثا، ثم لم يلبث أن مات.

[1]يدرعان: يلبسان. و السدود: الظلمات.

[2]اليلمق: القباء، فارسي معرب.

[3] «الديوان» : 15، و أولها:

ألا يا دارميّة بالوحيد # كأن رسومها قطع البرود

[4]حـ: «حدثني علي بن محمد النوفلي» .

[5]أي نزل ذو الرمة ضيفا عليه.

[6]ف: «بيته و يقريه» .

[7]ف: «و تركه بالعراء و راحلته» .

[8] «ديوانه» 352 و روايته في «الديوان» : «أيامنا التي... بذي الرمث» .

[9]ف: «كانت لنا» .

[10]ف: «أو لتقولن» ، و في المختار: «أو لتقولين» .

[11]ف: «إلى راحلته» .

[12]الشهل، محركة و بالضم: أقل من الزرق في الحدقة و أحسن منه. («القاموس») .

لقاؤه بجرير و المهاجر بن عبد اللّه

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حمّاد، عن الأصمعيّ، عن عمارة بن عقيل، قال: قال جرير: خرجت مع المهاجر بن عبد اللّه إلى حجّة، فلقينا ذا الرّمة، فاستنشده المهاجر فأنشده[1]: و من حاجتي لو لا التّنائي و ربّما # منحت الهوى من ليس بالمتقارب

/عطابيل بيض من ربيعة عامر # عذاب الثنايا مثقلات الحقائب[2]

يقظن الحمى و الرّمل منهنّ محضر[3] # و يشربن ألبان الهجان النجائب

فالتفت إليّ المهاجر، و قال: أ تراه مجنونا!.

رأي لجرير في بيت قاله

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: أخبرنا أبو البيداء الرّياحيّ، قال: قال جرير: قاتل اللّه ذا الرمّة حيث يقول[4]: و منتزع من بين نسعيه جرّة[5] # نشيج الشّجا جاءت إلى ضرسه نزرا[6]

أما و اللّه لو قال: «ما بين جنبيه» لما كان عليه من سبيل.

جرير و أبو عمرو بن العلاء يصفان شعره

أخبرني الطوسيّ و حبيب[7]المهلبيّ، عن ابن شبّة، عن أبي غزالة[8]، عن هشام بن محمد الكلبيّ، عن رجل من كندة، قال: سئل جرير عن شعر ذي الرمة فقال: بعر ظباء، و نقط عروس، يضمحلّ[9]عن قليل.

أخبرني أبو خليفة، عن ابن سلاّم، قال: كان أبو عمرو بن العلاء يقول: إنما شعر ذي الرّمة نقط[عروس يضمحل عن قليل][10]و أبعار لها مشمّ في أول شمّة[11]، ثم تعود إلى أرواح البعر.

الفرزدق يعجب بشعره و لا يعده من فحول الشعراء

قال أبو زيد بن شبة: قال أبو عبيدة: [1] «ديوانه» 56.

[2]في «الديوان» : ... من دؤابة عامر... رقاق الثنايا مشرفات الحقائب.

و عطابيل: بيض طوال حسان.

[3]في «الديوان» : ... منهن مربع، و الهجان: الكرام. و النجائب: الكرام من الإبل. و يقظن: ينزلنه في القيظ، و في أ: «يعظن» .

[4] «ديوانه» 273.

[5]ف: «درة» .

[6]أ: «نزر» .

[7]ف: «و حبيب بن نصر المهلبي» .

[8]ف: «ابن غزالة» .

[9]ف: «أي يضمحل عن قريب» .

[10]من ابن سلام.

[11]ابن سلام: «شمها» . ـ

/وقف الفرزدق على ذي الرمّة و هو ينشد قصيدته (الحائية) [1]التي يقول فيها[2]: إذا ارفضّ أطراف السّياط و هلّلت # جروم المطايا عذّبتهنّ صيدح[3]

فقال[4]ذو الرمة: كيف تسمع يا أبا فراس؟قال: أسمع حسنا، قال: فما لي لا أعدّ في الفحول من الشعراء؟ قال: يمنعك من ذلك و يباعدك[5]ذكرك الأبعار و بكاؤك الديار، ثم قال[6]: و دويّة لو ذو الرّميمة رامها[7] # لقصّر عنها ذو الرّميم و صيدح[8]

قطعت إلى معروفها منكراتها # إذا اشتدّ آل الأمعز المتوضّح[9]

و قال عمر بن شبّة في هذا الخبر: فقام إليه ذو الرمة فقال: أنشدك اللّه أبا فراس أن تزيد عليهما شيئا، فقال: إنهما بيتان، و لن أزيد عليهما شيئا.

قال: و كان عمر بن شبة يقول عمن أخبره عن أبي عمرو[10]: إنما شعره نقط عروس تضمحل عمّا قليل، و أبعار ظباء لها مشمّ في أول شمها، ثم تعود إلى أرواح الأبعار[11].

كان هواه مع الفرزدق على جرير

و كان[12]هوى ذي الرّمّة مع الفرزدق على جرير؛ و ذلك لما كان بين جرير و ابن لجأ/التّيميّ، و تيم و عديّ أخوان من الرّباب، و عكل أخوهم، و لذلك يقول جرير لعكل[13].

فلا يضغمنّ الليث عكلا بغرّة # و عكل يشمّون الفريس المنيّبا

الفريس هاهنا ابن لجأ، و كذلك يفعل السبع[14]إذا ضغم[15]شاة ثم طرد عنها، أو سبقته، أقبلت/الغنم [1]كذا في ف.

[2] «ديوانه» 87.

[3]ارفض: تفرق من العراق. و الجرم: الجسد، و هللت جرومها: صارت كالأهلة من الهزال. و صيدح: اسم ناقة ذي الرمة.

[4]ف: «ثم قال» .

[5]ف: «و يتقاعد بك» .

[6] «ديوانه» 147.

[7]ف: «أمها» ، و الدوّبة: المفازة.

[8]س: «ذو الرماء» ، و في «الديوان» .

بصيدح أودي ذو الرميم و صيدح

و ذو الرميمة، تصغير ذي الرمة، و رامها بصيدح: ابتغى قطعها بناقته صيدح.

[9]ف: «إذا امتد» . و في «ابن سلام» 469، و «الديوان» : إذا خب آل دونها يتوضح

الأمعز: المكان الصلب الكثير الحصى. المتوضح: المستبين.

[10]أ: «قال: و كان أبو عمرو يقول» .

[11]ف: «البعر» .

[12]ابن سلام 46.

[13] «ديوانه» : 14، و ابن سلام 469.

[14]ف: «الليث» .

[15]ضغم السبع الشاة: عضها، أو عضها دون النهش.

تشمّ موضع الضّغم، فيفترسها[1]السبع، و هي تشم، و لذلك قال جرير لبني عديّ[2]: و قلت نضاحة لبني عديّ # ثيابكم و نضح دم القتيل[3]

يحذّر عديّا ما لقي ابن لجأ.

الفرزدق ينتحل أبياتا له

أخبرني أبو خليفة، عن ابن سلام[4]أنّ أبا يحيى الضبيّ قال: قال ذو الرمّة يوما: لقد قلت أبياتا إنّ لها لعروضا و إن لها لمرادا و معنى بعيدا. قال له الفرزدق: ما هي؟قال: قلت[5]: أ حين أعاذت بي تميم نساءها[6] # و جرّدت تجريد اليماني من الغمد

و مدّت بضبعيّ الرّباب و مالك # و عمرو و شالت من ورائي بنو سعد

و من آل يربوع زهاء كأنّه # زها اللّيل[7]محمود النّكاية و الرّفد

فقال له الفرزدق: لا تعودنّ فيها، فأنا أحقّ بها منك، قال: و اللّه/لا أعود فيها و لا أنشدها أبدا إلاّ لك؛ فهي قصيدة الفرزدق التي يقول فيها[8]: و كنّا إذا القيسيّ نبّ عتوده # ضربناه فوق الأنثيين على الكرد[9]

-الأنثيان: الأذنان. و الكرد: العنق-.

و روى هذا الخبر حمّاد عن أبيه، عن أبي عبيدة، عن الضحاك الفقيميّ[10]قال: بينا أنا بكاظمة و ذو الرمّة ينشد قصيدته التي يقول فيها: أ حين أعاذت بي تميم نساءها[11]

إذا راكبان قد تدلّيا من نقب[12]كاظمة مقنّعان فوقفا، فلما فرغ ذو الرمّة حسر الفرزدق عن وجهه و قال لراويته[13]: يا عبيد، اضمم إليك[14]هذه الأبيات. قال له ذو الرمة: نشدتك اللّه يا أبا فراس!فقال له: أنا أحقّ بها منك، و انتحل منها هذه الأربعة الأبيات.

[1]ف: «فيغترها» .

[2]البيت في «ديوانه» 437.

[3]نضاحة، أي نضحا. و النضح: الرشاش يصيب الثوب من دماء أو ماء.

[4]ف: «حدثنا أبو عبد اللّه بن سلام قال» .

[5]ابن سلام 470، و «الموشح» 169، 170، 171، و «ديوان ذي الرمة» 142.

[6]س: «نساءهم» . و المثبت في أ، ج، و ابن سلام، و في «الموشح» ، و «ديوان ذي الرمة» 142.

[7] «ديوانه» : «دجا الليل» .

[8] «ديوانه» 21 و «اللسان» (كرد) ، و «المعرب» 279، و «الموشح» 170، و ابن سلام 471.

[9]س: «و كان... إلى الكرد» ، و المثبت من المراجع السابقة. و العتود: الجدي القوي.

[10]ف: «عن الضحاك بن القاسم» .

[11]س: «نساءهم» .

[12]ف: «بيت» .

[13]حـ: «للراوية» .

[14]جـ: «اضمم هذه» .

المهاجاة بينه و بين هشام المرئي

حدّثنا محمد، قال: حدثنا أبو الغرّاف، قال:

مرّ ذو الرمّة بمنزل لامرئ القيس بن زيد مناة يقال له: مرأة[1]، به نخل، فلم ينزلوه و لم يقروه، فقال[2]: نزلنا و قد طال[3]النهار و أوقدت # علينا حصى المعزاء[4]شمس تنالها

أنخنا فظلّلنا بأبراد يمنة # عتاق و أسياف قديم صقالها[5]

/فلما رآنا أهل مرأة أغلقوا # مخادع لم ترفع لخير ظلالها[6]

و قد سمّيت باسم امرئ القيس قرية # كرام صواديها لئام رجالها[7]

فلجّ الهجاء بين ذي الرّمة و بين هشام المرئيّ، فمرّ الفرزدق بذي الرمة و هو ينشد[8]:

صوت

وقفت على ربع لميّة ناقتي # فما زلت أبكي عنده و أخاطبه

و أسقيه حتى كاد مما أبثّه # تكلّمني أحجاره و ملاعبه

غنّى[9]فيه إبراهيم ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر، و سيأتي خبره بعد؛ لئلا ينقطع هذا الخبر.

فقال له الفرزدق: ألهاك البكاء[10]في الديار، و العبد يرتجز[11]بك في المقابر[12]، يعني هشاما.

و كان[13]ذو الرّمّة مستعليا هشاما حتى لقي جرير هشاما، فقال: غلبك العبد، يعني ذا الرّمة، قال: فما أصنع يا أبا حزرة، و أنا راجز و هو يقصّد، و الرّجز لا يقوم للقصيد في الهجاء؟و لو رفدتني[14]، فقال جرير-لتهمته ذا الرّمّة [1]ابن سلام 471.

[2] «ديوانه» 542.

[3]ف: «و قد طاب النهار» ، و في «الديوان» : «و قد غار النهار» .

[4]المعزاء: الأرض الصلبة ذات الحصى.

[5]في «الديوان» :

بنينا علينا ظل أبراد يمنة # على سمك أسياف قديم صقالها

اليمنة: ضرب من برود اليمن.

[6]في «الديوان» : «فلما دخلنا جوف مرأة غلفت... دساكر.... » .

و الدساكر: جمع دسكرة، و هي بناء كالقصر، حوله بيوت الأعاجم، يكون فيها الشراب و الملاهي، أراد بها هاهنا البيوت عامة.

[7]سميت مرأة باسم امرئ القيس. و الصوادي: جمع صادية؛ و هي النخل التي بلغت عروقها الماء و طالت، فهي لا تحتاج إلى سقي.

و في أ: «كدام صواديها» .

[8] «ديوانه» 38، ابن سلام 472.

[9]أ: «غناه إبراهيم» .

[10]في ابن سلام: «التبكاء» .

[11]في ابن سلام: «يرجز بك» .

[12]في حـ، و ابن سلام: «في المقبرة» .

[13]ابن سلام 473.

[14]حـ، و ابن سلام: «فلو رفدتني» ، و رفده: أعانه.

بالميل[1]/إلى الفرزدق-: قل له[2]:

/

غضبت لرجل من عديّ تشمّسوا # و في أيّ يوم لم تشمّس رجالها[3]

و فيم عديّ عند تيم من العلا # و أيامنا اللاّتي تعدّ فعالها

و ضبّة عميّ يا ابن جلّ[4]فلا ترم # مساعي قوم ليس منك سجالها[5]

يماشي عديّا لؤمها، لا تجنّه # من الناس ما مسّت عديّا ظلالها[6]

فقل لعديّ تستعن بنسائها # عليّ فقد أعيا عديّا رجالها

أ ذا الرّمّ قد قلّدت قومك رمّة # بطيئا بأمر المطلقين انحلالها

قال أبو عبد اللّه: فحدثني أبو الغرّاف، قال: لما بلغت الأبيات ذا الرمة قال: و اللّه ما هذا بكلام[7]هشام، و لكنه كلام ابن الأتان[8].

أخبرنا أبو خليفة، قال: حدثنا ابن سلاّم، قال: و حدثني[9]أبو البيداء قال: لما سمعها[10]قال: هو و اللّه ينتمي شعر حنظليّ عذريّ[11]، و غلب هشام على ذي الرمّة بها.

/نسخت من كتاب ابن النطّاح: حدثني أبو عبيدة، قال: حدثني فلان المرئيّ، قال: أتانا جرير على حمار، و أنا لا أعرفه، فأتي بنبيذ فشرب، فلما أخذ فيه قال: أين هشام؟فدعي، فقال له: أنشدني ما قلت في ذي الرمّة، فأنشده، فجعل كلما أنشده قصيدة قال: لم تصنع شيئا، ثم قال له: قد دنا رواحي فاردد[12]هذه الأبيات و مر شبّانكم بروايتها، و ذكر الأبيات التي أولها قوله[13]: غضبت لرجل[14]من تميم تشمّسوا

ذو الرمة يعاتب جريرا فيعينه بأبيات يهجو بها هشاما

قال: فغلبه هشام بها، فلما كان بعد ذلك لقي ذو الرّمة جريرا فقال: تعصّبت على خالك للمرئيّ. فقال جرير: حيث [1]في ابن سلام: «و ميله إلى الفرزدق» .

[2] «ديوان جرير» 486، و ابن سلام 473.

[3]ابن سلام: «غضبت لرهط... » ، قال محققه: و يروى: «عجبت لرحل» ، و «غضبت لرحل» ، بالحاء المهملة. و تشمس: قعد في الشمس أو انتصب لها.

[4]بنو جل بن عدي بن عبد مناة بن ود.

[5]السجال: المساجلة و المباراة و المفاخرة.

[6]ف: «... ضلالها» ، و في ابن سلام: «... ما مشت عديا رجالها» .

[7]أ، ف: «كلام» .

[8]ابن الأتان، يعني جريرا.

[9]ابن سلام 474.

[10]ف: «فلما سمعها» .

[11]ف: «نجودي» ، و ابن سلام: «غدري» .

[12]حـ: «فار و هذه الأبيات» .

[13]ساقط من جـ.

[14]انظر التعليق السابق، حاشية 2 ص 19.

فعلت ما ذا؟قال: حين تقول للمرئيّ كذا و كذا، فقال جرير: لأنك[1]ألهاك البكاء في دارميّة حتى استقبحته[2]محارمك.

قال: و قول ذي الرمّة: تعصّبت على خالك، أنّ النّوار بنت جلّ[3]أمّ حنظلة بن مالك، و هي من رهط ذي الرّمة، و كذلك عنى جرير بقوله: و لو لا أن تقول بنو[4]عديّ # أ لم تك أمّ حنظلة النّوار

أتتكم يا بني ملكان منّي # قصائد لا تعاورها البحار[5]

فقال ذو الرّمة: لا، و لكن اتهمتني بالميل مع الفرزدق عليك، قال: كذلك هو، قال: فو اللّه ما فعلت، و حلف له بما يرضيه، قال: فأنشدني ما هجوت به المرئيّ، فأنشده قوله[6]: نبت عيناك عن[7]طلل بحزوى # عفته الريح و امتضح[8]القطارا

/فأطال[9]جدّا، فقال له جرير: ما صنعت شيئا، أ فأرفدك؟قال: نعم، قال: قل[10]: يعدّ الناسبون إلى تميم # بيوت المجد[11]أربعة كبارا

يعدّون الرّباب و آل سعد[12] # و عمرا ثم حنظلة الخيارا

و يهلك بينها المرئيّ لغوا # كما ألغيت في الدّية الحوارا

([13]و يروى: و يذهب بينها[13]) .

فغلبه[14]ذو الرّمة بها.

قال: حدثني محمد بن عمر الجرجانيّ[15]، قال: حدثني جماعة من أهل العلم أنّ ذا الرّمّة مرّ بالفرزدق فقال له: أنشدني أحدث ما قلت في المرئيّ، فأنشده هذه الأبيات، فأطرق الفرزدق ساعة، ثم قال: أعد، فأعاد، فقال: كذبت و ايم اللّه، ما هذا لك، و لقد قاله أشدّ لحيين منك، و ما هذا إلاّ شعر ابن الأتان[16].

[1]ف: «لا، بل» .

[2]ف: «حتى استبيحت» .

[3]أ: «بنت خال» .

[4]في أ: «بني عدي» .

[5]في ف: «التجار» .

[6] «ديوانه» 193.

[7]أ: «من طلل» . و حزوى: موضع بنجد.

[8]ف، و «الديوان» : «و امتنح» ، و امتنح، من المنحة و هي العطية، و امتضح، من مضح عرضه: شأنه.

[9]جـ: «فأطالها» .

[10] «ديوان ذي الرمة» 196.

[11] «الديوان» : «بيوت العز» .

[12] «الديوان» :

يعدون الرباب لهم و عمرا و سعدا ثم.....

(13-13) كذا في جـ.

[14]في ف: «فغلب» .

[15]ما: «الجرجراني» . و ف: «الجرجرائي» .

[16]يريد جريرا.

فلما سمعها المرئيّ جعل يلطم رأسه، و يصرخ و يدعو/بويله، و يقول: قتلني جرير، قتله اللّه!هذا و اللّه شعره الذي لو نقطت منه نقطة في البحر لكدّرته، قتلني، و فضحني.

فلما استعلى ذو الرمة على هشام أتى هشام و قومه جريرا فقالوا: يا أبا حزرة، عادتك الحسنى، فقال: هيهات، ظلمت أخوالي، قد أتاني ذو الرّمة، فاعتذر إليّ، و حلف[1]فلست أعين عليهم.

/فلما يئسوا من عنده أتوا لهذا المكاتب و قد طلع بمكاتبته، فأعطوه عشرة أعنز، و أعانوه على مكاتبته، فقال أبياتا عينيّة يفضّل فيها بني امرئ القيس على بني عديّ، و هشاما على ذي الرمّة، و مات ذو الرمّة في تلك الأيام، فقال الناس: غلبه هشام.

قال ابن النّطاح: إنما مات ذو الرمة بعقب إرفاد جرير إيّاه على المرئيّ، فقال الناس: غلبه، و لم يغلبه؛ إنما مات قبل الجواب.

يتحدث عن شعره

أخبرني اليزيديّ[2]، عن محمد بن الحسن الأحول، عن بعض أصحابه، عن الشّبو بن قسيم العذريّ[3]، قال: سمعت ذا الرمّة يقول: من[4]شعري ما طاوعني فيه القول و ساعدني، و منه ما أجهدت نفسي فيه، و منه ما جننت به جنونا؛ فأما ما طاوعني القول فيه فقولي[5]: خليليّ عوجا من صدور الرّواحل

و أما ما أجهدت نفسي فيه فقولي[6]: أ أن توسّمت من خرقاء منزلة

أما ما جننت به جنونا فقولي[7]:

ما بال عينك منها الدّمع ينسكب

جرير يتمنى أن ينسب إليه شعر لذي الرمة

أخبرني عليّ بن سليمان، عن محمد بن يزيد، عن عمارة بن عقيل، قال: كان جرير يقول: ما أحببت أن ينسب إليّ من شعر ذي الرمة إلا قوله: [1]ف: «و حلف لي» .

[2]حـ: «محمد بن العباس اليزيدي» .

[3]حـ: «السير بن قسيم العدوي» .

[4]حـ: «في» .

[5] «ديوانه» 491 و عجز البيت:

بجمهور حزوى فابكيا في المنازل

[6] «ديوانه» 567 و في «الديوان» : أعن ترسمت..... # ماء الصبابة من عينيك مسجوم

[7] «ديوانه» 1 و تمامه:

كأنه من كل مفرية سرب

ما بال عينك منها الماء ينسكب

فإن شيطانه كان له فيها ناصحا.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، قال: قال حمّاد الراوية: ما تمم ذو الرمة قصيدته التي يقول فيها: ما بال عينك منها الماء ينسكب

حتى مات، كان يزيد فيها منذ قالها حتى توفّي.

ذو الرمة و خياط في سوق المربد

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حمّاد، عن أبي عدنان، قال: أخبرنا جابر بن عبد اللّه بن جامع بن جرموز الباهليّ، عن كثير بن ناجية، قال: بينا ذو الرمة ينشد بالمربد و الناس مجتمعون إليه، إذا هو بخيّاط يطالعه، و يقول: يا غيلان

أ أنت الذي تستنطق الدار واقفا # من الجهل هل كانت بكنّ حلول؟

فقام ذو الرمّة و فكّر زمانا، ثم عاد فقعد في المربد ينشد، فإذا الخياط قد وقف عليه، ثم قال[1]: أ أنت الذي شبّهت عنزا بقفرة # لها ذنب فوق استها أمّ سالم؟

و قرنان إمّا يلزقا بك يتركا[2] # بجنبيك يا غيلان مثل المواسم

جعلت لها قرنين فوق شواتها[3] # و رابك منها مشقة في القوائم

/فقام ذو الرمة فذهب، و لم ينشد بعدها في المربد حتى مات الخياط. قال: و أراد الخياط بقوله هذا قول ذي الرمة[4]: أقول لدهناويّة عوهج جرت # لنا بين أعلى برقة في الصّرائم[5]

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل # و بين النّقا آنت أم أمّ سالم؟

هي الشّبه لو لا مدرياها[6]و أذنها # سواء و إلاّ مشقة في القوائم

فانتبه ذو الرّمة لذلك، فقال[7]: /

أقول بذي الأرطى عشيّة أرشقت[8] # إلى الرّكب أعناق الظّباء الخواذل[9]

[1]حـ: «فقال» .

[2]حـ: «يلزمانك يثنيا» .

[3]الشواة: الشوى، و الشوى: قحف الرأس. و في ف: «فوق ثيابها» .

[4] «ديوانه» 621.

[5]في «الديوان» : «... بين أعلى عرفة بالصرائم» . و في ف: «بين أعلى عجمة فالصرائم» .

[6]في «الديوان» : «إلا مدرييها» . و المدريان: القرنان.

[7] «ديوانه» 495.

[8]في «الديوان» :

«و عشية أتلعت... »

، و في ف: «أشرفت» .

[9]حـ: «أعناق المطي» .

لأدماء[1]من آرام بين سويقة # و بين الجبال[2]العفر ذات السّلاسل

أرى فيك من خرقاء يا ظبية اللّوى # مشابه جنّبت[3]اعتلاق الحبائل

فعيناك عيناها و جيدك جيدها # و لونك لو لا أنها غير عاطل[4]

في البيتين الأخيرين من هذه الأبيات رمل بالوسطى لإبراهيم[5].

رؤبة يعجز عن تفسير بيت قاله الراعي فيفسره له ذو الرمة

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش[6]، عن أبي سعيد السكريّ، عن يعقوب بن السكّيت، عن محمد بن سلاّم، عن أبي الغرّاف، قال: قال ذو الرمة لرؤبة: ما عنى الراعي بقوله[7]: أناخا بأسوإ الظّنّ ثمّت عرّسا # قليلا و قد أبقى سهيل فعرّدا

فجعل رؤبة يقول: هي كذا هي كذا، لأشياء لا يقبلها ذو الرمّة، فقال له رؤبة: فمه؟ويحك!قال: هي الأرض بين المكلئة و بين المجدبة.

الوليد بن عبد الملك يسأل الفرزدق و جريرا عن ذي الرمة

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبي عدنان، عن إبراهيم بن نافع: أن الفرزدق دخل على الوليد بن عبد الملك أو غيره، فقال له: من أشعر الناس؟قال: أنا، قال: أ فتعلم أحدا أشعر منك؟قال: لا، إلاّ أن غلاما من بني عديّ بن كعب يركب أعجاز الإبل، و ينعت الفلوات. ثم أتاه جرير فسأله، فقال له مثل ذلك. ثم أتاه ذو الرمة فقال له: ويحك!أنت أشعر الناس، قال: لا، و لكن غلام من بني عقيل يقال له: مزاحم: يسكن الرّوضات يقول وحشيّا من الشعر لا نقدر على أن نقول مثله.

كثيرة تقول شعرا في ميّ و تنحله ذا الرمة

قال: و كان ذو الرمة يتشبّب[8]بميّ بنت طلبة بن قيس بن عاصم المنقريّ، و كانت كثيرة[9]أمة مولّدة لآل قيس بن [1]في «الديوان» : «لأدمانة من وحش» ، و أدمانة: ظبية.

[2]في «الديوان» : «... الحبال» ، بالحاء المهملة، قال: و الحبال يعني حبال الرمل. و العفر: الحمر. و السلاسل من الرمل: ما تعقد منه.

[3]جـ: «جنته» ، و المثبت من أ و «الديوان» : يدعو لها ألا تعلق في حبالة الصائد.

[4]حـ و «الديوان» : «إلا أنها» . و العاطل: التي لا حلي عليها.

[5]حـ: «لإبراهيم الموصلي» .

[6]ف: «علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد» .

[7]ابن سلام 477، و روايته:

أناخا بأشوال طروقا بخبة # قليلا و قد أعيا سهيل فعردا

و في «اللسان» (خبب) و «المخصص» 10: 173:

أناخوا بأشوال إلى أهل خبة # طروقا و قد أقعى سهيل فعردا

و في حـ:

أناخا بأشراط و ظلا بخبة # طروقا و قد أقعى سهيل فعردا

[8]حـ: «يشبب» .

[9]ابن سلام: «كنزة» .

عاصم، و هي أم سهم بن بردة اللص الذي/قتله سنان بن مخيّس[1]القشيريّ أيام محمد بن سليمان، فقالت كثيرة[2]: على وجه ميّ مسحة من ملاحة # و تحت الثياب الخزي لو كان باديا

أ لم تر أنّ الماء يخبث طعمه # و لو كان لون الماء في العين صافيا[3]

و نحلتها ذا الرّمة، فامتعض من ذلك، و حلف بجهد[4]أيمانه ما قالها.

قال: و كيف أقول هذا و قد قطعت دهري، و أفنيت شبابي أشبّب بها و أمدحها[5]، ثم أقول هذا، ثم اطّلع على أنّ كثيرة قالتهما، و نحلتهما إياه.

ميّة لا ترد عليه السلام فيغضب و يقول في ذلك شعرا

و قال هارون بن محمد: حدثني عبد الرحمن بن عبد اللّه، قال: حدثني هارون بن سعيد، قال: حدثني أبو المسافر الفقعسيّ، عن أبي بكر بن جبلة الفقعسيّ، قال: وقف ذو الرمة في ركب معه على ميّة، فسلّموا عليها، فقالت: و عليكم إلاّ ذا الرمة[6]، فأحفظه ذلك و غمّه ما سمع منها بحضرة القوم[7]؛ فغضب و انصرف و هو يقول: أيا ميّ قد أشمتّ بي ويحك العدا # و قطّعت حبلا كان يا ميّ باقيا

فيا ميّ لا مرجوع للوصل بيننا # و لكنّ هجرا بيننا و تقاليا

أ لم تر أنّ[8]الماء يخبث طعمه # و إن كان لون الماء في العين صافيا

محمد بن الحجاج الأسيدي يلتقي بميّة و هي عجوز

أخبرني الحسن بن عليّ الأدميّ، عن[9]ابن مهرويه، عن ابن النطّاح، عن محمد بن الحجاج الأسيديّ من بني أسيد بن عمرو بن تميم، قال: مررت على ميّة و قد أسنّت، فوقفت عليها و أنا/يومئذ شابّ فقلت: يا ميّة!ما أرى ذا الرمة إلاّ قد ضيّع فيك قوله حيث يقول[10]:

صوت

أما[11]أنت عن ذكراك ميّة مقصر # و لا أنت ناسي العهد منها فتذكر

[1]أ: «ابن محسر» ؛ و المثبت من ف و ابن سلام.

[2]ابن سلام: «كنزة» ، و الشعر في ابن سلام 476، و «أمالي الزجاجي» 57، و «الحماسة» 4: 53، و «الشعر و الشعراء» 519.

[3]في هامش حـ من نسخة: «و إن كان... » . و في «الديوان» 675: «... أن الماء يخلف طعمه» .

[4]حـ: «جهد» .

[5]س: «و أمذقها» ؛ و المثبت من أ، ف، و ابن سلام.

[6]حـ: «إلا ذو الرمة» .

[7]حـ: «فأحفظه ما سمع منها بحضرة القوم» .

[8]أ: «أ لم ترين» ، و المثبت من «الديوان» .

[9]ف: «قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه» .

[10]الأبيات في «ديوانه» 666.

[11]في حـ: «و ما» .

تهيم بها ما تستفيق و دونها # حجاب و أبواب و ستر مستّر

قال: فضحكت و قالت: رأيتني يا بن أخي و قد ولّيت و ذهبت محاسني، و يرحم اللّه غيلان؛ فلقد قال هذا فيّ و أنا أحسن من النار الموقدة في الليلة القرّة في عين المقرور، و لن تبرح حتى أقيم عندك عذره[1]، ثم صاحت: يا أسماء، اخرجي؛ فخرجت جارية كالمهاة ما رأيت مثلها، فقالت: أ ما لمن شبّب بهذه و هويها عذر؟فقلت: بلى، فقالت: و اللّه لقد كنت أزمان كنت مثلها أحسن منها، و لو رأيتني يومئذ لازدريت هذه ازدراءك إياي اليوم، انصرف راشدا.

في هذين البيتين لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى.

أبو سوّار الغنويّ يصف ميّة

أخبرني[2]أبو خليفة، قال: قال محمد بن سلام: قال أبو سوّار[3]الغنويّ: رأيت ميّة و إذا معها بنون لها صغار، فقلت: صفها لي، فقال: مسنونة الوجه، /طويلة الخد[4]، شمّاء الأنف، عليها وسم جمال، فقالت: ما تلقّيت[5]بأحد من بنيّ هؤلاء إلاّ في الإبل، قلت: أ فكانت تنشدك شيئا مما قاله ذو الرمّة فيها؟قال: نعم، كانت تسحّ سحّا، ما رأى أبوك مثله.

ميّة تجعل للّه عليها أن تنحر بدنة يوم ترى ذا الرمة

فأمّا ابن قتيبة فقال في خبره[6]: مكثت ميّة زمانا لا ترى ذا الرمّة، و هي تسمع مع ذلك شعره، فجعلت للّه عليها أن تنحر بدنة يوم تراه، فلما رأته رجلا دميما أسود، و كانت من أجمل الناس قالت: وا سوأتاه! وا بؤساه[7]وا ضيعة بدنتاه!فقال ذو الرمة: على وجه ميّ مسحة من ملاحة # و تحت الثياب الشّين لو كان باديا

قال: فكشفت ثوبها عن جسدها، ثم قالت: أ شينا ترى لا أمّ لك!فقال: أ لم تر أنّ الماء يخبث طعمه # و إن كان لون الماء أبيض صافيا

فقالت: أمّا ما تحت الثياب فقد رأيته و علمت أن لا شين فيه، و لم يبق إلا أن أقول لك: هلمّ، حتى تذوق ما وراءه، و و اللّه لا ذقت ذاك أبدا، فقال: فيا ضيعة الشّعر الذي لجّ فانقضى # بميّ و لم أملك ضلال فؤاديا

قال: ثم صلح الأمر بينهما بعد ذلك، فعاد لما كان عليه من حبّها.

[1]ف: «عذره في» .

[2]الخبر في ابن سلام 476.

[3]جـ: «ابن سوار» .

[4]في ابن سلام: «الخدين» .

[5]تلقت المرأة: حبلت.

[6] «الشعر و الشعراء» 509.

[7]ساقط من ف، و هو في «الشعر و الشعراء» .

279

محمد بن علي الجبيري يلتقي بالنوار ابنة ميّة و يتذاكران شعرا لذي الرمة

و ذكر محمد بن عليّ بن حفص الجبيريّ[1]الحنفيّ-من ولد أبي جبيرة- أنّ النّوار بنت عاصم المنقرية -و أمّها ميّة صاحبة ذي الرمة-أخبرته، و قد ذكر عندها ذا الرمة[2]، و أنشدها قوله في أمها[3]: /

هي البرء و الأسقام و الهمّ و المنى # و موت الهوى في القلب مني المبرّح[4]

و كان الهوى بالنأي[5]يمحى فيمحي # و حبّك عندي يستجدّ و يربح

يربح، أي يزيد الربح[6]. هكذا ذكره الأصمعيّ.

إذا غيّر النأي المحبّين لم أجد # رسيس الهوى[7]من حبّ ميّة يبرح

فلما سمعت قوله:

إذا غيّر النّأي المحبّين....

قالت: قبّحه اللّه، هو الذي يقول أيضا: على وجه ميّ مسحة من ملاحة # و تحت الثياب الشّين[8]لو كان باديا

/فقلت لها: أ كانت ميّة جدّتك؟قالت: لا، بل أمّي، فقلت لها: كم تعدّين؟ قالت: ستين سنة.

أخبرني الحسين[9]بن يحيى، قال حماد: قرأت على أبي، عن محمد بن سلام، قال: كانت ميّ صاحبة ذي الرمة من ولد طلبة بن قيس بن عاصم المنقريّ، و كانت لها بنت[عم][10]من ولد قيس يقال لها: كثيرة[11]أم سلهمة، فقالت على لسان ذي الرمة: على وجه ميّ مسحة من ملاحة

الأبيات. فكان ذو الرمة إذا ذكر له ذلك يمتعض منه، و يحلف أنه ما قالها[12]قطّ.

أخبرني بهذا الخبر أبو خليفة، عن محمد بن سلام، عن أبي الغرّاف الضبيّ[13]بمثله، و قال فيه: [1]حـ: «الحميري» .

[2]ف: «ذو الرمة» .

[3] «ديوانه» 79، 83 من قصيدته التي مطلعها: أ منزلتي ميّ سلام عليكما # على النأي، و النائي يسود و ينصح

[4]حـ: «للأسقام و الهم و المنى» ، و في «الديوان» : هي البرء و الأسقام و الهم ذكرها # و موت الهوى لو التنائي المبرح

[5] «الديوان» : «و بعض الهوى بالبحر» .

[6]حـ: «يزيد كما يزيد الربح» .

[7]في «الديوان» :

«... لم يكد # ... رسيس الهوى... »

.

[8]حـ و «الديوان» : «الخزي» .

[9]أ: «الحسن بن يحيى. »

[10]ساقط من ف.

[11]انظر الحاشية 4 ص 25.

[12]حـ: «ما قاله» .

[13]حـ: «الفقعسي» .

/إن كثيرة مولاة لهم، و هي[1]أمّ سلهمة اللص الذي قتلته خيل محمد بن سليمان، و اللّه أعلم.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز و حبيب المهلبيّ[2]، عن ابن شبّة، عن المدائنيّ، عن سلمة[3]، عن محارب، قال: كان ذو الرمّة يقرأ و يكتب و يكتم ذلك، فقيل له: كيف تقول: عزيز ابن اللّه أو عزيز بن اللّه؟فقال: أكثرهما حروفا.

ذو الرمة يكتب

أخبرني إبراهيم بن أيّوب، عن عبد اللّه بن مسلم، قال: قال[4]عيسى بن عمر: قال لي[5]ذو الرمة: ارفع هذا الحرف، فقلت له: أ تكتب؟فقال بيده[6]على فيه: اكتم[7]عليّ فإنه عندنا عيب.

رؤبة يتهمه بسرقة شعره

أخبرني ابن دريد، عن أبي حاتم، عن الأصمعيّ، عن محمد بن أبي بكر المخزوميّ، قال: قال رؤبة: كما قلت شعرا سرقه ذو الرمّة، فقيل له: و ما ذاك؟قال: قلت[8]: حيّ الشهيق ميّت الأنفاس

فقال هو[9]:

يطرحن بالمهارق الأغفال # كلّ جهيض لثق السّربال

حيّ الشهيق ميّت الأوصال

/فقلت له: فقوله و اللّه أجود من قولك، و إن كان سرقه منك، فقال: ذلك[10]أغمّ لي.

يحدثنا عن منزلته من الراعي

أخبرني ابن عبد العزيز[11]عن ابن شبّة قال: [1]حـ: «و أمها» .

[2]ف: «و حبيب بن نصر» .

[3]حـ: «عن مسلمة بن محارب» .

[4] «الشعر و الشعراء» 507.

[5]جـ: «قال ذو الرمة» .

[6]يريد: أشار بيده على فيه.

[7] «الشعر و الشعراء» : «أي اكتم عليّ» .

[8] «الشعر و الشعراء» 516، و فيه: «موتى العطايا حية الأنفاس» .

[9] «ديوانه» 482، «الشعر و الشعراء» 516.

و المهارق: الصحف؛ شبه الفلوات بها. و الأغفال: اللواتي لا علم بها. و الجهيض: الولد الذي سقط لغير تمام. السربال، يعني جلده. و في ف: «كل حنين» و في ب: «كل حصين» .

[10]حـ: «ذاك» .

[11]حـ: «محمد بن عبد العزيز» .

قيل لذي الرمة: إنما أنت راوية الراعي. فقال: أما و اللّه لئن قيل ذاك ما مثلي و مثله إلاّ شابّ صحب شيخا، فسلك به طرقا ثم فارقه، فسلك الشابّ بعده شعابا و أودية لم يسلكها الشيخ قطّ.

لا يحسن الهجاء و المدح

أخبرني محمد بن أحمد بن الطّلّاّس، عن الخراز[1]عن المدائنيّ، و أخبرني به[2]إبراهيم بن أيوب، عن عبد اللّه بن مسلم، عن ابن أخي الأصمعيّ، عن عمه، دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال: إنما[3]وضع من ذي الرمة أنه كان لا يحسن أن يهجو و لا يمدح، و قد مدح بلال بن أبي بردة فقال[4]: رأيت الناس ينتجعون غيثا # فقلت لصيدح: انتجعي بلالا

فلما أنشده قال له: أ و لم ينتجعني غير صيدح؟يا غلام، أعطه حبل قتّ لصيدح، فأخجله.

أخبرني أبو خليفة، عن ابن سلاّم قال: حدثني أبو الغرّاف قال: عاب الحكم بن عوانة الكلبيّ ذا الرمة في بعض قوله فقال فيه[5]: فلو كنت من كلب صميما[6]هجوتكم # جميعا و لكن لا إخالك من كلب[7]

/و لكنما أخبرت أنك ملصق # كما ألصقت من غيرها ثلمة القعب[8]

تدهدى فخرّت ثلمة من صميمه[9] # فكيف بأخرى[10]بالغراء و بالشّعب

ذو الرمة و بلال بن أبي بردة يحتكمان إلى أبي عمرو بن العلاء في رواية شيء من شعر حاتم

:

أخبرني أبو خليفة، عن ابن سلاّم[11]قال: و حدثني أبو الغرّاف قال: دخل ذو الرمّة على/بلال بن أبي بردة، و كان بلال راوية فصيحا أديبا، فأنشده بلال أبيات حاتم طيّىء قال[12]: لحا اللّه صعلوكا مناه و همّه # من العيش أن يلقى لبوسا و مطعما

يرى الخمس تعذيبا و إن نال شبعة # يبت قلبه من شدّة الهمّ مبهما[13]

[1]حـ: «عن أحمد بن الحارث الخراز» .

[2]حـ: «و أخبرني إبراهيم» .

[3]حـ: «و إنما» .

[4] «ديوانه» 442.

[5]ابن سلام 482، «ديوانه» 53.

[6] «الديوان» . و في «الأصول» : «صحيحا» .

[7] «الديوان» و ابن سلام. و في بعض «الأصول» : «في كلب» .

[8] «الديوان» : «و لكنني خبرت» ، و ثلمة الإناء: موضع الكسر من شفته، و القعب: القدح.

[9]ف، و في أ، س: «صحيحه» .

[10]في «الديوان» و ابن سلام: «فلز بأخرى» .

[11]ابن سلام 483.

[12] «ديوان حاتم» 25، و ابن سلام 483.

[13]في ابن سلام: «من قلة الهم» .

هكذا أنشد بلال، فقال ذو الرمة: يرى الخمص تعذيبا، و إنما الخمس للإبل، و إنما هو خمص البطن، فمحك بلال-و كان محكا[1]-و قال: هكذا أنشدنيه[2]رواة طيّىء، فردّ عليه ذو الرمة، فضحك[3]، و دخل أبو عمرو بن العلاء، فقال له بلال: كيف تنشدهما[4]؟و عرف أبو عمرو الذي به فقال: كلا الوجهين جائز، فقال: أ تأخذون عن ذي الرمة؟فقال: إنه لفصيح و إنا لنأخذ عنه بتمريض. و خرجا من عنده، فقال ذو الرمة لأبي عمرو: و اللّه لو لا أني أعلم[5]أنك حطبت في حبله و ملت[6]مع هواه لهجوتك هجاء لا يقعد إليك اثنان بعده.

أجود شعره في رأي بلال بن جرير

نسخت من كتاب محمد بن داود بن الجرّاح: حدثني هارون بن محمد الزيات، قال: حدثني حمّاد بن إسحاق عن عمارة بن عقيل، قال: قيل لبلال بن جرير: أيّ شعر ذي الرمة أجود؟فقال[7]: هل حبل خرقاء بعد اليوم مرموم

إنها مدينة الشعر.

رأي لابن سلام في ذي الرمة

حدثنا[8]أبو خليفة، عن ابن سلاّم، قال: كان ذو الرمة من جرير و الفرزدق بمنزلة قتادة من الحسن و ابن سيرين، كان يروي عنهما و يروي عن الصحابة، و كذلك ذو الرمّة، هو دونهما و يساويهما في بعض شعره[9].

جماعة من الكوفة يصنعون له أبياتا

أخبرني[10]الجوهريّ قال: حدثنا ابن شبّة، عن ابن معاوية[11]، قال: قال حماد الراوية: قدم علينا ذو الرمة الكوفة فلم نر أحسن و لا أفصح و لا أعلم بغريب منه؛ فغمّ ذلك كثيرا من أهل المدينة[12]، فصنعوا له أبياتا و هي قوله: رأى جملا يوما و لم يك قبلها # من الدّهر يدري كيف خلق الأباعر

[1]كذا في ابن سلام. و محك: نازع في الكلام و تمادى في اللجاجة، و في ف: «و كان ضحوكا» .

[2]في ابن سلام: «أنشدنيهما» .

[3]ابن سلام: «فمحك» .

[4]حـ: «كيف تنشدها» .

[5]حـ و ابن سلام: «أعلمك» .

[6]ابن سلام: «و قلت في هواه» .

[7] «ديوانه» 569، و فيه: «... بعد الهجر» ، و تمامه: أم هل لها آخر الأيام تكليم

[8]ابن سلام 466.

[9]في ابن سلام: «الشعر» .

[10]جـ: «و أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري» .

[11]جـ: «عن أحمد بن معاوية الباهلي» .

[12]جـ: «من أهل الكوفة» .

فقال: شظايا مع ظبايا ألا لنا # و أجفل إجفال الظّليم المبادر

فقلت له: لا ذهل ملكيل بعد ما # ملا نيفق التّبّان منه بعاذر

قال: فاستعادها مرتين أو ثلاثا، ثم قال: ما أحسب هذا من كلام العرب.

ذو الرمة و عنبسة النحوي

أخبرني أبو الحسن الأسديّ، عن العباس بن ميمون طائع، قال: حدثنا أبو عثمان المازنيّ، عن الأصمعيّ، عن عنبسة النحويّ، قال: /قلت لذي الرمة و سمعته ينشد و يقول:

و عينان قال اللّه كونا فكانتا # فعولين بالألباب ما تفعل الخمر

قال: فقلت له: فهلاّ قلت: فعولان؟فقال: لو قلت: سبحان اللّه، و الحمد للّه، و لا إله إلا اللّه، و اللّه أكبر، كان خيرا لك؛ أي أنك أردت القدر، و أراد ذو الرمة كونا فعولين بالألباب، و أراد عنبسة: و عينان فعولان.

و روى هذا الخبر ابن الزيّات[1]، عن محمد بن عبادة، عن الأصمعيّ، عن العلاء بن أسلم، فذكر مثله.

يغير شعره لرأي قاله ابن شبرمة

و حكى أن إسحاق بن سويد المعارض له قال: و أخبرني الأخفش، قال: حدثني محمد بن يزيد النحويّ، قال: حدثني عبد الصمد بن المعذّل، قال: حدثني أبي، عن أبيه قال: قدم ذو الرمّة الكوفة فوقف ينشد الناس بالكناسة قصيدته الحائيّة، حتى أتى على قوله[2]: إذا غيّر النّأي المحبّين لم يكد # رسيس الهوى من حبّ ميّة يبرح

/فناداه ابن شبرمة: يا غيلان، أراه قد برّح. فشنق[3]ناقته، و جعل يتأخّر بها و يفكر. ثم عاد فأنشد قوله: إذا غيّر النّأي المحبين لم أجد

قال: فلما انصرفت حدّثت أبي، فقال: أخطأ ابن شبرمة حين أنكر على ذي الرّمّة ما أنشد، و أخطأ ذو الرّمّة حين غيّر شعره لقول ابن شبرمة، إنما هذا مثل قول اللّه عز و جل: **ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا** [4]و إنما معناه لم يرها و لم يكد.

بلال بن أبي بردة يأمر له بعشرة آلاف درهم

أخبرني الجوهريّ، عن ابن شبرمة، عن يحيى بن نجيم[5]قال:

قال رؤبة لبلال بن أبي بردة: علام تعطي ذا الرمة؟فو اللّه إنه ليعمد إلى مقطّعاتنا فيصلها فيمدحك بها، فقال: و اللّه لو لم أعطه إلا على تأليفه لأعطيته، و أمر له بعشرة آلاف درهم.

[1]جـ: «هارون بن محمد الزيات» .

[2] «ديوانه» 78.

[3]جـ: «فشنق لناقته» ، و شنق البعير: كفه بزمامه حتى ألزق ذفراه بقادمة الرحل، أو رفع رأسه و هو راكبه.

[4]سورة النور 40.

[5]جـ: «أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني يحيى بن نجيم قال: » .

رجل بمربد البصرة يراجعه في شعر ينشده

أخبرني إسماعيل بن يونس، قال: حدثنا عمر بن شبّة، حدثنا[1]إسحاق الموصليّ، عن الأصمعيّ، قال[2]: قال رجل: رأيت ذا الرّمة بمربد البصرة و عليه جماعة مجتمعة و هو قائم، و عليه برد قيمته مائتا دينار، و هو ينشد، و دموعه تجري على لحيته[3]: ما بال عينك منها الماء ينسكب

فلما انتهى إلى قوله[4]:

تصغي إذا شدّها بالكور جانحة # حتى إذا ما استوى في غرزها تثب

قلت: يا أخا بني تميم، ما هكذا قال عمّك، قال: و أيّ أعمامي يرحمك اللّه؟قلت: الراعي، قال: و ما قال؟ قال: قلت: قوله[5]: و لا تعجل المرء قبل الورو # ك و هي بركبته أبصر[6]

و هيّ إذا قام في غرزها # كمثل السفينة إذا توقر[7]

/و مصغية خدّها بالرّما # م فالرأس منها له أصعر[8]

حتى إذا ما استوى طبّقت # كما طبّق المسحل[9]الأغبر

قال: فأرتج عليه ساعة، ثم قال: إنه نعت ناقة ملك و نعتّ ناقة سوقة. فخرج منها على رءوس الناس.

روايات في سبب تشبيبه بخرقاء

فأما السبب بين ذي الرمة و خرقاء فقد اختلف فيه الرواة؛ فقيل: إنه كان يهواها، و قيل: بل كاد بها ميّة، و قيل: بل كانت كحّالة فداوت عينه فشبّب بها.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ[10]، عن النوفليّ، عن أبيه: أن زوج ميّة أمرها أن تسبّ ذا الرمة غيرة عليها، فامتنعت، فتوعّدها بالقتل، فسبّته فغضب، و شبّب بخرقاء [1]جـ: «قال حدثنا» ، و الخبر في «الشعر و الشعراء» 517.

[2]جـ: «عن رجل أخبرني قال» .

[3] «ديوانه» 1، و تمامه:

كأنه من كلي مفرية سرب

[4] «ديوانه» 8.

[5] «الشعر و الشعراء» 518، «الموشح» 277، «أمالي المرتضى» 1: 279، «اللآلي» 898، «اللسان» (ورك) .

[6] «الشعر و الشعراء» :

و لا تعجل المرء قبل البرو # ك، و هي بركبتها أبصر

[7] «الشعر و الشعراء» : «أو أوقر» .

[8] «الشعر و الشعراء» : «و واضعة خدها للزمام» . و أصعر: مائل.

[9]المسحل: الحمار الوحشي. و انظر «الموشح» 277.

[10]جـ: «قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي» .

العامريّة؛ يكيد ميّة بذلك، فما قال فيها إلاّ قصيدتين أو ثلاثا حتى مات.

أخبرني حبيب بن نصر، عن ابن شبة، عن العتبيّ، عن هارون بن عتبة قال: شبّب ذو الرمّة بخرقاء العامرية بغير هوى؛ و إنما كانت كحّالة فداوت عينه من رمد كان بها فزال، فقال لها: ما تحبّين حتى أعطيك؟فقالت[1]: عشرة أبيات تشبّب بي؛ ليرغب الناس فيّ إذا سمعوا أنّ في بقية للتشبيب، ففعل.

كان الحاجّ يمرون بخرقاء

أخبرنا أبو خليفة، عن ابن سلاّم، قال: كان ذو الرمة شبّب[2]بخرقاء إحدى نساء بني عامر بن ربيعة، و كانت تحلّ فلجا[3]، و يمرّ بها الحاجّ، فتقعد لهم و تحادثهم و تهاديهم، و كانت تجلس معها فاطمة/بنتها-فحدثني من رآهما-فلم[4]تكن فاطمة مثلها، و كانت تقول: أنا منسك من مناسك الحج؛ لقول ذي الرمّة فيها[5]: /

تمام الحجّ أن تقف المطايا # على خرقاء واضعة اللّثام

خرقاء تسأل القحيف العقيلي أن يشيب بها

قال ابن سلاّم في خبره[6]: و أرسلت خرقاء إلى القحيف العقيليّ تسأله أن يشبب بها فقال:

صوت

لقد أرسلت خرقاء نحوي جريها[7] # لتجعلني خرقاء فيمن أضلّت

و خرقاء لا تزداد إلاّ ملاحة # و لو عمّرت تعمير نوح و جلّت

خرقاء تسقي ذا الرمة و هي لا تعرفه

حدثني حبيب بن نصر، عن الزّبير، عن موهوب[8]بن رشيد، عمّن حدثه، قال: نزل ركب بأبي خرقاء العامريّة، فأمر لهم بلبن فسقوه، و قصّر عن شابّ منهم، فأعطته خرقاء صبوحها و هي لا تعرفه، فشربه، و مضوا فركبوا، فقال لها أبوها: أ تعرفين الرجل الذي سقيته صبوحك؟قالت: لا و اللّه، قال: هو ذو الرمة القائل فيك الأقاويل، فوضعت يدها على رأسها، و قالت: وا سوأتاه وا بؤساه!و دخلت بيتها، فما رآها أبوها ثلاثا.

[1]جـ: «لي عشر بنات أيامي، فشبب بي ليرغب الناس فيهن» .

[2]ف: «يشبب» .

[3]في ابن سلام 477: «فلجة» .

[4]جـ و ابن سلام: «قال: لم تكن» .

[5] «ديوانه» 673، ابن سلام 478.

[6]ابن سلام 479.

[7]جريها: رسولها.

[8]ف: «حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنا موهوب... » ، و في س: «موهب» ، و المثبت في أ.

المفضل الضّبيّ يزور خرقاء

حدثني إبراهيم بن أيوب، عن ابن قتيبة، قال: قال[1]الضبيّ: كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حججت، فقال لي يوما: هل لك إلى أن أريك خرقاء صاحبة ذي الرمّة؟ فقلت: إن فعلت فقد بررت. فتوجهنا جميعا نريدها، فعدل بي عن الطريق قدر ميل، ثم أتينا أبيات شعر، فاستفتح /بيتا ففتح له، و خرجت امرأة طويلة حسنة[2]بها قوّة، فسلّمت و جلست، فتحدثنا ساعة، ثم قالت لي: هل حججت قطّ؟قلت: غير مرة. قالت: فما منعك من زيارتي؟أ ما علمت أنّي منسك من مناسك الحج؟قلت: و كيف ذاك؟قالت: أ ما سمعت قول ذي الرمة: تمام الحجّ أن تقف المطايا # على خرقاء واضعة اللّثام

أخبرني وكيع، عن أبي أيوب المدائنيّ[3]عن مصعب الزبيريّ، قال: شبّب ذو الرمة بخرقاء و لها ثمانون سنة.

رواية أخرى في لقاء ذي الرمة بخرقاء

قال هارون بن الزيات: حدثني عبد الرحمن بن عبد اللّه بن إبراهيم، عن محمد بن يعقوب، عن أبيه قال: رأيت خرقاء بالبصرة و قد ذهبت أسنانها، و إنّ في ديباجة وجهها لبقيّة، فقلت: أخبريني عن السبب بينك و بين ذي الرمّة، فقالت: اجتاز بنا في ركب و نحن عدّة جوار على بعض المياه، فقال: أسفرن، فسفرن غيري، فقال: لئن لم تسفري لأفضحنّك، فسفرت، فلم يزل يقول حتى أزيد، ثم لم أره بعد ذلك.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدثنا الزّبير بن بكار قال: حدثني موهوب بن رشيد، قال: حدثني جدّي، قال: كنت مع خرقاء ذي الرمة إذ نزل ببابها ركب من بني تميم فأمر لهم بلبن فسقوه، و قصر اللبن عن شاب منهم، فأمرت له خرقاء بغبوقها، فلما أن رحل عنهم الركب قال لها أبوها: يا خرقاء أ تعرفين من سقيت غبوقك اليوم؟ قالت: لا و اللّه ما أعرفه، قال: ذاك ذو الرمة، فوضعت يدها على رأسها و قالت: وا سوأتاه!و دخلت خدرها.

/قال الزبير: و حدثني عبد اللّه بن إبراهيم الجمحيّ، قال: حدثنا أبو الشّبل المعديّ قال: كانت خرقاء البكائيّة أصبح من القبس، و بقيت بقاء طويلا حتى شبّب بها القحيف[4]العقيليّ.

خرقاء و صباح بن الهذيل

أخبرنا أبو الحسن الأسديّ، عن أحمد بن سليمان، عن أبي شيخ، عن أبيه، عن عليّ بن صالح بن سليمان[5]، عن صباح بن الهذيل أخي زفر بن

الهذيل، قال: [1]ف: «قال المفضل الضبي» .

[2]ف: «حسّانه» .

[3]أ، ب: «المديني» .

[4]جـ: «شبب بها العجيف» .

[5]جـ: «عن أحمد بن سليمان بن صباح» .

خرجت أريد الحجّ، فمررت بالمنزل الذي تنزله خرقاء، فأتيتها، فإذا امرأة جزلة، عندها سماطان[1]من الأعراب تحدّثهم[2]و تناشدهم، فسلّمت فردّت، و نسبتني، فانتسبت لها و هي تنزلني، حتى انتسبت[3]إلى أبي، فقالت: حسبك أكرمت[4]ما شئت، ما اسمك؟قلت: صباح، قالت: و أبو من؟ قلت: أبو المغلّس، قالت:

أخذت أول الليل و آخره، قال: فما كان[5]لي همّة/إلاّ الذّهاب عنها.

الحجاج الأسدي يزور خرقاء، و تنشده شعرا لها في ذي الرمة

نسخت من كتاب محمد بن صالح بن النطّاح: حدثني محمد بن الحجاج الأسديّ التميميّ-و ما رأيت تميميا أعلم منه-قال:

حججت فلما صرت بمرّان منصرفا، فإذا أنا بغلام أشعث الذّؤابة قد أورد غنيمات له فجئته فاستنشدته[6]، فقال لي: إليك عنّي، فإني مشغول عنك. و ألححت عليه فقال: أرشدك إلى ما بعض ما تحبّ، انظر إلى ذلك البيت الذي يلقاك فإن فيه حاجتك، هذا بيت خرقاء ذي الرمة؛ فمضيت نحوه فطوّحت بالسلام من بعيد، فقالت: ادنه، فدنوت، فقالت: إنك لحضريّ، فمن أنت؟قلت: /من بني تميم-و أنه أحسب أنها لا معرفة لها بالناس-قالت:

من أيّ تميم، فأعلمتها، فلم تزل تنزلني حتى انتسبت إلى أبي، فقالت: الحجاج بن عمير بن يزيد؟قلت: نعم، قالت: رحم اللّه أبا المثنّى!قد كنّا نرجو أن يكون خلفا من عمير بن يزيد، قلت: نعم، فعاجلته المنيّة شابّا، قالت:

حيّاك اللّه يا بنيّ و قرّبك، من أين أقبلت؟قلت: من الحج. قالت: فما لك لم تمرّ بي و أنا أحد مناسك الحج؟إنّ حجّك ناقص، فأقم حتى تحجّ أو تكفّر بعتق. قلت: و كيف ذلك؟قالت: أ ما سمعت قول غيلان عمّك:

تمام الحجّ أن تقف المطايا # على خرقاء واضعة اللّثام

قال: و كانت و هي قاعدة بفناء البيت كأنها قائمة من طولها، بيضاء شهلاء، فخمة الوجه. قال: فسألتها عن سنّها، فقالت: لا أدري إلاّ أني كنت أذكر شمر بن ذي الجوشن حين قتل الحسين عليه السلام، مرّ بنا و أنا جارية و معه كسوة فقسّمها في قومه، قالت: و كان أبي قد أدرك الجاهلية و حمل فيها حمالات، قال: و لما أنشدتني خرقاء بيت ذي الرّمة فيها قلت: هيهات يا عمّة، قد ذهب ذلك منك، قالت: لا تقل[7]يا بنيّ، أ ما سمعت قول قحيف[8] فيّ:

ثم قالت: رحم اللّه ذا الرمة؛ فقد كان رقيق البشرة، عذب المنطق، حسن الوصف، مقارب الرّصف، عفيف الطّرف، فقلت لها: لقد أحسنت الوصف، فقالت: هيهات أن يدركه وصف، رحمه اللّه، و رحم من سمّاه اسمه.

[1]السماط: الصف.

[2]ف: «تحادثهم» .

[3]جـ: «حتى انتهيت» .

[4]جـ: «كرمت» .

[5]جـ: «فما كانت» .

[6]ف: «فحييته و استنشدته» .

[7]أ: «لا تغفل» .

[8]أ، و «المختار» : «عجيف» . و انظر «المختار» 6: 63.

فقلت: و من سمّاه؟قالت: سيد بني عديّ الحصين بن عبدة بن نعيم، ثم أنشدتني لنفسها في ذي الرمة: /

لقد أصبحت في فرعي معدّ # مكان النّجم في فلك السماء

إذا ذكرت محاسنه تدرّت # بحار الجود من نحو السماء[1]

حصين شاد باسمك غير شكّ # فأنت غياث محل بالفناء

إذا ضنّت سحابة ماء مزن # تثجّ بحار جودك بارتواء

لقد نصرت باسمك أرض قحط # كما نثرت[2]عديّ بالثّراء

فقلت: أحسنت يا خرقاء، فهل سمع ذلك منك ذو الرمة؟قالت: إي و ربي، قلت: فما ذا قال؟قالت: قال: شكر اللّه لك يا خرقاء نعمة ربّيت شكرها من ذكرها، فقالت: أثقلنا حقّها، ثم قالت: اللهم غفرا، هذا في اللفظ، و نحتاج إلى العمل.

رجل من بني النجار يمر ببيت خرقاء و يحادث ابنتها

أخبرني جحظة، عن حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، عن ابن كناسة، عن خيثم بن حجّيّة العجليّ، قال: حدثني رجل من بني النجار، قال: خرجت/ أمشي في ناحية البادية، فمررت على فتاة قائمة على باب بيت فقمت[3]أكلّمها فنادتني عجوز من ناحية الخباء: ما يقيمك على هذا الغزال النّجديّ؟فو اللّه ما تنال[4]خيرا منه و لا ينفعك، قال: و تقول هي: دعيه يا أمّاه يكن كما قال ذو الرمة[5]: و إن لم يكن إلاّ معرّس ساعة # قليلا فإني نافع لي قليلها

فسألت عنهما، فقيل لي: العجوز خرقاء ذي الرمة و الفتاة بنتها.

ذو الرمة يموت و له أربعون سنة

و توفي ذو الرمة في خلافة هشام بن عبد الملك، و له أربعون سنة. و قد اختلفت[6]الرواة في سبب وفاته.

روايات مختلفة في وفاته

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، عن أبي سعيد السّكّريّ، عن يعقوب بن السّكيت: أنه بلغ أربعين سنة، و فيها توفي[7]، و هو خارج إلى هشام بن عبد الملك، و دفن[8]بحزوى، و هي الرملة التي كان يذكرها في شعره.

[1]ما: «ماء السماء» .

[2]جـ: «مطرت» .

[3]ف: «فوقفت» .

[4]حـ: «لا تصيب» .

[5] «ديوانه» 550. و فيه: «فإن لم يكن إلا تعلل» .

[6]جـ: «اختلف» .

[7]جـ: «مات» .

[8]جـ: «فدفن» . ـ

أخبرني[1]أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثني ابن أبي عديّ قال:

قال ذو الرمة: بلغت نصف الهرم و أنا ابن أربعين[سنة][2].

قال ابن سلاّم: و حدثني أبو الغرّاف أنه مات و هو يريد هشاما، و قال في طريقه في ذلك[3]:

بلاد بها أهلون لست ابن أهلها # و أخرى بها أهلون ليس بها أهل

و قال هارون بن محمد بن عبد الملك: حدثني القاسم بن محمد الأسديّ، قال: حدثني جبر بن رياط قال:

أنشد ذو الرمة الناس شعرا له، وصف فيه الفلاة بالثّعلبية[4]، فقال له حلبس الأسديّ: إنك لتنعت الفلاة نعتا لا تكون منيّتك إلا بها.

قال: و صدر ذو الرمة على أحد جفري بني تميم و هما على طريق الحاجّ من البصرة، فلما أشرف على البصرة[5]قال[6]:

و إنّي لعاليها و إني لخائف # لما قال يوم الثّعلبيّة حلبس[7]

/قال: و يقال: إن هذا آخر شعر قاله. فلما توسّط الفلاة نزل عن راحلته فنفرت منه، و لم تكن تنفر منه، و عليها شرابه و طعامه، فلما دنا منها نفرت حتى مات، فيقال: إنه قال عند ذلك[8]:

ألا أبلغ الفتيان[9]عنّي رسالة # أهينوا[10]المطايا هنّ أهل هوان

فقد تركتني صيدح بمضلّة # لساني ملتاث من الطّلوان[11]

قال هارون: و أخبرني أحمد بن محمد الكلابيّ بهذه القصة، و ذكر أن ناقته وردت على أهله في مياههم، فركبها أخوه، و قصّ أثره، حتى وجده ميّتا و عليه خلع الخليفة، و وجد هذين البيتين مكتوبين على قوسه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز[12]، عن الرّياشيّ، عن الأصمعيّ، عن أبي الوجيه، قال:

دخلت على ذي الرمة و هو يجود بنفسه، فقلت له: كيف تجدك؟قال: أجدني و اللّه أجد ما لا أجد[13]أيام [1]ابن سلام 480.

[2]من ابن سلام.

[3]جـ: «تلك» ، و البيت في «ديوانه» 458، و ابن سلام 480. و في ف، و «الديوان» : «ليسوا بأهلها» ، و في ف بعد البيت: «و يروى: ليسوا بأهلنا» .

[4]جـ: «و هو بالثعلبية» . و الثعلبية: من منازل طريق مكة.

[5]جـ: «الفلاة» .

[6] «ديوانه» 668.

[7]جـ: «التغلبية حابس» ، و المثبت في «الديوان» و «المختار» .

[8] «ديوانه» 675.

[9]ف: «الركبان» .

[10]أ: «أهين» .

[11]الطلوان: بياض يعلو اللسان من مرض أو عطش.

[12]حـ: «عمر بن عبد العزيز بن أحمد» .

[13]حـ: «ما أجد» .

أزعم أني ما لم أجد حيث أقول[1]: كأنّي غداة[2]الزّرق[3]يا ميّ مدنف # يجود بنفس قد أحمّ[4]حمامها

حذار اجتذام البين أقران نيّة # مصاب[5]و لو عات[6]الفؤاد انجذامها

/قال: و كان آخر ما قاله[7]:

يا ربّ قد أشرفت نفسي و قد علمت # علما يقينا لقد أحصيت آثاري

يا مخرج الرّوح من جسمي إذا احتضرت # و فارج الكرب زحزحني عن النّار

/قال أبو الوجيه: و كانت منيّته هذه في الجدريّ، و في ذلك يقول[8]: أ لم يأتها أنّي تلبّست بعدها # مفوّفة صوّاغها غير أخرق[9]

نسخت من كتاب هارون بن الزيات: حدثني عبد الوهاب بن إبراهيم الأزديّ، قال: حدثني جهم بن مسعدة، قال: حدثني محمد بن الحجاج الأسديّ، عن أبيه، قال: وردت حجرا و ذو الرمة به، فاشتكى شكايته التي كانت منها منيّته، و كرهت أن أخرج حتى أعلم بما يكون في[10]شكاته، و كنت أتعهّده، و أعوده في اليوم و اليومين، فأتيته يوما و قد ثقل، فقلت: يا غيلان، كيف تجدك؟ فقال: أجدني و اللّه يا أبا المثنى اليوم في الموت، لا غداة[11]أقول: كأني غداة الزّرق[12]يا ميّ مدنف # يكيد بنفس قد أحمّ حمامها

فأنا و اللّه الغداة في ذلك[13]، لا تلك الغداة.

قال هارون بن الزيات: حدثني موسى بن عيسى الجعفريّ، قال: أخبرني أبي قال: أخبرني رجل من بني تميم، قال: كانت ميتة ذي الرمة أنه اشتكى النّوطة[14]فوجعها دهرا، فقال في ذلك[15]: [1] «ديوانه» 637.

[2]حـ: «كأني يوم البين» .

[3]حـ: «الرزق... يكيد بنفس» . و في «الديوان» : «يكيد بنفس» .

[4] «الديوان» : «أجم» . و أحم: دنا و قرب. و الحمام: الموت.

[5]حـ و «الديوان» : «مصيب» .

[6]حـ: «كروعات» ، و في «الديوان» : «لو قرأت الفؤاد» .

[7] «ديوانه» 667.

[8] «ديوانه» 670.

[9]جـ: «تبدلت» . و في «الديوان» : «غير أخرقا» .

[10]جـ: «من شكاته» .

[11]جـ: «لا في غداة» .

[12]جـ: «الرزق» .

[13]جـ: «في ذلك اليوم» .

[14]النوطة: ورم في الصدر، أو غدة في البطن مهلكة. («القاموس») .

[15] «ديوانه» 491.

ألفت كلاب الحيّ حتى عرفنني # و مدّت نساج[1]العنكبوت على رحلي

/قال: ثم قال لمسعود أخيه: يا مسعود، قد أجدني تماثلت و خفّت الأشياء عندنا، و احتجنا إلى زيارة بني مروان، فهل لك بنا فيهم؟فقال: نعم، فأرسله إلى إبله يأتيه[2]منها بلبن يتزوده، و واعده مكانا، و ركب ذو الرمة ناقته فقمصت به، و كانت قد أعفيت[3]من الركوب، و انفجرت[4]النّوطة التي كانت به. قال: و بلغ موعد صاحبه و جهد و قال: أردنا شيئا و أراد اللّه شيئا، و إن العلّة التي كانت بي انفجرت. فأرسل إلى أهله فصلّوا[5]عليه، و دفن برأس حزوى، و هي الرملة التي كان يذكرها في شعره.

قبره بالدهناء

نسخت من كتاب عبيد اللّه[6]بن محمد اليزيديّ: قال أبو عبيدة و ذكر هارون[7]بن الزيات، عن محمد بن عليّ بن المغيرة، عن أبيه، عن أبي عبيدة، عن المنتجع بن نبهان قال:

لما احتضر ذو الرمة قال: إني لست ممن يدفن في الغموض و الوهاد، قالوا: فكيف نصنع بك و نحن في رمال الدهناء؟قال: فأين أنتم من كثبان حزوى؟-قال: و هما رملتان مشرفتان على ما حولهما من الرمال-قالوا: فكيف نحفر لك في الرمل[8]و هو هائل؟قال: فأين الشجر و المدر و الأعواد؟قال: فصلّينا عليه في بطن الماء، ثم حملنا له الشجر و المدر على الكباش، و هي أقوى على الصّعود في الرمل من الإبل. فجعلوا قبره هناك و زبّروه[9]بذلك الشجر و المدر، و دلّوه في قبره، فأنت إذا عرفت موضع قبره رأيته قبل أن تدخل الدهناء، و أنت بالدّوّ[10]على مسيرة ثلاث.

قال هارون: و حدثني محمد بن صالح العدويّ، قال: ذكر أبو عمرو المراديّ:

/إن قبر ذي الرمة بأطراف عناق من وسط الدّهناء مقابل الأواعس، و هي أجبل شوارع يقابلن الصّريمة[11] صريمة النّعام، و هذا الموضع لبني سعد و يختلط معهم الرّباب.

قال هارون: و حدثني هارون بن مسلم، عن الزّياديّ، عن العلاء بن برد، قال:

ما كان شيء أحبّ إلى ذي الرمة إذا ورد ماء من أن يطوي و لا يسقي[12]، فأخبرني مخبر أنه مر بالجفر و قد جهده العطش، قال:

فسمعته يقول:

[1]في «الديوان» :

«أتتني... # و مدت نسوج»

. و في «المختار» : «و مدت مسوح» .

[2]أ: «ليأتيه» .

[3]ف: «عنت» .

[4]ف: «فانفجرت» .

[5] «المختار» : «فأتوه و صلوا عليه» .

[6]ف: «عبد اللّه» .

[7]ف: «و ذكر هارون بن محمد الزيات» .

[8]ف: «رمل هائل» .

[9]أ: «و دثروه» . و الزبر أصله طي البئر بالحجارة.

[10]ياقوت: الدو: أرض ملساء بين مكة و البصرة.

[11]أ: «الصرمة» .

[12]ف: «و لا يستكفي» .

يا مخرج الرّوح من جسمي إذا احتضرت # و فارج الكرب زحزحني عن النار

ثم قضى.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ، عن عمه، عن عيسى بن عمر، قال: كان ذو الرمة ينشد الشعر، فإذا فرغ قال: و اللّه لأكسعنّك[1]بشيء ليس في حسابك: سبحان اللّه، و الحمد للّه، و لا إله إلا اللّه، و اللّه أكبر.

كان حسن الصلاة و الخشوع

أخبرني الحسن بن عليّ، و وكيع، عن أبي أيوب، قال: حدثني أبو معاوية الغلابيّ، قال: كان ذو الرمّة حسن الصلاة، حسن الخشوع، فقيل له: ما أحسن صلاتك!فقال: إن العبد إذا قام بين يدي اللّه لحقيق أن يخشع.

أخوه مسعود يرثيه

نسخت من كتاب عبيد اللّه اليزيديّ قال: حدثني عبد الرحمن، عن عمّه، عن أبي عمرو بن العلاء، قال: كان مسعود أخو ذي الرمة يمشي معي كثيرا إلى منزلي فقال لي يوما، و قد بلغ قريبا من منزلي: أنا الذي أقول في أخي ذي الرّمة: إلى اللّه أشكو لا إلى الناس أنني # و ليلى كلانا موجع مات وافده[2]

فقلت له: من ليلى؟فقال: بنت أخي ذي الرمة.

[1]كسعه: ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه.

[2]ف: «قائده» .

2-ذكر خبر إبراهيم في هذه الأصوات الماخوريّة

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، عن ابن شبّة، عن إسحاق الموصليّ، عن أبيه، قال: صنعت لحنا فأعجبني، و جعلت أطلب له شعرا، فعسر ذلك عليّ، فأريت في المنام كأن رجلا لقيني، فقال لي: يا إبراهيم، أ و قد أعياك شعر لغنائك هذا الذي تعجب به؟قلت: نعم. قال: فأين أنت من قول ذي الرمة[1]: ألا يا اسلمى يا دار ميّ على البلى # و لا زال منهلاّ بجرعائك القطر

قال: فانتهيت فرحا بالشعر؛ فدعوت من ضرب عليّ فغنيته، فإذا هو أوفق ما خلق اللّه، فلما عملت هذا الغناء في شعر ذي الرمة نبّهت عليه و على شعره، فصنعت فيه ألحانا ماخورية منها[2]: أ منزلتي ميّ سلام عليكما # هل الأزمن اللاّئي مضين رواجع!

و غنّيت بها الهادي فاستحسنها، و كاد يطير فرحا، و أمر لكل صوت بألف دينار.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

ألا يا اسلمي يا دار ميّ على البلى # و لا زال منهلاّ بجرعائك القطر

و لو[3]لم تكوني غير شام بقفرة # تجرّ بها الأذيال صيفيّة كدر[4]

/عروضه من الطويل. و قوله: يا اسلمي هاهنا نداء؛ كأنه قال: يا دار ميّ اسلمي، و يا هذه اسلمي، يدعو لها بالسلامة. و مثله قول اللّه عزّ و جلّ: **أَلاَّ يَسْجُدُوا[5]لِلَّهِ اَلَّذِي يُخْرِجُ اَلْخَبْءَ فِي اَلسَّمَاوَاتِ وَ اَلْأَرْضِ** ، فسّره أهل اللغة هكذا، كأنه قال: يا قوم اسجدوا للّه. و ميّ ترخيم ميّة إلا أنه أقامه هاهنا مقام الاسم الذي لم يرخّم فنوّنه. و قوله: على البلى، أي اسلمي و إن كنت قد بليت. و المنهلّ: الجاري، يقال: انهلّ المطر انهلالا، إذا سال.

و الجرعاء و الأجرع من الرمل: الكثير/الممتد. و الشام: موضع يخالف لون الأرض، و هو جمع، واحدته شامة.

و القفر: ما لم يكن فيه نبات و لا ماء، تجر بها الأذيال صيفية يعني الرياح الصيفية الحارة. و أذيالها: مآخيرها التي تسفي التراب على وجه الأرض، شبهها بذيل المرأة، و عنى بها أوائلها. و الكدر: التي فيها الغبرة من القتام [1] «ديوانه» 206.

[2] «ديوانه» 332.

[3]في «الديوان» : «فإن لم تكوني» .

[4]شام: جمع شامة؛ و هي بقعة تخالف لون الأرض. صيفية: رياح فيها كدر و غبرة.

[5]على قراءة التخفيف. و انظر القرطبي 13: 186. و الآية في سورة النمل 25.

و الفجاج؛ فهي تعفّي الآثار و تدفنها. غنّاه إبراهيم الموصليّ ماخوريّا بالوسطى. و منها[1]:

صوت

أ منزلتي ميّ سلام عليكما # هل الأزمن اللائي مضين رواجع!

و هل يرجع التّسليم أو يكشف العمى # ثلاث الأثافي و الدّيار البلاقع![2]

توهمتها يوما فقلت لصاحبي # و ليس لها إلاّ الظباء الخواضع[3]

و موشيّة سحم[4]الصّياصي كأنها # مجلّلة حوّ عليها البراقع

عروضه من الطويل. غنّاه إبراهيم ماخوريّا بالوسطى. و الأزمن و الأزمان جمع/زمان. و العمى: الجهالة.

و الأثافيّ الثلاث هي الحجارة التي تنصب عليها القدر، واحدتها أثفيّة. و الخواضع من الظباء: اللاتي قد طأطأت رءوسها. و الموشيّة: يعني البقر. و الصّياصي: القرون واحدتها صيصية. و المجلّلة: التي كأن عليها جلالا[5] سودا. و الحوّة: حمرة في سواد. و مما يغنّي فيه من هذه القصيدة قوله[6]:

صوت

قف العنس[7]ننظر نظرة في ديارها # و هل ذاك من داء الصبابة نافع![8]

فقال: أ ما تغشى لميّة منزلا # من الأرض إلا قلت: هل أنا رابع![9]

و قلّ لأطلال لميّ تحيّة[10] # تحيّا بها أو أن ترشّ المدامع

العنس: الناقة. و الرابع: المقيم. و قلّ لأطلال، أي ما أقل لهذه الأطلال مما أفعله. و ترش المدامع، أي تكثر نضحها الدموع. غناه إبراهيم الموصليّ ماخوريا.

و ذكر ابن الزيات، عن محمد بن صالح العذريّ، عن الحرمازيّ، قال: مرّ الفرزدق على ذي الرمة و هو ينشد:

أ منزلتي ميّ سلام عليكما

فلمّا فرغ قال له: يا أبا فراس، كيف ترى؟قال: أراك شاعرا. قال: فما أقعدني عن غاية الشعراء؟قال: بكاؤك على الدّمن، و وصفك القطا و أبوال الإبل.

[1] «ديوانه» 332.

[2] «الديوان» : «الرسوم البلاقع» .

[3]جـ: «الخواشع» .

[4]الأسحم: الأسود؛ و جمعه سحم. و أصل الصياصي الحصون و المعاقل؛ و لما كانت البقر تحمي بقرونها سميت قرونها صياصى.

يقول: كأن البقر خيل مجللة. حو: دهم، يعني الخيل.

[5]جـ: «أجلالها» .

[6] «ديوانه» 333.

[7]ب، و «الديوان» : «العيس» . و العنس: الناقة الصلبة القوية.

[8]أ: «رافع» .

[9] «الديوان» ، جـ: «هل أنت رابع» .

[10] «الديوان» : «و قل إلى أطلال ميّ تحية» .

ذو الرمة و عصمة بن مالك يزوران ميّة

حدثني ابن عمار و الجوهريّ، و حبيب المهلّبيّ، عن ابن شبّة[1]، عن إسحاق الموصليّ، عن مسعود بن قند، قال: /تذاكرنا ذا الرمة يوما فقال عصمة بن مالك: إياي فاسألوا عنه، قال: كان حلو العينين، حسن النغمة، إذا حدّث لم تسأم حديثه، و إذا أنشدك بربر[2]و جشّ صوته، جمعني و إيّاه مربع مرّة، فقال لي: هيا عصمة، إن ميّة من منقر، و منقر أخبث حيّ و أقفاه لأثر، و أثبته في نظر، و أعلمه بشرّ، و قد عرفوا آثار إبلي؛ فهل عندك من ناقة نزدار[3]عليها ميّة؟قلت: إي و اللّه عندي الجؤذر بنت يمانية الجدليّ، قال: فعليّ بها. فأتيته بها، فركب و ردفته فأتينا محلّة ميّة، و القوم خلوف و النساء في الرحال، فلمّا رأين ذا الرمة اجتمعن إلى ميّ، و أنخنا قريبا و أتيناهنّ، فجلسنا إليهنّ، فقالت ظريفة منهنّ: أنشدنا/يا ذا الرمة. فقال لي: أنشدهنّ يا عصمة. فأنشدت قصيدته التي يقول فيها[4]: نظرت إلى أظعان ميّ كأنها # ذرا النّخل أو أثل تميل ذوائبه

فأسبلت العينان و القلب كاتم # بمغرورق نمّت عليه سواكبه

بكاء فتى خاف الفراق و لم تجل # جوائلها أسراره و معاتبه[5]

قالت الظريفة: فالآن فلتجل، ثم أنشدت حتى أتيت على قوله[6]:

و قد حلفت باللّه ميّة ما الذي # أحدّثها إلاّ الذي أنا كاذبه

إذا فرماني اللّه من حيث لا أرى # و لا زال في أرضي عدوّ أحاربه

فقالت ميّة: ويحك يا ذا الرّمة!خف اللّه و عواقبه. ثم أنشدت حتى أتيت على قوله: إذا سرحت من حبّ ميّ سوارح # على القلب أبّته جميعا عوازبه

/فقالت الظريفة: قتلته قتلك اللّه!فقالت ميّة: ما أصحّه و هنيئا له! فتنفّس ذو الرّمة تنفيسة كاد حرّها يطير بلحيتي، ثم أنشدت حتى أتيت على قوله[7]: إذا نازعتك القول ميّة أو بدا # لك الوجه منها أو نضا الدّرع سالبه

فما شئت من خدّ أسيل[8]و منطق # رخيم و من خلق تعلّل جادبه[9]

[1]جـ: «حدثني أحمد بن عبيد اللّه بن عمار، و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، و حبيب بن نصر المهلبي، قالوا: حدثنا عمر بن شبة... » .

[2]بربر في كلامه: أكثر منه. و البربرة: الجلبة و الصياح.

[3]ازداره: زاره.

[4] «ديوانه» 39.

[5]جـ: «و مغايبه» . و في «الديوان» : «هوى آلف جاء الفراق فلم تجل» .

[6] «ديوانه» 42.

[7] «ديوانه» 42.

[8] «الديوان» : «فيا لك من خدّ أسيل» .

[9]جادبه: عاتبه.

فقالت الظريفة: فقد بدا لك الوجه و تنوزع[1]القول، فمن لنا بأن ينضو الدرع سالبه؟فقالت لها ميّة: قاتلك اللّه!فما ذا تأتين به!فتضاحكت الظريفة و قالت: إن لهذين لشأنا فقوموا بنا عنهما، فقامت و قمن معها[2]، و قمت فخرجت، و كنت قريبا حيث أراهما و أسمع ما ارتفع من كلاميهما، فو اللّه ما رأيته تحرك من مكانه الذي خلّفته فيه حتى ثاب أوائل الرجال، فأتيته فقلت: انهض بنا فقد ثاب القوم فودّعها فركب و ردفته و انصرفنا.

و منها[3]:

صوت

إذا هبّت الأرواح من أيّ جانب # به أهل ميّ هاج قلبي هبوبها

هوّى تذرف العينان منه و إنما # هوى كلّ نفس حيث كان حبيبها

الغناء لإبراهيم ماخوريّ بالوسطى عن الهشاميّ.

صوت

إني تذكّرني الزّبير حمامة # تدعو بمجمع نخلتين هديلا

أفتى النّدى و فتى الطّعان قتلتم # و فتى الرّياح إذا تهبّ بليلا

لو كنت حرّا يا بن قين مجاشع # شيّعت ضيفك فرسخا أو ميلا

و في أخرى: فرسخين و ميلا:

قالت قريش: ما أذلّ مجاشعا # جارا و أكرم ذا القتيل قتيلا!

الشعر لجرير، يهجو الفرزدق و يعيّره بقتل عشيرته الزّبير بن العوّام يوم الجمل، و الغناء للغريض ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو.

[1]جـ: «من متوزع القلب» .

[2]جـ: «وهن» .

[3] «ديوانه» 66 و فيه: «من نحو جانب» .

3-ذكر مقتل الزبير و خبره

الزبير و علي بن أبي طالب

حدّثنا أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار، و أحمد بن عبد العزيز، عن ابن شبّة قالا: حدثنا المدائنيّ، عن أبي بكر الهذليّ، عن قتادة قال: سار أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات اللّه عليه من الزّاوية[1]يريد طلحة و الزّبير و عائشة، و صاروا من الفرضة[2]يريدونه، فالتقوا عند قصر عبيد اللّه بن زياد يوم الخميس النصف من جمادى الآخرة سنة ستّ و ثلاثين، فلما تراءى الجمعان خرج الزّبير على فرس و عليه سلاحه، فقيل لعليّ صلوات اللّه عليه: هذا الزّبير، فقال: أما و اللّه إنه أحرى الرجلين إن ذكّر باللّه أن يذكره، و خرج طلحة، و خرج عليّ عليه السلام إليهما، فدنا منهما حتى اختلفت أعناق دوابّهم، فقال لهما: لعمري لقد أعددتما خيلا و رجالا[3]، إن كنتما أعددتما عند اللّه عذرا فاتّقيا اللّه و لا تكونا **كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً** [4]أ لم أكن أخاكما في دينكما تحرّمان دمي و أحرّم دماءكما؟ فهل من حدث أحلّ لكما دمي؟فقال له طلحة[5]: ألّبت الناس على عثمان، فقال: يا طلحة، أ تطلبني بدم عثمان؟فلعن اللّه قتلة عثمان، يا زبير، أتذكر يوم مررت مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و آله في بني غنم، فنظر إليّ و ضحك، و ضحكت إليه، فقلت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال: مه ليس بمزهوّ، و لتقاتلنّه و أنت له ظالم، فقال: اللهمّ نعم، و لو ذكّرت ما سرت مسيري هذا، و اللّه لا أقاتلك أبدا. و انصرف عليّ صلوات اللّه عليه إلى أصحابه و قال: أما الزّبير فقد أعطى اللّه عهدا ألاّ يقاتلني.

/قال: و رجع الزبير إلى عائشة فقال لها: ما كنت في موطن مذ عقلت إلاّ و أنا أعرف فيه أمري غير موطني هذا، قالت: و ما تريد أن تصنع؟قال: أدعهم و أذهب، فقال له ابنه عبد اللّه: أجمعت بين هذين الغارين[6]حتى إذا حدّد بعضهم لبعض أردت أن تذهب و تتركهم؟أ خشيت[7]رايات ابن أبي طالب و علمت أنّها تحملها فتية أنجاد.

فأحفظه، فقال: إني حلفت ألاّ أقاتله. قال: كفّر عن يمينك و قاتله، فدعا غلاما له يدعى مكحولا فأعتقه، فقال عبد الرحمن بن سليمان التيميّ: لم أر كاليوم أخا إخوان[8] # أعجب من مكفّر الأيمان

[1]الزاوية: عدة مواضع، منها موضع قرب البصرة.

[2]في ب: «الفريضة» .

[3]في «التجريد» : «و سلاحا» .

[4]النحل 92.

[5]في «التجريد» : «فقالا: ألبت... » .

[6]الغار: الجيش الكثير. و في ب: «العارين» .

[7]في بيروت: «أحسست» .

[8]في «التجريد» : «أخا خوان» .

بالعتق في معصية الرّحمن

و قال بعض شعرائهم:

يعتق مكحولا لصون دينه # كفّارة للّه عن يمينه

و النّكث قد لاح على جبينه

مقتل الزبير

حدثني ابن عمّار[1]و الجوهريّ قال: حدثنا ابن شبّة[2]، عن عليّ بن محمد النوفليّ، عن الهذليّ، عن قتادة، قال:

وقف الزبير على مسجد بني مجاشع فسأل عن عياض بن حمّاد، فقال له النعمان بن زمام: هو بوادي السّباع فمضى يريده.

حدثني ابن عمّار و الجوهريّ، عن عمر، قال: حدّثني المدائنيّ، عن أبي مخنف، عمّن حدّثه عن الشعبيّ، قال:

خرج النعمان مع الزبير حتى بلغ النّجيب[3]، ثم رجع.

/قال: و حدثنا عن مسلمة بن محارب، عن عوف، و عن أبي/اليقظان، قالا:

مرّ الزّبير ببني حمّاد فدعوه إلى أنفسهم فقال: اكفوني خيركم و شرّكم، فو اللّه ما كفوه خيرهم و شرّهم. و مضى ابن فرتنى إلى الأحنف و هو بعرق سويقه، فقال: هذا الزّبير قد مرّ، فقال الأحنف: ما أصنع به!جمع بين غارين من المسلمين، فقتل بعضهم بعضا، ثم مرّ يريد أن يلحق بأهله. فقام عمرو بن جرموز و فضالة بن حابس و نفيع بن كعب أحد بني عوف[4]-و يقال نفيع بن عمير-فلحقوه بالعرق، فقتل قبل أن ينتهي إلى عياض، قتله عمرو بن جرموز.

حدثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجليّ الكوفيّ، و جعفر بن محمد بن الحسن العلويّ الحسنيّ[5]، و العباس بن عليّ بن العبّاس و أبو عبيد الصّيرفيّ، قالوا: حدثنا محمد بن عليّ بن خلف العطّار، قال: حدّثنا عمرو بن عبد الغفار، عن سفيان الثوريّ، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال:

حدثني ابن عباس قال:

‴

قال لي عليّ صلوات اللّه عليه: ائت الزبير فقل له: يقول لك عليّ بن أبي طالب نشدتك اللّه، أ لست قد بايعتني طائعا غير مكره. فما الذي أحدثت فاستحللت به قتالي؟.

و قال أحمد بن يحيى في حديثه: قل لهما: إن أخاكما يقرأ عليكما السلام و يقول: هل نقمتما عليّ جورا في [1]ف: «أحمد بن عبيد اللّه بن عمار» .

[2]ف: «عمر بن شبة» .

[3]هب: «النحيت» .

[4]في «الطبقات» 3-78: «عمير بن جرموز التميمي، و فضالة بن حابس التميمي، و نفيع أو نفيل بن حابس التميمي» .

[5]في ف: «الحيني» .

حكم أو استئثارا بفيء؟فقالا: لا، و لا واحدة منهما، و لكن الخوف و شدّة الطمع.

و قال محمد بن خلف في خبره: فقال الزبير: مع الخوف شدّة المطامع، فأتيت عليّا عليه السلام فأخبرته بما قال الزبير، فدعا بالبغلة فركبها و ركبت معه، فدنوا حتى/اختلفت أعناق دابّتيهما فسمعت عليّا صلوات اللّه عليه يقول: نشدتك اللّه يا زبير، أتعلم أني كنت أنا و أنت في سقيفة بني فلان تعالجني و أعالجك فمرّ بي-يعني النبيّ صلّى اللّه عليه و سلم-فقال: كأنّك تحبّه!فقلت: و ما يمنعني!قال: أما إنه ليقاتلنّك و هو لك ظالم. فقال الزبير: اللهمّ نعم، ذكّرتني ما نسيت، و ولّى راجعا. و نادى منادي عليّ: ألا لا تقاتلوا القوم حتى يستشهدوا منكم رجلا، فما لبث أن أتي برجل يتشحّط[1]في دمه، فقال عليّ عليه السلام: اللهمّ اشهد، اللهمّ اشهد، اللهمّ اشهد. و أمر الناس فشدّوا عليهم، و أمر الصّرّاخ فصرخوا: لا تذفّفوا[2]على جريح و لا تتبعوا مدبرا، و لا تقتلوا أسيرا.

حدثنا إبراهيم بن عبد اللّه بن محمد بن أيوب المخزوميّ، عن سعيد بن محمد الجرميّ، عن أبي الأحوص، عن عاصم بن بهدلة، عن زرّ بن حبيش، و لا أحسبه إلا قال: كنت قاعدا عند عليّ عليه السلام، فأتاه آت فقال: هذا ابن جرموز قاتل الزبير بن العوّام يستأذن على الباب، قال: ليدخلنّ قاتل ابن صفيّة النّار، إني سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يقول: «إن لكلّ نبيّ حواريّ و إنّ حواريّ الزبير» .

أخبرني الطّوسيّ و حرميّ، عن الزّبير، عن عليّ بن صالح[3]، عن سالم بن عبد اللّه بن عروة، عن أبيه: أن عمرا أو عويمر بن جرموز[4]قاتل الزبير أتى مصعبا حتى وضع يده في يده، فقذفه في السجن، و كتب إلى عبد اللّه بن الزبير يذكر له أمره، فكتب إليه عبد اللّه: بئس ما صنعت، أ ظننت أنّي أقتل أعرابيّا من بني تميم بالزّبير! خلّ سبيله، فخلّاه.

عاتكة ترثي الزبير

أخبرني الطوسيّ و الحرميّ، عن الزّبير، عن عمه قال: قتل الزبير و هو ابن/سبع و ستين سنة أو ستّ و ستين سنة، فقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن/نفيل ترثيه: غدر ابن جرموز بفارس بهمة # يوم اللقاء و كان غير معرّد[5]

يا عمرو لو نبّهته لوجدته # لا طائشا رعش اللسان و لا اليد[6]

شلّت يمينك إن قتلت لمسلما # حلّت عليك عقوبة المستشهد[7]

إنّ الزّبير لذو بلاء صادق # سمح سجيّته كريم المشهد

كم غمرة قد خاضها لم يثنه # عنها طرادك يا ابن فقع القردد[8]

[1]تشحط في الدم: تضرج به.

[2]ذففه و ذف عليه: أجهز عليه.

[3]في ف: «أخبرني الطوسي الحرمي بن أبي العلاء، قالا: حدثنا الزبير بن بكار» .

[4]ف: «عمرو بن عمير بن جرموز» .

[5]البهمة: الشجاع، و يراد بالهمة هنا الجيش. و المعرد: الهارب المحجم عن قرنه.

[6]في ف: «السنان» . و في «التجريد» : «البنان» . و في «الطبقات» : 3-79: «رعش الجنان» .

[7]هب، «التجريد» ، «الطبقات» : «المتعمد» .

[8]الفقع: نوع من الكمأة، و القردد: المستوى، و يقال للذليل: فقع قرقرة، و فقع القردد. و في ف: «يا ابن نبع القردد» . و في ب: «يوم نقع» - .

فاذهب فما ظفرت يداك بمثله # فيمن مضى ممن يروح و يغتدي[1]

و كانت عاتكة قبل الزبير عند عمر، و قبل عمر عند عبد اللّه بن أبي بكر.

عبد اللّه بن أبي بكر و عاتكة

أخبرني بخبرها محمد بن خلف وكيع، عن أحمد بن عمرو بن بكر، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا الهيثم بن عديّ، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، و أخبرنا وكيع، قال: حدثني إسماعيل بن مجمّع[2] عن المدائنيّ.

و أخبرني الطوسيّ و الحرميّ، قالا: حدثنا الزبير، عن عمّه، عن أبيه، و أخبرني اليزيديّ، عن الخليل بن أسد، عن عمرو بن سعيد، عن الوليد بن هشام بن يحيى الغسّانيّ.

و أخبرني الجوهريّ، عن ابن شبّة، قال: حدثنا محمد بن موسى الهذليّ، و كل/واحد منهم يزيد في الرواية و ينقص منها، و قد جمعت رواياتهم قالوا: تزوج عبد اللّه بن أبي بكر الصّدّيق عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، و كانت امرأة لها جمال و كمال و تمام في عقلها و منظرها و جزالة رأيها، و كانت قد غلبته على رأيه فمرّ عليه أبو بكر أبوه و هو في علّيّة[3]يناغيها[4]في يوم جمعة، و أبو بكر متوجه إلى الجمعة، ثم رجع و هو يناغيها، فقال: يا عبد اللّه أ جمّعت[5]؟قال: أو صلّى الناس؟ قال: نعم-قال: و قد كانت شغلته عن سوق و تجارة كان فيها-فقال له أبو بكر: قد شغلتك عاتكة عن المعاش و التجارة، و قد ألهتك عن فرائض الصلاة[6]طلّقها، فطلّقها تطليقة، و تحولت إلى ناحية[7]، فبينا أبو بكر يصلّي على سطح له في الليل إذ سمعه و هو يقول: أ عاتك لا أنساك ما ذرّ شارق[8] # و ما ناح قمريّ الحمام المطوّق

أ عاتك قلبي كلّ يوم و ليلة # لديك بما تخفي النفوس معلّق

لها خلق جزل و رأي و منطق # و خلق مصون في حياء و مصدق[9]

فلم أر مثلي طلّق اليوم مثلها # و لا مثلها في غير شيء تطلّق

فسمع أبو بكر قوله فأشرف عليه و قد رقّ له، فقال: يا عبد اللّه، راجع عاتكة، فقال: أشهدك أني قد راجعتها.

و أشرف على غلام له يقال له أيمن، فقال له: يا أيمن، أنت حرّ لوجه اللّه تعالى، أشهدك أني قد راجعت عاتكة، ثم خرج إليها يجري إلى مؤخّر الدار و هو يقول: [1]في هب: «فيما مضى ممن يروح و يغتدي» . و في ف: «فيما مضى فيما تروح و تغتدي» .

[2]ف: «محمد» .

[3]العلية «بالضم و الكسر» : بيت منفصل عن الأرض.

[4]في «المختار» : «يداعبها» .

[5]جمع: شهد الجمعة.

[6]في «التجريد» ، بيروت، «المختار» : «فرائض اللّه تعالى» .

[7]في ف، هب: «ناحية الدار» .

[8]ما ذر شارق: ما طلعت الشمس حين تشرق.

[9]في «الخزانة» 4-351: «... و رأي و منصب... و خلق سوى في الحياة و مصدق» .

أ عاتك قد طلّقت في غير ريبة # و روجعت[1]للأمر الذي هو كائن

كذلك أمر اللّه غاد و رائح # على الناس فيه ألفة و تباين

و ما زال قلبي للتّفرّق طائرا # و قلبي لما قد قرّب اللّه ساكن[2]

ليهنك أني لا أرى فيك سخطة # و أنك قد تمّت عليك المحاسن/

فإنك ممّن زيّن اللّه وجهه # و ليس لوجه زانه اللّه شائن

قال: و أعطاها حديقة له حين راجعها على ألاّ تتزوّج بعده، فلما مات من السهم الذي أصابه بالطائف، أنشأت تقول: فللّه عينا من رأى مثله فتى[3] # أكرّ و أحمى في الهياج و أصبرا

إذا شرعت فيه الأسنّة خاضها # إلى الموت حتى يترك الرّمح أحمرا

فأقسمت لا تنفكّ عيني سخينة # عليك و لا ينفكّ جلدي أغبرا[4]

مدى الدّهر ما غنّت حمامة أيكة # و ما طرد الليل الصّباح المنوّرا

عمر بن الخطاب و عاتكة

فخطبها عمر بن الخطاب، فقالت: قد كان أعطاني حديقة على ألا أتزوج بعده، قال: فاستفتي، فاستفتت عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: ردّي الحديقة على أهله و تزوّجي. فتزوجت عمر فسرّح[5]عمر إلى عدّة من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، فيهم عليّ بن أبي طالب صلوات اللّه عليه-يعني دعاهم-لما بنى بها، فقال له علي: إنّ لي إلى عاتكة حاجة أريد أن أذكّرها إياها، فقل لها تستتر حتى أكلّمها، فقال لها عمر: استتري يا عاتكة فإنّ ابن أبي طالب يريد أن يكلمك، /فأخذت عليها مرطها[6]فلم يظهر منها إلا ما بدا من براجمها[7]، فقال: يا عاتكة:

فأقسمت لا تنفكّ عيني سخينة # عليك و لا ينفكّ جلدي أغبرا[8]

فقال له عمر: ما أردت إلى هذا؟فقال: و ما أردت إلى أن تقول ما لا تفعل؛ و قد قال اللّه تعالى: **كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اَللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ** [9]و هذا شيء كان في نفسي أحببت و اللّه أن يخرج. فقال عمر: ما حسّن[10]اللّه فهو حسن، فلما قتل عمر، قالت ترثيه: [1]في ف: «زوجت» .

[2]في ف، و «المختار» ، و «التجريد» : «فقلبي لما قرت به العين ساكن» .

[3]في «التجريد» : «مثل هالك» .

[4]في ف: «أصفرا» .

[5]في «المختار» : «فسير» .

[6]المرط: كساء من صوف أو خزّ.

[7]البراجم: مفاصل الأصابع إذا قبض الشخص كفه نشزت.

[8]في ف: «أصفرا» .

[9]الصف 3.

[10]في ب: ما أحسن.

عين جودي بعبرة و نحيب # لا تملّي على الإمام النّجيب

فجعتنا المنون بالفارس المعـ # لم يوم الهياج و التّلبيب

عصمة اللّه و المعين على الدّهـ # ر غياث المنتاب و المحروب

قل لأهل الضّرّاء و البؤس موتوا # قد سقته المنون كأس شعوب

و قالت ترثيه أيضا:

صوت

منع الرّقاد فعاد، عيني عيد[1] # ممّا تضمّن قلبي المعمود

يا ليلة حبست عليّ نجومها # فسهرتها و الشامتون هجود[2]

قد كان يسهرني حذارك مرّة # فاليوم حقّ لعيني التّسهيد

أبكي أمير المؤمنين و دونه # للزّائرين صفائح و صعيد

غنى فيه طويس خفيف رمل عن حمّاد و الهشاميّ.

الزبير بن العوام و عاتكة

فلما انقضت عدّتها خطبها الزّبير بن العوّام فتزوّجها، فلما ملكها قال: يا عاتكة، لا تخرجي إلى المسجد، و كانت امرأة عجزاء بادنة.. فقالت: يا بن العوّام، أ تريد أن أدع لغيرتك مصلّى صلّيت مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم/و أبي بكر و عمر فيه؟قال: فإني لا أمنعك، فلما سمع النداء لصلاة الصبح توضّأ و خرج، فقام لها في سقيفة بني ساعدة، فلما مرّت به ضرب بيده على عجيزتها، فقالت: مالك قطع اللّه يدك!و رجعت، فلما رجع من المسجد قال: يا عاتكة، ما لي لم أرك في مصلاّك؟قالت: يرحمك اللّه أبا عبد اللّه، فسد الناس بعدك، الصلاة اليوم في القيطون[3]أفضل منها في البيت، و في البيت أفضل منها في الحجرة. فلما قتل عنها الزّبير بوادي السّباع رثته فقالت: غدر ابن جرموز بفارس بهمة # يوم اللقاء و كان غير معرّد

يا عمرو لو نبّهته لوجدته # لا طائشا رعش اللّسان و لا اليد

هبلتك أمّك إن قتلت لمسلما # حلّت عليك عقوبة المتعمّد

الحسين بن علي و عاتكة

فلما انقضت عدّتها تزوّجها الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، فكانت أوّل من رفع خدّه من التراب-صلّى اللّه عليه و آله و لعن

قاتله و الرّاضي به يوم قتل-و قالت ترثيه: و حسينا فلا نسيت حسينا # أقصدته أسنّة الأعداء[4]

غادروه بكربلاء صريعا # جادت المزن في ذرى كربلاء

[1]عيد: ما اعتاد من مرض أو حزن و نحوه. و في ب: عود.

[2]في ف، و «المختار» : «نحست» بدل: «حبست» . و «الساهرون رقود» بدل: «و الشامتون هجود» .

[3]القيطون: المخدع.

[4]أقصدته أسنّة الأعداء: أصابته فلم تخطئه.

ثم تأيّمت[1]بعده، فكان عبد اللّه بن عمر يقول: من أراد الشّهادة فليتزوّج بعاتكة. و يقال: إن مروان خطبها بعد الحسين عليه السلام فامتنعت عليه، و قالت: ما كنت لأتّخذ حما[2]بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدثنا الخليل بن أسد قال: حدثني العمريّ قال: حدثنا أسامة بن زيد، عن القاسم بن محمد قال: /لم يزل السهم الذي أصاب عبد اللّه بن أبي بكر عند أبي بكر حتى قدم وفد ثقيف فأخرجه إليهم، فقال: من يعرف هذا منكم؟فقال سعيد بن عبيد من بني علاج: هذا سهمي و أنا بريته، و أنا رشته، و أنا عقبته، و أنا رميت به يوم الطائف فقال أبو بكر: فهذا السهم الذي قتل عبد اللّه، و الحمد للّه الذي أكرمه بيدك، و لم يهنك بيده.

طويس يغني شعرا لعاتكة

أخبرني اليزيديّ، عن الزّبير، عن أحمد بن عبيد اللّه بن عاصم بن المنذر بن الزبير، قال: لما قتل الزبير و خلت عاتكة بنت زيد، خطبها عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقالت له: إني لأضنّ بك على القتل يا بن عمّ رسول اللّه.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حمّاد، عن أبيه، عن محمد بن سلاّم قال: حدثني أبي قال: بينا فتية من قريش ببطن محسّر يتذاكرون الأحاديث و يتناشدون الأشعار إذ أقبل طويس و عليه قميص قوهيّ[3] و حبرة قد ارتدى بها، و هو يخطر في مشيته، فسلّم ثم جلس، فقال له القوم: يا أبا عبد اللّه غنّنا شعرا مليحا له حديث ظريف، فغنّاهم بشعر عاتكة بنت زيد ترثي عمر بن الخطاب: منع الرّقاد فعاد عيني عيد # ممّا تضمّن قلبي المعمود

الأبيات. فقال القوم: لمن هذه الأبيات يا طويس؟قال لأجمل خلق اللّه و أشأمهم، فقالوا: بأنفسنا أنت، من هذه؟قال: هي و اللّه من لا يجهل نسبها و لا يدفع شرفها، تزوّجت بابن خليفة نبي اللّه، و تنّت بخليفة نبيّ اللّه، و ثلّثت بحواريّ نبيّ اللّه، و ربّعت بابن نبي اللّه[4]و كلاّ قتلت. قالوا جميعا: جعلنا فداك، إنّ أمر هذه لعجيب، بآبائنا أنت من هذه؟قال: عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل. فقالوا: نعم، هي على ما وصفت، قوموا بنا لا يدرك مجلسنا شؤمها. قال طويس: إن شؤمها قد مات معها، قالوا: أنت و اللّه أعلم منّا.

صوت

يا دنانير قد تنكّر عقلي # و تحيّرت بين وعد و مطل

شغفي شافعي إليك و إلاّ # فاقتليني إن كنت تهوين قتلي

/الشعر و الغناء لعقيد مولى صالح بن الرشيد، خفيف ثقيل، و فيه لعريب رمل بالوسطى، و هذا الشعر يقوله في دنانير مولاة البرامكة، و كان خطبها فلم تجبه، و قيل: بل قاله أحد اليزيديّين، و نحله إيّاه.

[1]تأيمت: مكثت و لم تتزوج.

[2]في ف، «المختار» : «حموا» .

[3]قيمص قوهي: أبيض.

[4]في ف: «و ربعت بابن بنت رسول اللّه» . و في «المختار» : «و ربعت بابن رسول اللّه» .

4-ذكر أخبار دنانير و أخبار عقيد[1]

كانت مولاة ليحيى بن خالد البرمكي

كانت دنانير مولاة يحيى بن خالد البرمكيّ و كانت صفراء مولّدة، و كانت من أحسن الناس وجها و أظرفهنّ و أكملهنّ أدبا و أكثرهنّ رواية للغناء و الشعر، و كان الرشيد لشغفه بها يكثر مصيره[2]إلى مولاها و يقيم عندها و يبرّها[3]و يفرط، حتى شكته زبيدة إلى أهله و عمومته، فعاتبوه على ذلك.

لها كتاب في الأغاني

و لها كتاب مجرّد في الأغاني مشهور، و كان اعتمادها في غنائها على ما أخذته من بذل و هي خرّجتها، و قد أخذت أيضا عن الأكابر الذين أخذت بذل عنهم مثل: فليح، و إبراهيم، و ابن جامع، و إسحاق، و نظرائهم.

أخبرني جحظة، قال: حدّثني المكّيّ عن أبيه قال: كنت أنا و ابن جامع نعايي[4]دنانير جارية البرامكة، فكثيرا ما كانت تغلبنا.

عرضت على إبراهيم الموصلي صوتا من صنعتهما فأعجبه

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ، عن ابن شبّة، قال: حدثني إسحاق الموصليّ، قال: قال لي أبي: قال لي يحيى بن خالد: إن ابنتك دنانير قد عملت صوتا اختارته و أعجبت به، فقلت لها: لا يشتدّ إعجابك حتى تعرضيه على شيخك، فإن رضيه فارضيه لنفسك، و إن كرهه فاكرهيه، فامض حتى تعرضه عليك. قال: فقال لي أبي: فقلت له: أيها الوزير فكيف إعجابك أنت به؟فإنك و اللّه ثاقب الفطنة صحيح التّمييز[5]، قال: أكره أن أقول لك: أعجبني فيكون عندك غير معجب؛ إذ كنت عندي رئيس صناعتك، تعرف منها ما لا أعرف، و تقف من لطائفها على ما لا أقف، و أكره/أن أقول لك: لا يعجبني، و قد بلغ من قلبي مبلغا محمودا، و إنما يتمّ السرور به إذا صادف ذلك منك استجادة و تصويبا. قال: فمضيت إليها، و قد تقدم إلى خدمه يعلمهم أنه سيرسل بي إلى داره، و قال لدنانير: إذا جاءك إبراهيم فاعرضي عليه الصوت الذي صنعته و استحسنته، فإن قال لك: أصبت سررتني بذلك، و إن كره فلا تعلميني. لئلا يزول سروري بما صنعت. قال إسحاق: قال أبي: فحضرت الباب فأدخلت، و إذا الستارة قد نصبت، فسلّمت على الجارية من وراء الستارة، فردّت السلام، و قالت: يا أبت أعرض عليك صوتا قد تقدّم لا شكّ [1]ب، «الدر المنثور» : عقيل.

[2]هب، «المختار» : «مسيره» .

[3]هب، «المختار» : «و يقيم عنده و يبره» .

[4]عايا فلانا: ألقى عليه كلاما لا يهتدي لوجهه. و في هب، ب، بيروت: «نعاني» .

[5]هب، ف: «ثاقب الرأي عالي الفطنة» .

إليك خبره، و قد سمعت الوزير يقول: إن الناس يفتنون بغنائهم، فيعجبهم منه ما لا يعجب غيرهم، و كذلك يفتنون بأولادهم، فيحسن في أعينهم منهم ما ليس يحسن، و قد خشيت على الصوت أن يكون كذلك، فقلت: هات، فأخذت عودها و تغنّت تقول.

صوت

نفسي أ كنت عليك مدّعيا # أم حين أزمع بينهم خنت!

إن كنت مولعة بذكرهم # فعلى فراقهم ألا متّ!

/قال: فأعجبني و اللّه غاية العجب و استخفّني الطرب، حتى قلت لها: أعيديه، فأعادته و أنا أطلب لها فيه موضعا أصلحه و أغيّره عليها لتأخذه عنّي، فلا و اللّه ما قدرت على ذلك، ثم قلت لها: أعيديه الثالثة فأعادته، فإذا هو كالذهب المصفّى، فقلت: أحسنت يا بنيّة و أصبت، و قد قطعت عليك بحسن إحسانك و جودة إصابتك أنك قائدة للمعلمين[1]؛ إذ قد صرت تحسنين الاختيار و تجيدين الصنعة، قال: ثم خرج فلقيه يحيى بن خالد، فقال: كيف رأيت صنعة ابنتك دنانير؟قال: أعزّ اللّه الوزير، /و اللّه ما يحسن كثير من حذّاق المغنّين مثل هذه الصنعة، و لقد قلت لها: أعيديه و أعادته عليّ مرات، كلّ ذلك أريد إعناتها، لأجتلب[2]لنفسي مدخلا يؤخذ عنّي و ينسب إليّ، فلا و اللّه ما وجدته، فقال لي يحيى: وصفك لها يقوم مقام تعليمك إيّاها، و قد-و اللّه-سررتني و سأسرّك، فوجّه إليّ بمال عظيم.

اشتراها يحيى بن خالد من رجل من أهل المدينة

و ذكر محمد بن الحسن الكاتب، قال: حدّثني ابن المكّي، قال:

كانت دنانير لرجل من أهل المدينة، و كان خرّجها و أدّبها، و كانت أروى الناس للغناء القديم، و كانت صفراء صادقة الملاحة، فلما رآها يحيى وقعت بقلبه فاشتراها.

الرشيد يعجب بها فتعلم أم جعفر و تشكوه إلى عمومته

و كان الرشيد يسير[3]إلى منزلة فيسمعها، حتى ألفها و اشتد عجبه[4]بها فوهب لها هبات سنية، منها أنه وهب لها في ليلة عيد عقدا، قيمته ثلاثون ألف دينار، فردّ عليه في مصادرة البرامكة بعد ذلك. و علمت أمّ جعفر خبره فشكته إلى عمومته، فصاروا جميعا إليه فعاتبوه، فقال: ما لي في هذه الجارية من أرب في نفسها، و إنما أربى في غنائها، فاسمعوها، فإن استحقت أن يؤلف غناؤها و إلا فقولوا ما شئتم، فأقاموا عنده، و نقلهم

إلى يحيى حتى سمعوها عنده فعذروه، و عادوا إلى أم جعفر فأشاروا عليها ألا تلحّ في أمرها فقبلت ذلك، و أهدت إلى الرّشيد عشر جوار، منهن: ماردة أم المعتصم، و مراجل أم المأمون، و فاردة[5]أم صالح.

و قال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات: أخبرني محمد بن عبد اللّه الخزاعيّ قال:

[1]ب، بيروت: «و قد قطعت عليك بحسن إحسانك و جودة إصابتك فائدة المعلمين» . و في ف: «و قد قطعت عنك بحسن اختيارك و جودة إصابتك فائدة المعلمين» .

[2]ف: «لأحتال» .

[3]ف: «يصير» .

[4]ف: «إعجابه» .

[5]في ب: مارية «أم المعتصم» . و في ف: فارد «أم صالح» .

حدثني عبّاد البشريّ[1]قال: مررت بمنزل من منازل طريق مكّة يقال له/النّباج، فإذا كتاب[2]على حائط في المنزل، فقرأته فإذا هو: النّيك أربعة؛ فالأول شهوة، و الثاني لذّة، و الثالث شفاء، و الرابع داء[3]، و حر إلى أيرين أحوج من أير إلى حرين، و كتبت دنانير مولاة البرامكة بخطّها.

أخبرني إسماعيل بن يونس، عن ابن شبّة: أن دنانير أخذت عن إبراهيم الموصليّ حتى كانت تغنّي غناءه، فتحكيه فيه حتى لا يكون بينهما فرق، و كان إبراهيم يقول ليحيى: متى فقدتني و دنانير باقية فما فقدتني.

دنانير تصاب بالعلة الكلبية

قال: و أصابتها العلّة الكلبيّة فكانت لا تصبر عن الأكل ساعة واحدة[4]، فكان يحيى يتصدّق عنها في كل يوم من شهر رمضان بألف دينار، لأنها كانت لا تصومه، و بقيت عند البرامكة مدة طويلة.

الرشيد يأمر بصفع دنانير حتى تغني

أخبرني ابن عمّار، و ابن عبد العزيز، و ابن يونس، عن ابن شبّه، عن إسحاق:

و أخبرني جحظة، عن أحمد بن الطّيّب: أنّ الرشيد دعا بدنانير البرمكيّة بعد قتله إيّاهم، فأمرها أن تغنّي، فقالت: يا أمير المؤمنين، إني آليت ألاّ أغنّي بعد سيّدي أبدا، فغضب، و أمر بصفعها، فصفعت، و أقيمت على رجليها، و أعطيت العود، و أخذته و هي تبكي أحرّ بكاء، و اندفعت/فغنّت:

صوت

يا دار سلمى بنازح السّند # بين الثّنايا و مسقط اللّبد

لمّا رأيت الدّيار قد درست # أيقنت أنّ النّعيم لم يعد

/الغناء للهذليّ خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى، و ذكر عليّ بن يحيى المنجّم و عمرو أنه لسياط في هذه الطريقة.

قال: فرقّ لها الرشيد و أمر بإطلاقها و انصرفت، ثم التفت إلى إبراهيم بن المهديّ فقال له: كيف رأيتها؟قال:

رأيتها تختله برفق، و تقهره بحذق.

خطبها عقيد فردته و بقيت على حالها إلى أن ماتت

قال عليّ بن محمد الهشاميّ[5]: حدثني أبو عبد اللّه بن حمدون أن عقيدا[6]مولى صالح بن الرشيد خطب دنانير البرمكيّة، و كان هويها و شغف بذكرها، فردّته، و استشفع عليها مولاه صالح بن الرشيد، و بذل، و الحسين بن محرز، فلم تجبه و أقامت على الوفاء لمولاها، فكتب إليها عقيد قوله:

[1]ف: «النشوي» ، و في «المختار» : «النسوي» .

[2]الكتاب هنا الكتابة. و في «المختار» : «و إذا على الحائط مكتوب ما صورته... » .

[3]ف: «دواء» .

[4]ف: «مرة واحدة» .

[5]في ف، بيروت: «البسامي» .

[6]في ب، «الدر المنثور» : «عقيلا» .

يا دنانير قد تنكّر عقلي # و تحيّرت بين وعد و مطل

شفّعي[1]شافعي إليك و إلاّ # فاقتليني إن كنت تهوين قتلي

أنا باللّه و الأمير و ما آ # مل من موعد الحسين و بذل

ما أحبّ الحياة يا حبّ[2]إن لم # يجمع اللّه عاجلا بك شملي

فلم يعطفها ذلك على ما يحبّ، و لم تزل على حالها إلى أن ماتت.

و كان عقيد حسن الغناء و الضرب قليل الصّنعة، ما سمعنا منه بكبير[3]صنعة، و لكنه كان بموضع من الحذق و التّقدّم.

/قال محمد بن الحسن: حدثني أبو حارثة[4]عن أخيه أبي معاوية قال: شهدت إسحاق يوما و عقيد يغنّيه:

صوت

هلاّ سألت ابنة العبسيّ ما حسبي # عند الطّعان إذا ما احمرّت الحدق

و جالت الخيل بالأبطال عابسة # شعث النّواصي عليها البيض تأتلق

الشعر يقال: إنه لعنترة و لم يصحّ له، و الغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى. قال: فجعل إسحاق يستعيده و يشرب و يصفّق حتى والى بين أربعة أرطال، و سأله بعض من حضر: من أحسن الناس غناء؟قال: من سقاني أربعة أرطال.

أبو حفص الشطرنجي يقول فيها شعرا يغنيه ابن جامع

و في دنانير يقول أبو حفص الشّطرنجيّ.

صوت

أشبهك المسك و أشبهته # قائمة في لونه قاعدة

لا شك إذ لونكما واحد # أنّكما من طينة واحده

غنّاه ابن جامع هزجا بالبنصر و قيل: إنه لأبي فارة.

و ذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات، عن عليّ بن محمد النوفليّ، عن مولاة بن جامع أنّ مولاها كان يهوي جارية صفراء. فقال فيها هذا الشعر و غنّى فيه، و أظن هذا و هما؛ لأنا لم نسمع لابن جامع بشعر قط، و لعله غنّاه في شعر أبي حفص الشّطرنجيّ. فظننته له.

و مما غنّاه عقيد في دنانير و الشعر للموصليّ إلا البيت الأول فليس[5]له) .

[1]في ب، «الدر المنثور: «شغفي» .

[2]في هب، «الدر المنثور» ، ب: «يا أخت» . و الحب: الحبيب.

[3]في ف، هب، بيروت: «بكثير» .

[4]في ب: «أبو جارية» .

(5-5) كذا في في ف، هب و هذا الصوت و ما يليه من خبر خلت منه نسخة بولاق.

صوت

عقيد يقول فيها شعرا و يغنيه

هذي دنانير تنساني فأذكرها # و كيف تنسى محبّا ليس ينساها!

و اللّه و اللّه لو كانت إذا برزت # نفس المتيّم في كفّيه ألقاها

و الشعر و الغناء لعقيد، و لحنه من الرّمل المطلق في مجرى الوسطى، و فيه هزج خفيف محدّث.

المغنون و الجواري يغنون عند الأمين بشعر عقيد فيها

قال أحمد بن أبي طاهر: حدثني عليّ بن محمد قال: حدثني جابر بن مصعب، عن مخارق، قال: مرّت بى ليلة ما مرّ بي قطّ مثلها. جاءني رسول محمد الأمين و هو خليفة، فأخذني و ركض بي إليه ركضا، فحين وافيت أتي بإبراهيم بن المهدي[1]على مثل حالي، فنزلنا، و إذا هو في صحن لم أر مثله قد ملئ شمعا من شمع محمد الأمين الكبار، و إذا به واقف ثم دخل/ في الكرح[2]، و الدار مملوءة بالوصائف يغنّين على الطبول و السّرنايات[3]و محمد في وسطهنّ يرتكض في الكرح، فجاءنا رسوله، فقال: قوما في هذا الباب مما يلي الصّحن، فارفعا أصواتكما مع السرناي أين بلغ، و إيّاكما أن أسمع في أصواتكما تقصيرا عنه، قال: فأصغينا فإذا الجواري و المخنّثون يزمرون و يضربون: هذي دنانير تنساني و أذكرها # و كيف تنسى محبّا ليس ينساها!

أعوذ باللّه من هجران جارية # أصبحت من حبّها أهذي بذكراها

قد أكمل الحسن في تركيب صورتها # فارتجّ أسفلها و اهتزّ أعلاها

/قامت تمشّى فليت اللّه صيّرني # ذاك التراب الذي مسّته رجلاها

و اللّه و اللّه لو كانت إذا برزت # نفس المتيّم في كفّيه ألقاها

فما زلنا نشقّ حلوقنا مع السرناي و نتبعه حذرا من أن نخرج عن طبقته، أو نقتصر عنه إلى الغداة، و محمد يجول في الكرح ما يسأمه، يدنو إلينا مرة في جولانه و يتباعد مرّة، و تحول الجواري بيننا و بينه حتى أصبحنا.

صوت

ألا طرقت أسماء لا حين مطرق # و أنّى إذا حلّت بنجران نلتقي

[1]في ف، «المختار» ، بيروت: «إبراهيم الموصلي» .

[2]أصل معنى الكرح بيت الراهب. و في ف، بيروت، «المختار» : «و إذا محمد قد دخل في الخدم» .

[3]السرنايات: من آلات الصفير. و في ب: «السرنابات و السرنابي» .

بوجّ و ما بالي بوجّ و بالها[1] # و من يلق يوما جدّة الحبّ يخلق

عروضه من الطويل، الشعر لخفاف بن ندبة، و الغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالسّبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، و فيه لابن سريج ثاني ثقيل بالسباب في مجرى البنصر عن إسحاق أيضا، و ذكر عمرو بن بانة أن فيه لحنا لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى، و فيه لعلّويه خفيف رمل بالوسطى، و فيه للقاسم بن زرزور[2]خفيف رمل آخر صحيح في غنائه، و فيه لابن مسجح ثقيل أول، عن إبراهيم، و يحيى المكيّ، و الهشاميّ، و فيه لمخارق رمل بالبنصر.

[1]ف، بيروت: «ألحت بنوح ما لنوح و ما لها» .

[2]في هب: «زرور» . و في ف: «زرزر» .

5-أخبار خفاف و نسبه

هو خفاف بن عمير[1]بن الحارث بن الشّريد بن رياح بن يقظة بن عصيّة بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، و ندبة أمه و هي أمة سوداء، و كان خفاف أسود أيضا، و هو شاعر من شعراء الجاهلية و فارس من فرسانهم، و جعله ابن سلاّم في الطبقة الخامسة من الفرسان مع مالك بن نويرة، و مع ابني عمّه صخر و معاوية ابني عمرو بن الشريد، و مالك بن حمار الشّمخي[2].

أحد فرسان العرب و أغربتهم

أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام، قال: كان خفاف بن ندبة- و هي أمه-فارسا شجاعا شاعرا، و هو أحد أغربة العرب[3]، و كان هو و معاوية بن الحارث بن الشّريد أغار على بني ذبيان يوم حوزة[4]، فلما قتلوا معاوية بن عمرو قال خفاف: و اللّه لا أريم اليوم أو أقيد به سيّدهم، فحمل على مالك بن حمار و هو يومئذ فارس بني فزارة و سيّدهم فطعنه فقتله، و قال: فإن تك خيلي قد أصيب صميمها # فعمدا على عيني تيمّمت مالكا

رفعت له ما جرّ إذ جرّ موته[5] # لأبني مجدا أو لأثأر هالكا

أقول له و الرّمح يأطر متنه: # تأمّل خفافا إنّني أنا ذلكا[6]

/قال ابن سلاّم: و هو الذي يقول:

/

يا هند يا أخت بني الصّارد # ما أنا بالباقي و لا الخالد

إن أمس لا أملك شيئا فقد # أملك أمر المنسر الحارد[7]

في هذين البيتين لعبيد اللّه بن أبي غسّان خفيف ثقيل أول بالبنصر عن الهشاميّ.

ينال من العباس بن مرداس، و العباس يرد عليه

أخبرني عمّي، عن عبد اللّه بن سعد، عن أحمد بن عمر، عن عمر[8]بن خالد بن عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي اللّه عنه، عن الحجاج السّلميّ قال: [1]في هب، ب: «عمرو» .

[2]في «المختار» : «مالك بن حماد الجشمي» . و في ب: «مالك بن حماد الشحمي» .

[3]أغربة العرب: سودانهم، منهم جاهليون و إسلاميون. انظر «المحيط» (غرب) .

[4]في ف: «يوم الحريرة» ، و في ف: «يوم الجزيرة» .

[5]في «الخزانة» 2-470: «نصبت له علوي و قد خام صحبتي» . و في ف: «دلفت له يا حز إذ حرّ ثوبه» .

[6]يأطر: يثني. و المتن: الظهر، يريد ظهر مالك.

[7]ب: «المنسر الجارد» ، و في هب: «رأي اليسر الجارد» . و المنسر: الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين أو من الأربعين إلى الخمسين أو إلى الستين أو من المائة إلى المائتين. و الحارد: المجتمع الخلق الشديد.

[8]في ب: «عمرو بن خالد» .

كان بدء ما كان بين خفاف بن ندبة و العباس بن مرداس أنّ خفافا كان في ملإ من بني سليم فقال لهم: إن عباس بن مرداس يريد أن يبلغ فينا ما بلغ عباس بن أنس، و يأبى ذلك عليه خصال قعدن به، فقال له فتى من رهط العبّاس: و ما تلك الخصال يا خفاف؟قال: اتّقاؤه بخيله عند الموت، و استهانته بسبايا العرب، و قتله الأسرى، و مكالبته للصعاليك على الأسلاب، و لقد طالت حياته حتى تمنّينا موته، فانطلق الفتى إلى العبّاس فأخبره الخبر، فقال العبّاس: يا ابن أخي، إن لم يكن كالأصمّ في فضله فلست كخفاف في جهله، و قد مضى الأصمّ بما في أمس و خلّفني بما في غد، فلما أمسى تغنّى، و قال: خفاف ما تزال تجرّ ذيلا # إلى الأمر المفارق للرّشاد

إذا ما عاينتك بنو سليم # ثنيت لهم بداهية نآد[1]

و قد علم المعاشر من سليم # بأنّى فيهم حسن الأيادي/

فأورد يا خفاف فقد بليتم # بني عوف بحيّة بطن وادي

قال: ثم أصبح فأتى خفافا. و هو في ملإ من بني سليم، فقال: قد بلغني مقالتك يا خفاف، و اللّه لا أشتم عرضك و لا أسبّ أباك و أمّك، و لكنّي رام سوادك بما فيك[2]و إنك لتعلم أنّي أحمي المصافّ[3]و أتكرّم على السّلب[4]و أطلق الأسير و أصون السبيّة. و أما زعمك أني أتّقي بخيلي الموت فهات من قومك رجلا اتّقيت به.

و أما استهانتي بسبايا العرب فإني أحذو القوم في نسائهم بفعالهم في نسائنا، و أما قتلي الأسرى فإني قتلت الزّبيديّ بخالك؛ إذ عجزت عن ثأرك. و أما مكالبتي الصعاليك على الأسلاب، فو اللّه ما أتيت على مسلوب قطّ إلا لمت سالبه. و أما تمنّيك موتي. فإن متّ قبلك فأغن غنائي، و إن سليما لتعلم أني أخفّ عليهم مئونة، و أثقل على عدوّهم وطأة منك، و إنّك لتعلم أنّي أبحت حمى بني زبيد، و كسرت قرني الحارث[5]و أطفأت جمرة خثعم، و قلّدت بني كنانة قلائد العار، ثم انصرف. فقال خفاف أبياتا لم يحفظ الشيخ منها إلا قوله: و لم تقتل أسيرك من زبيد # بخالي بل غدرت بمستفاد

فزندك في سليم شرّ زند # و زادك في سليم شرّ زاد

فأجابه العباس بقوله:

ألا من مبلغ عنّي خفافا # فإنّي لا أحاشي من خفاف

نكحت وليدة و رضعت أخرى # و كان أبوك تحمله قطاف

فلست لحاصن إن لم نزرها # تثير النّقع من ظهر النّعاف[6]/

سراعا قد طواها الأين دهما # و كمتا لونها كالورس صاف[7]

[1]نآد: شديدة.

[2]السواد: الشخص. و في ب: «و لكن رمى سوادك بما فيك» .

[3]المصافّ: مواقف القتال.

[4]في ب، بيروت: «و أتكلم على السبي» .

[5]في ب، هب: «و كسرت قوى بني الحارث» .

[6]في ف: «فلست بحاضن إن لم تروها» . و الحاصن: العفيفة. و النعاف: جمع نعف؛ و هو المكان المرتفع في اعتراض.

[7]في ف، «المختار» ، هب: سواهم بدل سراعا، و دهم و كمت «بالرفع» .

ابن عم للعباس يحرضه على الحرب

قال: ثم كف العباس و خفاف حتى أتى ابن عم للعباس يكنى أبا عمرو بن بدر، و كان غائبا، فقال: يا عباس! ما نقول فيك خيرا إلاّ و هو باطل، قال: و كيف ذلك، ويحك!قال: أخبرني عنك، أ كلّ الذي أقررت[1]به من خفاف في نفيه أباك و تهجينه عرضك؛ ليأس من نصر قومك أو ضعف من نفسك؟ قال: لا، و لا واحدة منهما، و لكني أحببت البقيا، قال: فاسمع ما قلته، قال: هات، فأنشأ يقول: أرى العباس ينفض مذرويه[2] # دهين الرأس تقليه النساء

و قد أزرى بوالده خفاف # و يحسب مثله الداء العياء[3]

فلا تهد السّباب إلى خفاف # فإن السّبّ تحسنه الإماء

و لا تكذب و أهد إليه حربا # معجّلة فإن الحرب داء

أذلّ اللّه شرّكما قبيلا # و لا سقّت له رسما سماء

العباس و خفاف يلتقيان بقومهما و يقتتلان قتالا شديدا

قال العباس: قد آذنت خفافا بحرب، ثم أصبحا فالتقيا بقومهما، فاقتتلوا قتالا شديدا يوما إلى الليل، و كان الفضل للعباس على خفاف، فركب إليه مالك بن عوف و دريد بن الصّمّة الجشميّ في وجوه هوازن، فقام دريد خطيبا فقال: يا معشر بني سليم، إنه أعجلني إليكم صدر واد و رأي جامع، و قد ركب صاحباكم شرّ مطيّة، و أوضعا /إلى أصعب غاية، فالآن قبل أن يندم الغالب و يذلّ المغلوب[4]، ثم جلس.

دريد بن الصمة و مالك بن عوف يحذرانهما عاقبة الحرب

فقام مالك بن عوف[5]فقال: يا معشر بني سليم، إنكم نزلتم منزلا بعدت فيه هوازن، و شبعت منكم فيه بنو تميم، و صالت عليكم فيه بكر بن وائل، و نالت فيه منكم بنو كنانة، فانزعوا و فيكم بقية قبل أن تلقوا عدوّكم بقرن أعضب و كفّ جذماء، قال: فلما أمسينا تغنى دريد بن الصّمّة فقال: سليم بن منصور أ لمّا تخبّروا # بما كان من حربي كليب و داحس

و ما كان في حرب اليحابر[6]من دم # مباح و جدع مؤلم للمعاطس

و ما كان في حربي سليم و قبلهم # بحرب بعاث من هلاك الفوارس

تسافهت الأحلام فيها جهالة # و أضرم فيها كلّ رطب و يابس

فكفّوا خفافا عن سفاهة رأيه # و صاحبه العبّاس قبل الدّهارس[7]

[1]في ب: «خبرني عن أصل الذي أقررت به... الخ» .

[2]المذروان: طرفا الألية. و جاء ينفض مذرويه: جاء باغيا يتهدد.

[3]في هب: «سبك مثله الداء العياء» . و في «المختار» : «و لكن نسله الداء العياء» .

[4]في ب: «و يذم المطلوب» .

[5]في ب: «مالك بن أوس» .

[6]في ب: «البحائر» ، تحريف.

[7]الدهارس: الدواهي.

و إلاّ فأنتم مثل من كان قبلكم # و من يعقل الأمثال غير الأكايس

و قال مالك بن عوف النّصريّ:

سليم بن منصور دعوا الحرب إنما # هي الهلك للأقصين أو للأقارب

أ لم تعلموا ما كان في حرب وائل # و حرب مراد أو لؤيّ بن غالب

تفرّقت الأحياء منهم لجاجة # و هم بين مغلوب ذليل و غالب

فما لسليم ناصر من هوازن # و لو نصروا لم تغن نصرة غائب

دريد بن الصمة يعاهدهما على الكف عن الحرب و تهادي الشعر من غير شتم

/قال: ثم أصبحنا، فاجتمعت بنو سليم، و جاء العبّاس و خفاف، فقال لهما دريد بن الصّمة و لمن حضر من قومهما: يا هؤلاء!إن أوّلكم كان خير أوّل، و كل حيّ سلف خير من الخلف، فكفّوا صاحبيكم عن لجاج الحرب و تهاجي الشعر، قال: فاستحيا العباس فقال: فإنا نكف عن الحرب، و نتهادى الشعر، قال: فقال دريد: فإن كنتما لا بد فاعلين فاذكرا ما شئتما و دعا الشّتم، فإن الشّتم طريق الحرب، فانصرفا على ذلك. فقال العباس بن مرداس: فأبلغ لديك بني مالك # فأنتم بأنبائنا أخبر

فأما النّخيل فليست لنا # نخيل تسقّى[1]و لا تؤبر

و لكنّ جمعا كجذل[2]الحكا # ك فيه المقنّع و الحسّر

مغاوير تحمل أبطالنا # إلى الموت ساهمة ضمّر

و أعددت للحرب خيفانة # تديم الجراء[3]إذا تخطر

صنيعا كقارورة الزّعفرا # ن ممّا تصان و لا تؤثر

و يقال: صبيغا. قال: فأجابه خفاف فقال:

أ عبّاس إنّ استعار القصيـ # ـد في غير معشره[4]منكر

علام تناول ما لا تنال # فتقطع نفسك أو تخسر[5]

/فإنّ الرّهان إذا ما أريد # فصاحبه الشامخ المخطر[6]

تخاوص لم تستطع عدّة[7] # كأنك من بغضنا أعور

فقصرك مأثورة إن بقيـ # ـت أصحو بها لك أو أسكر[8]

لساني و سيفي معا فانظرن # إلى تلك أيّهما تبدر

[1]في ف، بيروت: «تجذ» .

[2]الجذل: عود ينصب للإبل الجربي لتحتك به.

[3]في ب، بيروت: الجداء.

[4]في ف: «موضعه» .

[5]ف: تحسر.

[6]في ف، هب: «السابح المحضر» .

[7]في هب، ف، بيروت: «تخاوص لم تستطع غيره» . و تخاوص: غض من بصره شيئا.

[8]ف: «فقصرك ما بعده... أو أشكر» .

قال: فلما طال الأمر بينهما من الحرب و التّهاجي، قال عباس: إني و اللّه ما رأيت لخفاف مثلا إلا شبام بني زبيد[1]فإنه كان يلقى من ابن عمه ثروان بن مرّة من الشتم و الأذى ما ألقى من خفاف، فلما لجّ في شتمه تركه و ما هو فيه، فقال: وهبت لثروان بن مرّة نفسه # و قد أمكنتني من ذؤابته يدي

و أحمل ما في اليوم من سوء رأيه # رجاء التي يأتي بها اللّه في غد[2]

فقال خفاف: إني و اللّه ما وجدت لعباس مثلا إلا ثروان بني زبيد، فإنه كان يلقي من شبام ما ألقى من العباس من الأذى، فقال ثروان: رأيت شباما لا يزال يعيبني # فلله ما بالي و بال شبام!

فقصرك منّي ضربة مازنيّة # بكفّ فتى في القوم غير كهام

فتقصر عني يا شبام بن مالك # و ما عضّ سيفي شاتمي بحرام

فقال عباس: جزاك اللّه عني يا خفاف شرّا، فقد كنت أخفّ بني سليم من دمائها ظهرا، و أخمصها بطنا، فأصبحت العرب تعيّرني بما كنت أعيب عليها من/الاحتمال و أكل الأموال، و صرت ثقيل الظّهر من دمائها منفضج[3]البطن من أموالها، و أنشأ يقول: /

أ لم تر أنّي تركت الحروب # و أنّي ندمت على ما مضى

ندامة زار على نفسه # لتلك التي عارها يتّقى

فلم أوقد الحرب حتى رمى # خفاف بأسهمه من رمى

فإن تعطف القوم أحلامهم # فيرجع من ودّهم ما نأى

فلست فقيرا إلى حربهم # و ما بي عن سلمهم من غنى

فقال خفاف:

أ عبّاس إمّا كرهت الحروب # فقد ذقت من عضّها ما كفى

أ ألقحت حربا لها شدّة # زمانا تسعّرها باللّظى

فلمّا ترقّيت في غيّها # دحضت و زلّ بك المرتقى

فلا زلت تبكي على زلّة # و ما ذا يردّ عليك البكا

فإن كنت أخطأت في حربنا # فلسنا نقيلك هذا الخطا

و إن كنت تطمع في سلمنا # فزاول ثبيرا و ركني حرا

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال: حدثنا عبد اللّه بن أبي سعد، قال: حدّثني مسعود بن عيسى العبديّ، عن يحيى بن عبد اللّه بن الفضل الفزاريّ، و كان علاّمة بأمر قيس، قال: كان خفاف بن ندبة في جماعة من قومه، فقال: إنّ عباس بن مرداس ليريد أن/يبلغ فينا مبلغ عباس بن [1]في ب: «شبام بن زبيد» .

[2]في ف: «رجاء الذي يأتي به اللّه في غد» .

[3]في هب: «منفضخ البطن» . و منفضج البطن: منتفخه.

أنس، و تأبى عليه خصال قعدن به عن ذلك، فقال فتى من رهط عباس: ما تلك الخصال يا خفاف؟فقال: اتّقاؤه بخيله عند الموت، و مكالبة الصعاليك على الأسلاب، و قتله الأسرى، و استهانته بسبايا العرب، و ايم اللّه، لقد طالت حياته حتى تمنّينا موته، فانطلق الفتى إلى العباس فحدّثه الحديث، فقال العباس: يا ابن أخي إلاّ أكن كالأصمّ في فضله فلست كخفاف في جهله، و قد مضى الأصمّ بما في أمس، و خلّفني لما في غد، فلما أمسى تغنّى، فقال: خفاف أ ما تزال تجرّ ذيلا # إلى الأمر المقرّب للفساد

و قد علم المعاشر من سليم # بأنّي فيهم حسن الأيادي

و أنّي يوم جمع بني عطيف # حملت بحالك وهج المرادي[1]

و أني لا أعيّر في سليم # بردّ الخيل سالمة الهوادي

و أنّي في ملمّة كلّ يوم # أقي صحبي و في خيلي تعادي

و لم أسلب بحمد اللّه كبشا # سلاحا بين مختلف الصّعاد[2]

و لم أحلل لمحصنة نطاقا # و لم أر عتقها إلا مرادي

فأورد يا خفاف فقد منيتم # بني عوف بحيّة بطن وادي

فلما أصبح أتى خفافا و هو في ملأ من قومه، فقال: قد بلغني مقالك يا خفاف، و ايم اللّه، إنك لتعلم أني أحمي المصافّ[3]، و أكره السلب، و أطلق الأسير، و أصون السّبيّة.

فأمّا زعمك أنّي أتّقي بخيلي عند الموت فهات لي من قومك رجلا اتّقيت به، /و أما قتلى الأسرى فإني قتلت الزّبيديّ بخالك، و أما سلبي الأسير فو اللّه ما أتيت على مسلوب قطّ إلاّ لمت سالبه، و أما استهانتي بالسّبايا فإني أحذو القوم في سباياهم فعالهم في سبايانا، و أما تمنّيك موتي فإن متّ قبلك فأغن غنائي، ثم انصرف. فقال خفاف مجيبا للعباس عن قوله: لعمر أبيك يا عبّاس إني # لمنقطع الرّشاء من الأعادي

و إني قد تعاتبني سليم # على جرّ الذيول إلى الفساد

أ كلّ الدهر لا تنفكّ تجري # إلى الأمر المفارق للسّداد

إذا ما عاينتك بنو سليم # تبيت لهم بداهية نآد

فزندك في سليم شر زند # و زادك في المعاشر[4]شرّ زاد

ألا للّه درّك من رئيس # إذا عاديت فانظر من تعادي

جريت مبرّزا و جريت تكبو # على تعب فهل لك من معاد

و مستقاد: الزّبيديّ.

[1]المرادي: جمع مردى، و هو الحجر الذي تكسر به الصخور.

[2]الكبش: سيد القوم و قائدهم، و الصعاد: القنا المستويات.

[3]المصاف: مواقف القتال. و في ف: المصاب.

[4]في «المختار» : و زادك في سليم.

و إنّ رهط خفاف لاموه و قالوا: اكفف عن الرجل. فقال: كيف أكفّ عن رجل يريد أن يترنا أمرنا بغير فضل.

و قال رهط العباس له: أيها الرجل، اكفف، فقال قولا جميلا، و قال العبّاس عند ذلك: هل تعرف الطّلل القديم كأنّه # وشم بأسفل ذي الخيام مرجّع

بقيت معارفه على مرّ الصّبا # بعد الجميع كأنه قد يمرع

دار التي صادت فؤادك بعد ما # شمل المفارق منك شيب أروع

و زعمت أنّك لا تراح إلى الصّبا # و علتك منه شبيبة لا ترجع

/يا أيها المرء السفيه أ لا ترى # أني أضرّ إذا هويت و أنفع

و أعيش ما قدر الإله على القلى # و أعفّ نفسي عن مطامع تطمع

كرما على الخطر اليسير و لا ترى # نفسي إلى الأمر الدنيّ تطلّع

و أردّ ذا الضّغن اللئيم برأيه # حتى يموت و ليس فينا مطمع

للّه درّك لا تمنّ مماتنا # فالموت ويحك قصرنا و المرجع

لو كان يهلك من تمنّى موته # حلّت عليك دهية لا ترقع

و مكثت في دار الهوان موطّأ # بالذّلّ ليس لداركم من يمنع

فقال خفاف مجيبا له:

عجبت أمامة إذ رأتني شاحبا # خلق القميص و أنّ رأسي أصلع

و تنفست صعدا فقلت لها: اقصري # إني امرؤ فيما أضرّ و أنفع

مهلا أبا أنس فإني للّذي # خلّى عليك دهيّة لا ترفع

و ضربت أمّ شئون رأسك ضربة # فاستكّ منها في اللّقاء المسمع

نعليّ حذو نعالها و لربّما # أحذو العدا و لكلّ عاد مصرع

لا تفخرنّ فإنّ عودي نبعة # أعيت أبا كرب و عودك خروع[1]

و لقد أقود إلى العدوّ مقلّصا # سلس القياد له تليل أتلع[2]

نهد المراكل و الدّسيع يزينه # شنج النّسا و أباجل لا تقطع[3]

/و عليّ سابغة كأنّ قتيرها # حدق الجنادب ليس فيها مطمع[4]

زغف مضاعفة تخيّر سردها # ذو فائش و بنو المرار و تبّع[5]

في فتية بيض الوجوه كأنهم # أسد على لحم ببيشة طلّع

[1]عودي نبعة: صلب شديد. و عودك خروع: ليّن متثن.

[2]تليل أتلع: عنق طويل.

[3]نهد المراكل: واسع الجوف. و الدسيع: مغرز العنق في الكاهل. و فرس شنج النسا: صفة محمودة، لأنه إذا تشنج نساه لم تسترخ رجلاه. و الأباجل: جمع أبجل، و هو عرق في الفرس و البعير.

[4]درع سابغة: تامة طويلة. و القتير: رءوس المسامير في الدرع. و الحدق جمع حدقة؛ و هي سواد العين الأعظم، و الجنادب جمع جندب، و هو الصغير من الجراد.

[5]الزغف جمع زغفة؛ و هي الدرع الواسعة. و سردها: نسجها. و فائش: واد كان يحميه ذو فائش سلامة بن يزيد اليحصبي.

لا ينكلون إذا لقوا أعداءهم # إنّ الحمام هو الطريق المهيع[1]

و كان خفاف قد كفّ عن العبّاس، حتى أتاه غلام من قومه، فقال: أبى العباس إلا جرأة عليك و عيبا لك، فغضب خفاف ثم قال: ما يدعوه إلى ذلك؟فو اللّه إن أباه لرابط السهم، و إن أمّه لخفيّة الشخص، و لئن طلب مسعاي ليعلمنّ أنه قصير الخطوة أجذم الكف، و ما ذنبنا إليه إلا أنّا استنقذنا أباه من عصيّ بني حزام، و كافحنا دونه يوم بني فراس، و نصرنا أباه على حرب بن أميّة. و قال خفاف في ذلك: لن يترك الدهر عبّاس تقحّمه # حتى يذوق وبال البغي عبّاس

أمسكت عن رميه حولا و مقتله # باد لتعذرني في حربه الناس

عمدا أجرّ له ثوبي لأخدعه # عن رأيه و رجائي عنده ياس

فالآن إذا صرّحت منه حقيقته # ظلما فليس بشتمي شاتمي باس

أجدّ يوما بقولي كلّ مبتدئ # كما يجدّ بكفّ الجازر الفاس

تأبى سليم إذا عدّت مساعيها # أن يحرز السّبق عبّاس و مرداس

أودى أبو عامر عبّاس معترفا # أنّا إذا ما سليم حصّلت راس

فبلغ العباس أمر خفاف، فأتاه، فالتقيا عند أسماء بن عروة بن الصّلت بن حزام بن عبد اللّه بن حازم بن الصلت، و كان مأمونا في بني سليم، فقال العباس: قد بلغني قولك يا خفاف، و لعمري لا أشتم أباك و لا أمّك، و لكنّي رام سوادك بما فيك. /و اللّه ما كنت إلى ذمّك بالهيمان و لا إلى لحمك بالقرم، و إن سليما لتعلم أني أبحت حمى بني زبيد، و أطفأت جمرة خثعم، و كسرت قرني[2]بني الحارث بن كعب، و قلّدت بني كنانة قلائد العار، و إني يا خفاف لأخفّ منك[3]على بني سليم مئونة، و أثقل منك على عدوّهم وطأة، و قال مجيبا له: إني رأيت خفافا ليس يهنئه # شيء سوى شتم عبّاس بن مرداس

مهلا خفاف فإن الحق معضبة[4] # و الحمق ليس له في الناس من آسي

سائل سليما إذا ما غارة لحقت # منها فوارس حشد غير أنكاس

من خثعم و زبيد أو بني قطن # أو رهط فروة دهرا أو شحا الناس[5]

ينبوا من الفارس الحامي حقيقته # إذا أتوك بحام غير عبّاس

لا يحسب النّاس قول الحق معترفا # فانظر خفاف فما في الحق من باس

من زار خيل بني سعد مسوّمة # يهدي لأولها لأي بن شمّاس

يوم اعترضت أبا بدر بجائفة # تعوي بعرق من الأحشاء قلاّس[6]

أدعى الرئيس إذا ما حربكم كشفت # عن ساقها لكم و الأمر للرّاس

[1]الطريق المهيع: الواسع البين.

[2]في هب: «و كسرت قرني في بني الحارث» .

[3]ف: «عنك» .

[4]معضبة: مقطعة.

[5]الشحا: الواسع، و المراد جميع الناس.

[6]الطعنة الجائفة: التي تصل إلى الجوف. و عرق قلاس: يزخر بالدم.

حتى إذا انكشفت عنكم عمايتها # أنشأت تضرب أخماسا لأسداس

و سعى أهل الفساد إلى خفاف فقالوا: إنّ عبّاسا قد فضحك، فقال خفاف: ألا أيّها المهدي لي الشّتم ظالما # و لست بأهل حين أذكر للشّتم

أبى الشّتم أنّي سيّد و ابن سادة # مطاعين في الهيجا مطاعيم للّحم[1]

/هم منحوا نصرا[2]أباك و طاعنوا # و ذلك إذ ترمى ذليلا و لا ترمي

كمستلحم في ظلمة اللّيل بعد ما[3] # رأى الموت صرفا و السيوف بها تهمي

أدبّ على أنماط[4]بيضاء حرّة # مقابلة الجدّين ماجدة العمّ

و أنت لحنفاء اليدين لو أنّها # تباع لما جاءت بزند و لا سهم

و إني على ما كان أول أوّل # عليه، كذاك القرم ينتج للقرم[5]

و أكرم نفسي عن أمور دنيئة # أصون بها عرضي و آسو بها كلمي

و أصفح عمّن لو أشاء جزيته # فيمنعني رشدي و يدركني حلمي

و أغفر للمولى و إن ذو عظيمة # على البغي منها لا يضيق بها حزمي[6]

فهذي فعالي ما بقيت و إنّني # لموص به عقبي إذا كنت في رجمي[7]

فقال له قومه: لو كان أوّل قولك كآخره يا خفاف لأطفأت النائرة[8]، و أذهبت سخائم النّمائم، فقال العباس مجيبا له: ألا أيّها المهدي لي الشّتم ظالما # تبيّن إذا راميت هضبة من ترمي

أبى الذّمّ عرضي إنّ عرضي طاهر # و إني أبيّ من أباة ذوي غشم

و إنّي من القوم الذين دماؤهم # شفاء لطلاّب التّرات من الوغم[9]

/و قال أيضا:

إن تلقني تلق ليثا في عرينته # من أسد خفّان في أرساغه فدع[10]

/لا يبرح الدهر صيدا قد تقنّصه # من الرجال على أشداقه القمع[11]

و كان العباس و خفاف قد همّا بالصّلح، و كرهت بنو سليم الحرب، فجاء غويّ من رهط العبّاس فقال للعبّاس: إنّ خفافا قد أنحى عليك و على والديك، فغضب العباس، ثم قال: قد و اللّه هجاني، فكان أعظم ما عابني به

أصغر [1]في ب: «مطاعيم للجرم» .

[2]في ب، هب: الضرى.

[3]في ب: محزما بدل بعد ما، و تعمي بدل تهمي.

[4]الأنماط جمع نمط، و هو ضرب من البسط.

[5]في ب: «عليه كذاك القوم ينتج للقوم» ، تحريف. و القرم: السيد أو العظيم على التشبيه بالفحل.

[6]في ب: «جزمي» ، تصحيف.

[7]رجمي: قبري.

[8]النائرة: العداوة.

[9]الوغم: الحقد الثابت. و في ب: «شفاء لطلاب التراث من الرغم» ، تحريف. و في ف، بيروت: «شفاء لطلاب الشفاء من الرغم» .

[10]فدع: اعوجاج.

[11]القمع: الاحمرار.

عيب فيه، ثم هجا والديّ فما ضرّهما و لا نفعه، ثم برزت له فأخفى شخصه و اتّقاني بغيره، و لو شئت لشتمت أباه و ثلبت عرضه، و لكني و إياه كما قال شبام بني زبيد[1]لابن عم له، يقال له ثروان بن مرّة، كان أشبه الناس بخفاف: وهبت لثروان بن مرّة نفسه # و قد أمكنتني من ذؤابته يدي

و أحمل ما في اليوم من سوء رأيه # رجاء الذي يأتي[2]به اللّه في غد

و لست عليه في السّفاة كنفسه # و لست إذا لم أهجه بموعّد

و قال:

أراني كلما قاربت قومي # نأوا عني و قطعهم شديد

سئمت عتابهم فصفحت عنهم # و قلت لعلّ حلمهم يعود

و علّ اللّه يمكن من خفاف # فأسقيه التي عنها يحيد

بما اكتسبت يداه و جرّ فينا # من الشّحنا التي ليست تبيد

/و أنّى لي يؤدّبني خفاف # و عوف و القلوب لها وقود

و إني لا أزال أريد خيرا # و عند اللّه من نعم مزيد

فضاقت بي صدورهم و غصّت # حلوق ما يبضّ لها وريد

متى أبعد فشرّهم قريب # و إن أقرب فودّهم بعيد

أقول لهم و قد لهجوا بشتمي: # ترقّوا يا بني عوف و زيدوا

فما شتمي بنافع حيّ عوف # أ ينقصني الهبوط أم الصّعود

أ تجعلني سراة بني سليم # ككلب لا يهرّ و لا يصيد

كأنّي لم أقد خيلا عتاقا # شوازب ما لها في الأرض عود[3]

أجشّمها مهامه طامسات # كأنّ رمال صحصحها[4]قعود

عليها من سراة بني سليم # فوارس نجدة في الحرب صيد

فأوطئ من تريد بني سليم # بكلكلها و من ليست تريد

فلما بلغ خفافا قول العباس قال: و اللّه ما عبت العباس إلا بما فيه، و إني لسليم العود، صحيح الأديم، و لقد أدنيت سوادي من سواده فلم أحجم و لا نكصت عنه، و إني و إيّاه كما قال ثروان لشبام بني زبيد[5]، و كان يلقى منه ما لقي من العباس، قال: رأيت شباما لا يزال يعيبني # فللّه ما بالي و بال شبام

فقصرك منّي ضربة مازنيّة # بكفّ امرئ في الحرب غير كهام[6]

[1]ب: شبام بن زبيد.

[2]ف: «رجاء التي يأتي بها اللّه... » .

[3]ف: «خيلا سيارا» . و الشوازب: الضوامر. و في ب: «كأني لم أقل... مثلها في الأرض» تحريف.

[4]الصحصح: ما استوى من الأرض و جرد.

[5]ب: لشبام بن زبيد.

[6]ب: الحي بدل الحرب. و في ف، المختار: «بكف فتى في الحق» ، و قصرك: مصدر قصر بمعنى انتهى و كف. و سيف كهام: كليل. ـ

من اليوم أو من شيعه[1]بمهنّد # خصوم لهامات الرجال حسام

/فتقصر عني يا شبام بن مالك # و ما عضّ سيفي شاتمي بحرام

و قال خفاف:

أرى العباس ينقص كلّ يوم # و يزعم أنه جهلا يزيد

فلو نقضت عزائمه و زادت # سلامته لكان كما يريد[2]

و لكنّ المعالم أفسدته # و خلق[3]في عشيرته زهيد

فعبّاس بن مرداس بن عمرو # و كذب المرء أقبح ما يفيد

حلفت بربّ مكة و المصلّى # و أشياخ محلّقة تنود[4]

بأنك من مودّتنا قريب # و أنت من الذي تهوى بعيد

فأبشر أن بقيت بيوم سوء # يشيب له من الخوف الوليد

كيومك إذ خرجت تفوق[5]ركضا # و طار القلب و انتفخ الوريد

فدع قول السّفاهة لا تقله # فقد طال التّهدّد و الوعيد

رأينا من نحاربه شقيّا # و من ذا في بني[6]عوف سعيد

و قال خفاف أيضا:

أ عبّاس إنّا و ما بيننا # كصدع الزّجاجة لا يجبر

فلست بكفء لأعراضنا # و أنت بشتمكنا[7]أجدر

/و لسنا بأهل لما قلتم # و نحن بشتمكم أعذر

أراك بصيرا بتلك التي # تريد و عن غيرها أعور

فقصرك مني رقيق الذّبا # ب عضب كريهته مبتر

و أزرق في رأس خطّيّة # إذا هزّ أكعبها تخطر

يلوح السّنان على متنها # كنار على مرقب تسعر

و زغف دلاص حباها العزيز[8] # توارثها قبله حمير

فتلك و جرداء خيفانة[9] # إذا زجر الخيل لا تزجر

إذا ألقت الخيل أذيالها[10] # فأنت على جريها أقدر

[1]شيعه: بعده، يريد به الغد.

[2]في ف، بيروت: «و لو نقصت عواليه و زادت» . و في هب: «فلو نقصت عرائكه و زادت» .

[3]في ب: و لكن المعايب... و خلف.

[4]تنود: تمايل من النعاس. و في ب، بيروت: تهود.

[5]في ف، بيروت: تفوت.

[6]في هب، ف. و في ب، بيروت: يا بني.

[7]في هب: بشتمكها. و في ب: يشتمكما.

[8]في ب: «كماء الغدير... توارثه» بدل: «حباها العزيز... توارثها» . و الزغف: الدرع الواسعة الطويلة. و دلاص: ملساء لينة.

[9]الخيفانة: السريعة.

[10]في ب: أولادها.

متى يبلل الماء أعطافها # تبذّ الجياد و ما تبهر

أنهنه بالسوط من غربها[1] # و أقدمها حيث لا ينكر

و أرحضها[2]غير مذمومة # بلبّاتها العلق الأحمر

أقول و قد شكّ أقرابها[3] # غدرت و مثلي لا يغدر

و أشهدها غمرات الحروب # فسيّان تسلم أو تعقر

و قال العباس:

خفاف أ لم تر ما بيننا # يزيد استعارا إذا يسعر

أ لم تر أنا نهين التّلا # د للسائلين و ما نعذر[4]

/لأنا نكلّف فوق التي # يكلّفها الناس لو تخبر

لنا شيم غير مجهولة # توارثها الأكبر الأكبر

و خيل تكدّس بالدّار عيـ # ن تنحر في الرّوع أو تعقر

عليها فوارس مخبورة # كجنّ مساكنها عبقر

و رجراجة[5]مثل لون النجو # م لا العزل فيها و لا الحسّر

و بيض سوابغ مسرودة # مواريث ما أورثت حمير

فقد يعلم الحيّ عند الصّياح # بأن العقيلة بي تستر

و قد يعلم الحيّ عند الرها # ن أنّي أنا الشامخ المخطر[6]

و قد يعلم الحيّ عند السؤا # ل أنّي أجود و أستمطر

فأنّى تعيّرني بالفخار # فها أنا هذا هو المنكر[7]

صوت

ألا لا أبالي بعد ريّا أ وافقت # نوانا نوى الجيران أم لم توافق

هجان المحيّا حرّة الوجه سربلت # من الحسن سربالا عتيق البنائق

الشعر لجبهاء الأشجعيّ، و الغناء لإسحاق رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

[1]أنهنه: أكف، و الغرب: النشاط و الحدة.

[2]ف: و أرجعها.

[3]ف: أقرانها. و الأقراب جمع قرب، و هو الخاصرة.

[4]في ب: «... نهينا البلاد... و ما نغدر» .

[5]كتيبة رجراجة: تموج من كثرتها.

[6]في ف:

و قد علم الحي عند النطاح # أني أنا السابح المطحر

و رواية هب: عند الرهان، و الباقي كرواية ف.

[7]في بيروت: «هذا ذيك» بدل «فها أنا» .

6-أخبار جبهاء و نسبه

نسبه

جبهاء لقب غلب عليه، يقال جبهاء و جبيهاء[1]جميعا، و اسمه يزيد بن عبيد، و يقال: يزيد بن حميمة بن عبيد بن عقيلة بن قيس بن رويبة بن سحيم بن عبيد بن هلال بن زبيد بن بكر بن أشجع، شاعر بدويّ من مخاليف الحجاز، نشأ و توفّي في أيام بني أمية، و ليس ممّن انتجع الخلفاء بشعره و مدحهم فاشتهر، و هو مقلّ، و ليس من معدودي الفحول، و من الناس من يروي هذه الأبيات لأبي ربيس الثّعلبيّ[2]و ليس ذلك بصحيح، و هي في شعر جبهاء موجودة.

لقاؤه بالفرزدق

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزّبير بن بكّار، قال: حدثني عمّي، و أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدّثنا أبو الحسن الأحول، عن الطّوسيّ، عن أبي عمرو الشّيبانيّ، قال: قدم جبيهاء الأشجعيّ البصرة بجلوبة[3]له يريد بيعها، فلقيه الفرزدق بالمربد، فقال: ممّن الرّجل؟قال: من أشجع، قال: أ تعرف شاعرا منكم يقال له جبهاء أو جبيهاء؟قال: نعم. قال: أ فتروي قوله: أمن الجميع بذي البقاع[4]ربوع # هاجت فؤادك و الرّبوع تروع

قال: نعم، قال: فأنشدنيها، فأنشده قوله منها: من بعد ما نكرت و غيّر آيها # قطر و مسبلة الدّموع[5]خريع

/يا صاحبيّ ألا ارفعا لي آية # تشفى الصّداع فيذهل المرفوع

ألواح ناجية كأنّ تليلها[6] # جذع تطيف به الرّقاة منيع

حتى أتى على آخرها، فقال الفرزدق: فأقسم باللّه إنك لجبهاء، أو إنّك لشيطانه.

قال الأخفش في خبره عن أصحابه: الخريع: الذاهبة العقل، شبّه السحابة بها لأنّها لا تتمالك من المطر.

/أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن عبيد المكتب قال: حدثني عليّ بن الصّباح، عن ابن الكلبيّ، قال: [1]في ب، هب: جبها و جبيها.

[2]ف، بيروت: لابن دبيس التغلبي. و في ب، هب: «لابن رئيس الثعلبي» ، تحريف. و قال الزبيدي في «التاج» (ربس) : أبو الربيس عباد بن طهمة، هكذا بالميم في التكملة، و ذكر الحافظ أنه طهفة الثعلبي شاعر من

بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان، هكذا قاله الصاغاني. و في «اللسان» : أبو الربيس التغلبي من شعراء تغلب و هو تصحيف، و الصواب مع الصاغاني.

[3]الجلوبة: الإبل يحمل عليها متاع القوم.

[4]ف، بيروت: النعاع.

[5]في ف: و مسبلة الذيول.

[6]الناجية: الناقة، و التليل: العنق.

قدم جبيهاء الأشجعيّ المدينة بجلوبة له، فبينا هو يبيعها و الفرزدق يومئذ بالمدينة إذ مرّ به، فقال له: ممن أنت؟قال: من أشجع، قال: أ تعرف شاعرا منكم يقال له جبهاء أو جبيهاء؟قال: نعم، قال: أ تروي قصيدته: ألا لا أبالي بعد ريّا أ وافقت # نوانا نوى الجيران أم لم توافق

قال: نعم. قال: أنشدنيها، فأنشده إيّاها، فقال الفرزدق: أقسم باللّه إنّك لجبيهاء، أو إنك لشيطانه.

هجرته إلى المدينة

أخبرني الحرميّ قال: حدثنا الزّبير، قال: حدثني عمّي، عن سليمان بن عيّاش، قال: قالت زوجة جبهاء الأشجعيّ له: لو هاجرت بنا إلى المدينة و بعت إبلك و افترضت في العطاء كان خيرا لك، قال: أفعل. فأقبل بها و بإبله حتى إذا كان بحرّة واقم من شرقيّ المدينة، شرّعها بحوض واقم ليسقيها[1]، فحنّت ناقة منها ثم نزعت، /و تبعتها الإبل، و طلبها ففاتته، فقال لزوجته: هذه إبل لا تعقل، تحنّ إلى أوطانها، و نحن أحقّ بالحنين منها، أنت طالق إن لم ترجعي، و فعل اللّه بك و فعل و ردّها و قال: قالت أنيسة دع بلادك و التمس # دارا بطيبة ربّة الآطام

تكتب عيالك في العطاء و تفترض # و كذاك يفعل حازم الأقوام

فهممت ثم ذكرت ليل لقاحنا # بلوى عنيزة[2]أو بقفّ بشام

إذ هنّ عن حسبي مذاود كلّما # نزل الظلام بعصبة أغتام[3]

إن المدينة لا مدينة فالزمي # حقف السّناد و قبّة الأرجام[4]

يحلب[5]لك اللّبن الغريض و ينتزع # بالعيس من يمن إليك و شام

و تجاوري النفر الذين بنبلهم[6] # أرمي العدوّ إذا نهضت أرامي

الباذلين إذا طلبت تلادهم[7] # و المانعي ظهري من الغرّام

مجاورته في بني تيم

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثني أحمد بن زهير، قال: حدّثني مصعب قال: جاور جبهاء الأشجعيّ في بني تيم، بطن من أشجع، فاستمنحه مولى لهم عنزا، فمنحه/إيّاها فأمسكها دهرا، فلما طال على جبهاء ألاّ يردّها[8]، قال جبهاء: أ مولى بني تيم أ لست مؤدّيا # منيحتنا فيما تردّ المنائح[9]

[1]شرعها: أوردها الماء. واقم: أطم من آطام المدينة. ، و حرة واقم إلى جانبه.

[2]اللوى: ما التف من الرمل. و القف: ما ارتفع من الأرض. و عنيزة و بشام: موضعان. و في ب: «بذوي عنيزة» ، تحريف.

[3]الأغتام: الذين لا يفصحون.

[4]في ب: الأرحام.

[5]في ب: يجلب.

[6]في ف: «بنيلهم» ، تصحيف.

[7]في ب: «بلادهم» ، تصحيف.

[8]ب، هب: ما لا يردها.

[9]المنائح: الهبات.

لها شعر صاف و جيد مقلّص # و جسم زخاريّ و ضرس مجالح[1]

فأرسل إليه التّيميّ يقول:

بلى، سنؤدّيها إليك ذميمة # لتنكحها إن أعوزتك المناكح

فعمد به جبهاء فنزل، و قال:

لو كنت شيخا من سوأة نكحتها # نكاح يسار عنزه و هي سارح

قال: و هم يعيّرون[2]بنكاح العنز.

جبهاء و موسى بن زياد

أخبرني وكيع، قال: حدّثني أبو أيّوب المدينيّ، عن مصعب، قال: استطرق جبهاء الأشجعيّ موسى بن زياد الأشجعيّ كبشا[3]، فوعده ثم مطله، فقال جبهاء: /

واعدني الكبش موسى ثم أخلفني # و ما لمثلي تعتلّ الأكاذيب

يا ليت كبشك يا موسى يصادفه # بين الكراع و بين الوجنة الذّئب

أمسى بذي الغصن أو أمسى بذي سلم # فقحّمته إلى أبياتك اللّوب[4]

فجاء و الحيّ أيقاظ فطاف بهم # طوفين ثم أقرّته الأحاليب

/فبات ينظره حرّان منطويا # كأنه طالب للوتر مكروب

و قام يشتدّ حتى نال غرّته # طاوي الحشا ذرب الأنياب مذبوب[5]

بغفلة من زريق فاستمرّ به # و دونه آكم الحقف الغرابيب[6]

سل عنه أرخمة بيضا و أغربة # سودا لهنّ حنى أطمى سلاهيب[7]

يردين ردي العذارى حول دمنته # كما يطوف على الحوض المعاقيب

فجاء يحمل قرنيه و يندبه # فكلّ حيّ إذا ما مات مندوب[8]

صوت

و لها و لا ذنب لها # حبّ كأطراف الرّماح

في القلب يجرح و الحشا # فالقلب مجروح النّواحي

الشعر لوالبة بن الحباب، و الغناء ليزيد، رمل بالوسطى عن الهشاميّ و عمرو، و فيه لسبك[9]الزامر لحن عن ابن خرداذبه.

[1]الزخارى: الكثير الشحم و اللحم، و المجالح: الذي يقشر الشجر.

[2]في ف: يعرفون.

[3]استطرق كبشا: طلبه للضراب.

[4]اللوب: العطش.

[5]مذبوب: مجنون.

[6]الحقف: ما أعوج من الرمل. و الغرابيب: السود.

[7]أطمى سلاهيب: مرتفع.

[8]انفردت «ف» بالأبيات السبعة الأخيرة.

[9]في ف: لشك الزامر.

7-أخبار والبة بن الحباب

شاعر عباسي

والبة بن الحباب أسديّ صليبة، كوفيّ، شاعر من شعراء الدولة العباسيّة، يكنى أبا أسامة. و هو أستاذ أبي نواس، و كان ظريفا شاعرا غزلا وصّافا للشراب[1]و الغلمان المرد، و شعره في غير ذلك مقارب ليس بالجيّد، و قد هاجى بشّارا و أبا العتاهية، فلم يصنع شيئا و فضحاه، فعاد إلى الكوفة كالهارب، و خمل ذكره بعد.

المهدي يعجب بشعره و لا ينادمه

أخبرني محمد بن مزيد[2]قال: حدثنا حمّاد بن إسحاق، قال: حدثني أبي، و أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ، و الحسن بن علي الأدميّ جميعا، عن القاسم بن محمد الأنباريّ قال: حدثنا يعقوب بن عمر، قال: حدثني أحمد بن سلمان، قال: حدثني أبو عدنان السّلميّ الشاعر، قال: قال المهدي لعمارة بن حمزة: من أرقّ الناس شعرا؟قال: والبة بن الحباب الأسديّ، و هو الذي يقول: و لها و لا ذنب لها # حبّ كأطراف الرّماح

في القلب يقدح و الحشا # فالقلب مجروح النّواحي

قال: صدقت و اللّه، قال: فما يمنعك عن منادمته يا أمير المؤمنين؟ قال: يمنعني قوله: قلت لساقينا على خلوة # أدن كذا رأسك من راسي

و نم على صدرك لي ساعة # إنّي امرؤ أنكح جلاّسي[3]

/أ فتريد أن نكون من جلاّسه على هذه الشّريطة!.

قال شعرا في أبي نواس

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ إجازة: حدثني عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة، و وجدته في بعض الكتب عن ابن قتيبة و روايته أتمّ، فجمعتهما، قال: حدّثني الدّعلجيّ غلام أبي نواس، قال: أنشدت يوما بين يدي أبي نواس قوله: يا شقيق النفس من حكم # نمت عن ليلي[4]و لم أنم

[1]في «التجريد» : للخمر.

[2]في ف، بيروت: محمد بن الحسن بن دريد.

[3]في ب، هب، بيروت: حلاسيا. و قبلها: من راسيا.

[4]في ب: عن عيني.

و كان قد سكر، فقال: أخبرك بشيء على أن تكتمه؟قلت: نعم، قال: أ تدري من المعنيّ بقوله: يا شقيق النفس من حكم؟قلت: لا، قال: أنا و اللّه المعنيّ بذلك، و الشعر لوالبة بن الحباب، قال: و ما علم بذلك غيرك و أنت أعلم، فما حدّثت بهذا حتى مات.

قال: و قال الجاحظ: كان والبة بن الحباب، و مطيع بن إياس، و منقذ بن عبد الرحمن الهلاليّ، و حفص بن أبي وردة، و ابن/المقفّع، و يونس بن أبي فروة، و حمّاد بن عجرد، و عليّ بن الخليل، و حمّاد بن أبي ليلى الراوية، و ابن الزّبرقان[1]، و عمارة بن حمزة، و يزيد بن الفيض، و جميل بن محفوظ، و بشّار المرعّث[2]، و أبان اللاّحقيّ ندماء، يجتمعون على الشراب و قول الشعر و لا يكادون يفترقون، و يهجو بعضهم بعضا هزلا و عمدا، و كلهم متّهم في دينه.

والبة و أبو العتاهية يتهاجيان

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ، قال: حدثنا محمد بن موسى بن حمّاد، قال: حدثني/محمد بن القاسم، قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم بن محمد السالميّ الكوفيّ التّيميّ، قال: حدثني محمد بن عمر الجرجانيّ، قال: رأيت أبا العتاهية جاء إلى أبي، فقال له: إن والبة بن الحباب قد هجاني، و من أنا منه؟أنا جرّار مسكين، و جعل يرفع من والبة و يضع من نفسه، فأحبّ أن تكلمه أن يمسك عنّي. قال: فكلم أبي والبة، و عرّفه أن أبا العتاهية جاءه و سأله ذلك، فلم يقبل و جعل يشتم أبا العتاهية، فتركه، ثم جاء أبو العتاهية فسأله عما عمل في حاجته، فأخبره بما ردّ عليه والبة، فقال لأبي: لي الآن إليك حاجة، قال: و ما هي؟قال: لا تكلمني في أمره، قال: قلت له: هذا أوّل[3]ما يجب لك، قال: فقال: أبو العتاهية يهجوه: أوالب أنت في العرب # كمثل الشّيص في الرّطب

هلمّ إلى الموالي الصّيـ # ـد في سعة و في رحب

فأنت بنا لعمر اللّ # ـه أشبه منك بالعرب

غضبت عليك ثم رأيـ # ـت وجهك فانجلى غضبي

لما ذكّرتني من لون أجـ # ـدادي و لون أبي

فقل ما شئت أقبله[4] # و إن أطنبت في الكذب

لقد أخبرت عنك و عن # أبيك الخالص العربي

فقال العارفون به # مصاص غير مؤتشب[5]

[1]ف، بيروت: «و حماد بن الزبرقان» ، تصحيف.

[2]في ب، س، هب: «المرغث» . و سمي المرعث لبيت قاله، و هو: قال ريم مرعث # ساحر الطرف و النظر

و انظر الأغاني 3-140 ط. دار الكتب.

[3]ف، هب، بيروت: أقل ما يجب لك.

[4]في ف: «أحمله» .

[5]المصاص: الخالص من كل شيء. و غير مؤتشب: غير مختلط.

أتانا من بلاد الرّو # م معتجرا[1]على قتب

خفيف الحاذ[2]كالصّمصا # م أطلس غير ذي نشب

أوالب ما دهاك و أنـ # ت في الأعراب ذو نسب

أراك ولدت بالمرّيـ # خ يا ابن سبائك الذهب

فجئت أقيشر الخدّيـ # ن أزرق عارم الذّنب

لقد أخطأت في شتمي # فخبّرني أ لم أصب

و قال في والبة أيضا:

نطقت بنو أسد و لم تجهر # و تكلّمت خفيا[3]و لم تظهر

و أما و ربّ البيت لو نطقت # لتركتها و صباحها أغبر

أ يروم شتمي منهم رجل # في وجهه عبر لمن فكّر

و ابن الحباب صليبة زعموا # و من المحال صليبة أشقر

/ما بال من آباؤه عرب الألـ # وان يحسب من بني قيصر

أ ترون أهل البدو قد مسخوا # شقرا أما هذا من المنكر

و قال: و أول هذه القصيدة:

صرّح بما قد قلته و اجهر # لابن الحباب و قل و لا تحصر

ما لي رأيت أباك أسود غر # بيب القذال كأنه زرزر[4]

و كأنّ وجهك حمرة رئة # و كأنّ رأسك طائر أصفر

/قال: و بلغ الشعر والبة، فجاء إلى أبي فقال: قد كلمتني في أبي العتاهية، و قد رغبت في الصّلح، قال له أبي: هيهات إنه قد أكّد عليّ إن لم تقبل[5]ما طلب أن أخلّي بينك و بينه، و قد فعلت، فقال له والبة: فما الرأي عندك؟فإنه فضحني[6]، قال: تنحدر إلى الكوفة، فركب زورقا و مضى من بغداد إلى الكوفة، و أجود ما قاله والبة في أبي العتاهية قوله: كان فينا يكنى أبا إسحاق # و بها الرّكب سار في الآفاق

فتكنّى معتوهنا بعتاه # يا لها كنية أتت باتفاق

خلق اللّه لحية لك لا تنـ # فكّ معقودة لدى الحلاّق

و له فيه، و هو ضعيف سخيف من شعره:

قل لابن بائعة القصار[7] # و ابن الدّوارق و الجرار

[1]معتجرا: معتما.

[2]الحاذ: الظهر. و خفيف الحاذ: قليل المال. و في ف: خفيف الحال.

[3]في ف: تكلمت حينا.

[4]الغربيب: الأسود. و القذال: جماع مؤخر الرأس، أو: ما بين نقرة القفا إلى الأذن. و الزرزر: طائر من نوع العصفور؛ سمي بذلك لزرزرته، أي تصويته، و في هب: «زوزر» .

[5]في ب، س، بيروت: «ألاّ يقبل ما طلب و أن أخلي» .

[6]في ب: فقال له والبة: فما الرأي عندك؟فقال: «فضحني» ، تحريف.

[7]في ف، بيروت: التغار بدل القصار. و التغار: الإجانة.

تهوى عتيبة ظاهرا # و هواك في أير الحمار

تهجو مواليك الألى # فكّوك من ذلّ الإسار

والبة و علي بن ثابت

أخبرني عمّي، قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدّثني ابن أبي فنن، قال: كان والبة بن الحباب خليلا لعليّ بن ثابت، و صديقا و دودا، و فيه يقول: حيّ بها والبة المصطفى # حيّ كريما و ابن حرّ هجان

و قاسما نفسي فدت قاسما # من حدث الموت و ريب الزّمان

/قال: و لمّا مات والبة رثاه، فقال:

بكت البريّة قاطبة # جزعا لمصرع والبه

قامت لموت أبي أسا # مة في الرّفاق النّادبة

يقصد أبا بجير الأسدي بالأهواز و يلتقي بأبي نواس

قال: و كان والبة أستاذ أبي نواس، و عنه أخذ و منه اقتبس، قال: و كان والبة قد قصد أبا بجير الأسديّ و هو يتولّى للمنصور الأهواز، فمدحه و أقام عنده، فألفى أبا نواس هناك و هو أمرد، فصحبه و كان حسن الوجه، فلم يزل معه، فيقال: إنه كشف ثوبه ليلة فرأى حمرة أليتيه و بياضهما، فقبّلهما فضرط عليه أبو نواس، فقال له: لم فعلت هذا ويلك، قال: لئلاّ يضيع قول القائل: ما جزاء من يقبّل الاست إلا ضرطة.

والبة و أبو سلهب الشاعر

أخبرني محمّد بن العبّاس اليزيديّ، قال: حدّثني عمّي الفضل، قال: حدّثني أبو سلهب الشاعر، قال: كان والبة بن الحباب صديقي، و كان ماجنا طبعا، خفيف الرّوح، خبيث الدّين، و كنا ذات يوم نشرب بغمّى، فانتبه/يوما من سكره، فقال لي: يا أبا سلهب، اسمع، ثم أنشدني، قال: شربت وفاتك مثلي جموح # بغمّى بالكئوس و بالبواطي[1]

يعاطيني الزّجاجة أريحيّ # رخيم الدّلّ بورك من معاطي

أقول له على طرب: ألطني # و لو بمؤاجر علج نباطي

فما خير الشّراب بغير فسق # يتابع بالزّناء و باللّواط[2]

/جعلت الحجّ في غمّى و بنّا[3] # و في قطربّل أبدا رباطي

فقل للخمس آخر ملتقانا # إذا ما كان ذاك على الصّراط

يعني الصّلوات.

قال: و حدثني أنه كان ليلة نائما و أبو نواس غلامه إلى جانبه نائم إذ أتاه آت في منامه، فقال له: أ تدري من [1]البواطي جمع باطية: إناء من زجاج يملأ من الشراب، و يوضع بين الشرب يغترفون منه.

[2]في ب، س: «يتابعه زناء أو لواط» ، و يكون في الشعر إقواء.

[3]غمى و بنا: قريتان من نواحي بغداد («معجم البلدان») .

هذا النائم إلى جانبك؟قال: لا، قال: هذا أشعر منك و أشعر من الجنّ و الإنس، أما و اللّه لأفتننّ بشعره الثّقلين و لأغرينّ به أهل المشرق و المغرب، قال: فعلمت أنّه إبليس، فقلت له: فما عندك؟قال: عصيت ربّي في سجدة فأهلكني، و لو أمرني أن أسجد له ألفا لسجدت.

حكم الوادي يغني شعر والبة

أخبرني الحسين[1]بن يحيى قال: حدثنا حمّاد بن إسحاق، قال: قرأت على أبي عن أبيه أنّ حكم الوادي أخبره أنّه دخل على محمّد بن العبّاس يوما بالبصرة و هو يتململ خمارا، و بيده كأس و هو يجتهد في شربها فلا يطيقه، و ندماؤه بين يديه في أيديهم أقداحهم، و كان يوم نيروز[2]، فقال لي: يا حكم غنّني فإن أطربتني فلك كلّ ما أهدي إليّ اليوم[3]قال: و بين يديه من الهدايا أمر عظيم، فاندفعت أغنّي في شعر والبة بن الحباب:

صوت

قد قابلتنا الكئوس # و دابرتنا النّحوس[4]

/و اليوم هرمزروز[5] # قد عظّمته المجوس

لم نخطه في حساب # و ذاك ممّا نسوس

فطرب و استعاده، فأعدته ثلاث مرّات، فشمّرت قدحه[6]و استمرّ في شربه، و أمر بحمل كل ما كان بين يديه إليّ، فكانت قيمته ثلاثين ألف درهم.

لحن حكم الوادي في هذا الشعر هزج بالبنصر عن الهشاميّ و إبراهيم و غيرهما.

صوت

لقد زاد الحياة إليّ حبّا # بناتي إنّهنّ من الضّعاف

مخافة أن يذقن البؤس بعدي # و أن يشربن رنقا بعد صاف

و أن يرين إن كسي الجواري # فيبدي الصّرّ عن هزل عجاف[7]

و لولاهنّ قد سوّمت مهري # و في الرّحمن للضّعفاء كاف

الشعر لعمران بن حطان فيما ذكر أبو عمرو الشّيبانيّ، و ذكر المدائنيّ أنّه لعيسى الحبطيّ، و كلاهما من الشّراة، و الغناء لمحمّد بن الأشعث الكوفيّ، خفيف رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة.

[1]في ب، ما: الحسن.

[2]النيروز عند الفرس: أول يوم من أيام السنة الشمسية.

[3]في ب: «فلك كل ما يهدي إلى اليوم» .

[4]ف: و أدبرتنا.

[5]في ب، س: «و اليوم هو نيروز» .

[6]شعرت: خففت بالماء. و في ب، بيروت، هب: «فشرب» .

[7]في ب، ف: «كوم عجاف» . چ و في هب، بيروت: «كرم عجاف» .

8-أخبار عمران بن حطان و نسبه

نسبه

هو عمران بن حطّان، بن ظبيان بن لوذان، بن عمرو، بن الحارث، بن سدوس، بن شيبان، بن ذهل، ابن ثعلبة، بن عكابة، بن صعب، بن عليّ، بن بكر، بن وائل.

من شعراء الشراة

و قال ابن الكلبيّ: هو عمران، بن حطّان، بن ظبيان، بن معاوية، بن الحارث، بن سدوس[1]. و يكنى أبا شهاب[2]. شاعر فصيح من شعراء الشّراة[3]و دعاتهم و المقدّمين في مذهبهم، و كان من القعدة[4]؛ لأن عمره طال فضعف عن الحرب و حضورها، فاقتصر على الدّعوة و التحريض بلسانه.

من رواة الحديث

كان قبل أن يفتن بالشّراة مشتهرا بطلب العلم و الحديث، ثم بلي بذلك المذهب فضلّ و هلك، لعنه اللّه، و قد أدرك صدرا من الصحابة، و روى عنهم، و روى عنه أصحاب الحديث. فما روي عنه ما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدّثنا الرّياشيّ، قال: حدثنا أبو الوليد الطّيالسيّ، عن أبي عمرو بن العلاء، عن أبي صالح بن سرح اليشكريّ، عن عمران بن حطّان قال: كنت عند عائشة فتذاكروا القضاة، فقالت: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «يؤتى بالقاضي العدل، فلا يزال به ما يرى من شدّة الحساب، حتى يتمنى أنّه لم يقض بين اثنين في تمرة» .

و كان أصله من البصرة، فلما اشتهر بهذا المذهب طلبه الحجّاج، فهرب إلى الشأم، فطلبه عبد الملك، فهرب إلى عمان، و كان ينتقل إلى أن مات في تواريه.

تزوج امرأة من الشراة فأضلته

أخبرني محمّد بن عمران الصّيرفي، قال: حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ، قال: حدّثنا منيع بن أحمد السّدوسيّ، عن أبيه، عن جده، قال: كان عمران بن حطّان من أهل السّنّة و العلم، فتزوّج امرأة من الشّراة من عشيرته، و قال: أردّها عن مذهبها إلى الحق، فأضلّته و ذهبت به.

[1]ف: «... بن ظبيان بن سعد بن معاوية بن سدوس» .

[2]في ب، بيروت، «المختار» : «و يكنى أبا سماك» .

[3]الشراة: الخوارج، سموا بذلك لقولهم: إننا شرينا أنفسنا في طاعة اللّه، أي بعناها بالجنة حين فارقنا الأئمة الجائرة.

[4]القعدة: العاجزون.

طلبه الحجاج فهرب منه إلى الشام

و أخبرني بخبره في هربه من الحجاج عمر بن عبد اللّه بن جميل العتكيّ، و محمد بن العباس اليزيديّ، قالا: حدثنا الرّياشيّ، قال: حدثنا الحكم بن مروان، قال: حدثنا الهيثم بن عديّ قال: طلب الحجّاج عمران بن حطّان السّدوسيّ، و كان من قعدة الخوارج، فكتب فيه إلى عمّاله و إلى عبد الملك.

و أخبرني بهذا الخبر أيضا الحسن بن عليّ الخفّاف، و محمد بن عمران الصيرفيّ، قالا: حدثنا العنزيّ، قال: حدّثنا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصّمد الدّارع، قال: حدّثنا أبو عبيدة معمر بن المثنّى، عن أخيه يزيد بن المثنّى: أن عمران بن حطّان خرج هاربا من الحجاج، فطلبه، و كتب فيه إلى عمّاله و إلى عبد الملك، فهرب و لم يزل يتنقّل في أحياء العرب، و قال في ذلك: حللنا في بني كعب بن عمرو # و في رعل[1]و عامر عوثبان

و في جرم و في عمرو بن مرّ # و في زيد و حيّ بني الغدان

عمران و روح بن زنباع

ثم لحق بالشأم فنزل بروح بن زنباع الجذاميّ، فقال له روح: ممّن أنت؟قال: من الأزد، أزد السّراة[2]، قال: و كان روح يسمر عند عبد الملك فقال له ليلة: يا أمير المؤمنين إنّ في أضيافنا رجلا ما سمعت منك حديثا قط إلاّ حدّثني به و زاد فيما/ليس عندي قال: ممّن هو؟قال: من الأزد، قال: إني لأسمعك تصف صفة عمران بن حطّان؛ لأنني سمعتك تذكر لغة نزاريّة[3]و صلاة و زهدا و رواية و حفظا، و هذه صفته، فقال روح: و ما أنا و عمران! ثم دعا بكتاب/الحجاج فإذا فيه: أما بعد، فإنّ رجلا من أهل الشّقاق و النّفاق، قد كان أفسد عليّ أهل العراق و حبّبهم بالشّراية[4]، ثم إني طلبته، فلما ضاق عليه عملي تحوّل إلى الشام، فهو ينتقل في مدائنها، و هو رجل ضرب[5]طوال أفوه أروق[6]، قال: قال روح: هذه و اللّه صفة الرجل الذي عندي. ثم أنشد عبد الملك يوما قول عمران يمدح عبد الرحمن بن ملجم-لعنه اللّه-بقتله عليّ بن أبي طالب، صلوات اللّه عليه: يا ضربة من كريم ما أراد بها # إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأفكر فيه ثم أحسبه # أوفى البريّة عند اللّه ميزانا

ثم قال عبد الملك: من يعرف منك قائلها؟فسكت القوم جميعا، فقال لروح: سل ضيفك عن قائلها، قال: نعم أنا سائله[7]، و ما أراه يخفى على

ضيفي و لا سألته عن شيء قطّ فلم أجده إلاّ عالما به. و راح روح إلى [1]في «المختار» : عك. و في ف: عتك، تحريف، و رعل: قبيلة من سليم.

[2]في ب، هب، ف: الشراة. و في «المختار» أزد شنوءة.

[3]في ف، «المختار» ، «التجريد» : فزارية.

[4]في هب، «المختار» و حببهم بالشراة.

[5]الضرب: الخفيف اللحم.

[6]الأروق: الطويل الأسنان. و في ب، هب، بيروت: «أزرق» .

[7]في ب: «أنا سائلهم» .

أضيافه، فقال: إنّ أمير المؤمنين سألنا عن الذي يقول:

يا ضربة من كريم ما أراد بها # ... ...

ثم ذكر الشعر، و سألهم عن قائله، فلم يكن عند أحد منهم علم، فقال له عمران: /هذا قول عمران بن حطّان في ابن ملجم قاتل عليّ بن أبي طالب، قال: فهل فيها غير هذين البيتين تفيدنيه؟قال: نعم:

للّه درّ المراديّ الذي سفكت # كفّاه مهجة شرّ الخلق إنسانا

أمسى عشيّة غشّاه بضربته # ممّا جناه من الآثام عريانا

-صلوات اللّه على أمير المؤمنين، و لعن اللّه عمران بن حطان و ابن ملجم-فغدا روح فأخبر عبد الملك، فقال: من أخبرك بذلك، فقال: ضيفي، قال: أظنّه عمران بن حطّان، فأعلمه أنّي قد أمرتك أن تأتيني به، قال: أفعل، فراح روح إلى أضيافه فأقبل على عمران، فقال له: إني ذكرتك لعبد الملك، فأمرني أن آتيه بك، قال: كنت أحبّ ذلك منك، و ما منعني من ذكره إلا الحياء منك، و أنا متّبعك، فانطلق. فدخل روح على عبد الملك، فقال له: أين صاحبك؟فقال: قال لي: أنا متّبعك، قال: أظنّك و اللّه سترجع فلا تجده، فلما رجع روح إلى منزله إذا عمران قد مضى، و إذا هو قد خلّف رقعة في كوّة عند فراشه، و إذا فيها يقول: يا روح كم من أخي مثوى نزلت به # قد ظنّ ظنّك من لخم و غسّان

حتى إذا خفته فارقت منزله # من بعد ما قيل: عمران بن حطّان

قد كنت ضيفك حولا لا تروّعني # فيه الطوارق من إنس و لا جان

حتى أردت بي العظمى فأوحشني # ما أوحش الناس من خوف ابن مروان

فاعذر أخاك ابن زنباع فإنّ له # في الحادثات هنات ذات ألوان

يوما يمان إذا لاقيت ذا يمن # و إن لقيت معدّيا فعدناني

لو كنت مستغفرا يوما لطاغية # كنت المقدّم في سرّي و إعلاني

لكن أبت ذاك آيات مطهّرة # عند التّلاوة في طه و عمران

نزوله بزفر بن الحارث ثم خروجه من عنده

قال: ثم أتى عمران بن حطّان الجزيرة، فنزل بزفر بن الحارث الكلابي بقرقيسيا، فجعل شباب/بني عامر يتعجّبون من صلاته و طولها، و انتسب لزفر أوزاعيّا، فقدم على زفر رجل من أهل الشام قد كان رأى عمران بن حطّان بالشام عند روح بن زنباع، فصافحه و سلّم عليه، فقال زفر للشّامي:

أتعرفه؟قال: نعم، هذا شيخ من الأزد، فقال له زفر: أزديّ مرّة و أوزاعيّ أخرى!إن كنت خائفا آمنّاك، و إن كنت عائلا أغنيناك، فقال: إن اللّه هو المغني، و خرج من عنده و هو يقول: إن الّتي أصبحت يعيا بها زفر # أعيت عياء على روح بن زنباع[1]

أمسى يسائلني حولا لأخبره # و الناس من بين مخدوع و خدّاع

[1]في «المختار» «عيت عياء» و في ب، س: «... يعني بها زفر... أعيت عناء.. » .

حتى إذا انجذمت منّي حبائله # كفّ السّؤال و لم يولع بإهلاعي[1]

فاكفف كما كفّ روح إنّني رجل # إمّا صريح و إمّا فقعة القاع[2]

أمّا الصّلاة فإني غير تاركها # كلّ امرئ للّذي يعنى به ساعي

فاكفف لسانك عن هزّي و مسألتي # ما ذا تريد إلى شيخ لأوزاع!

أكرم بروح بن زنباع و أسرته # قوما دعا أوّليهم للعلى داعي

جاورتهم سنة فيما دعوت به # عرضي صحيح و نومي غير تهجاع

فاعمل فإنك منعيّ بحادثة # حسب اللّبيب بهذا الشيب من ناعي

هروبه من الحجاج إلى روذ ميسان و وفاته بها

ثم خرج فنزل بعمان بقوم يكثرون ذكر أبي بلال مرداس بن أديّة، و يثنون عليه و يذكرون فضله، فأظهر فضله و يسّر أمره عندهم، و بلغ الحجاج مكانه، فطلبه، فهرب فنزل في روذ ميسان-طسّوج من طساسيج السّواد إلى جانب الكوفة-فلم يزل به حتى مات، و قد كان نازلا هناك على رجل من الأزد، فقال في ذلك: نزلت بحمد اللّه في خير أسرة # أسرّ بما فيهم من الإنس و الخفر

نزلت بقوم يجمع اللّه شملهم # و ما لهم عود سوى المجد يعتصر

من الأزد إنّ الأزد أكرم أسرة # يمانية قربوا[3]إذا نسب البشر

قال اليزيديّ: الإنس بالكسر: الاستئناس. و قال الرّياشي: أراد قربوا فخفّف، قال: و أصبحت فيهم آمنا لا كمعشر # بدوني[4]فقالوا من ربيعة أو مضر

أو الحيّ قحطان و تلك سفاهة # كما قال لي روح و صاحبه زفر

و ما منهم إلا يسرّ بنسبة # تقرّبني[5]منهم و إن كان ذا نفر

فنحن بنو الإسلام و اللّه واحد[6] # و أولي عباد اللّه باللّه من شكر

أخبرنا اليزيديّ قال: حدثنا الرّياشيّ قال: حدّثنا الأصمعيّ عن المعتمر بن سليمان قال: كان عمران بن حطّان رجلا من أهل السنة، فقدم عليه غلام من عمان كأنه نصل، فقلبه عن مذهبه في مجلس واحد.

/أخبرني اليزيديّ، قال: حدثنا الرّياشيّ، قال: حدّثنا مسدّد بن مسرهد، قال: حدّثنا بشر بن المفضّل، عن سلمة[7]بن علقمة، عن محمد بن سيرين، و أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا الحسن[8]بن عليل العنزيّ، [1]الإهلاع: الإفزاع و الترويع.

[2]يقال لمن لا أصل له: هو فقعة القاع.

[3]في «المختار» : «تعلو» .

[4]في بيروت: «أتوني» . و في «المختار» : «بدوا بي» .

[5]في ب: «تصيرني» .

[6]في «المختار» : «و اللّه ربنا» .

[7]في ب، س: «مسلم» .

[8]في ب: «الحسين» ، تحريف.

قال: حدثنا عمرو بن عليّ القلاّس، /و عباس العنبريّ، و محمد بن عبد اللّه المخزوميّ، قالوا: حدّثنا عبد الرحمن ابن مهديّ، عن بشر بن المفضّل، عن سلمة بن علقمة، عن محمد بن سيرين، قال: تزوّج عمران بن حطّان امرأة من الخوارج فقيل له فيها، فقال: أردّها عن مذهبها فذهبت هي به.

خارجي يتخلف عن الخروج و يتمثل بشعر لعمران

نسخت عن بعض الكتب: حدّثنا المدائنيّ، عن جويرية قال:

كتب عيسى الحبطيّ إلى رجل منهم يقال له أبو خالد، كان تخلّف عن الخروج مع قطريّ أو غيره منهم: أبا خالد أنفر فلست بخالد # و ما ترك الفرقان عذرا لقاعد

أ تزعم أنّا الخارجون على الهدى[1] # و أنت مقيم بين لصّ و جاحد!

فكتب إليه: ما منعني عن الخروج إلاّ بناتي و الحدب[2]عليهن حين سمعت عمران بن حطّان يقول: لقد زاد الحياة إليّ حبّا # بناتي إنّهن من الضّعاف

و لو لا ذاك قد سوّمت مهري # و في الرّحمن للضّعفاء كاف

/قال: فجلس عيسى يقرأ الأبيات و يبكي، و يقول: صدق أخي، إنّ في ذلك لعذرا له، و إنّ في الرحمن للضعفاء كافيا.

الأخطل يرى أن عمران أشعر الشعراء

و قال هارون: أخذت من خط أبي عدنان: أخبرني أبو ثروان الخارجيّ، قال: سمعت أشياخ الحيّ يقولون: اجتمعت الشعراء عند عبد الملك بن مروان فقال لهم: أبقي أحد أشعر منكم؟قالوا: لا. فقال الأخطل: كذبوا يا أمير المؤمنين، قد بقي من هو أشعر منهم، قال: و من هو؟قال عمران بن حطّان، قال: و كيف صار أشعر منهم؟قال: لأنه قال و هو صادق ففاتهم، فكيف لو كذب كما كذبوا!.

الحجاج يتحصن من غزالة الحرورية و عمران يتهكم عليه

أخبرنا الحسن بن عليّ قال: حدثنا ابن مهرويه عن ابن أبي سعد، عن أحمد بن محمد بن عليّ بن حمزة الخراسانيّ، عن محمد بن يعقوب بن عبد الوهاب، عن يحيى بن عباد بن عبد اللّه بن الزبير، عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن القارئ، عن الزّهريّ، عن أبيه: أنّ غزالة الحروريّة[3]، لما دخلت على الحجاج هي و شبيب الكوفة، تحصّن منها و أغلق عليه قصره،

فكتب إليه عمران بن حطّان، و قد كان الحجاج لجّ في طلبه، قال: أسد عليّ و في الحروب نعامة # ربداء تجفل من صفير الصافر[4]

هلاّ برزت إلى غزالة في الوغى # بل كان قلبك في جناحي طائر

[1]في هب، ب، «التجريد» : «أ تزعم أن الخارجين على الهدى» .

[2]في ب، هب: «و الحرب» .

[3]الحرورية: فرقة من الخوارج ينسبون إلى حروراء: قرية بقرب الكوفة، كان أول اجتماعهم بها و تعمقوا في أمر الدين حتى مرقوا منه.

[4]ربداء: مقيمة. تجفل: تهرب.

صدعت غزالة قلبه بفوارس # تركت مدابره كأمس الدّابر

ثم لحق بالشام فنزل على روح بن زنباع.

عمران يصير حروريّا

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ، قال: حدّثنا محمد بن خالد أبو حرب، قال: حدثنا محمد بن عبّاد المهلبيّ، قال: حدثنا جرير بن حازم، قال: كان عمران بن حطّان أشدّ الناس خصومة للحروريّة حتى لقيه أعرابيّ حروريّ فخاصمه فخصمه فصار عمران حروريّا، و رجع عن رأيه.

قال جرير بن حازم: كان الفرزدق يقول: لقد أحسن بنا ابن حطّان حيث لم يأخذ فيما أخذنا فيه، و لو أخذ فيما أخذنا فيه لأسقطنا؛ يعني لجودة شعره.

لا يقول أحد من الشعراء شعرا إلا نسب إليه لشهرته

نسخت من كتاب ابن سعد قال: أخبرني الحسن بن عليل العنزيّ، قال: أخبرني أحمد/بن عبد اللّه بن سويد بن منجوف السّدوسيّ، قال: أخبرني أحمد بن مؤرّج، عن أبيه قال: حدثني به تميم بن سوادة، و هو ابن أخت مؤرّج، قال: حدثني أبو العوّام السّدوسيّ، قال: كان مالك المذموم[1]رجلا من بني عامر بن ذهل، و كان من الخوارج، و كان الحجّاج يطلبه. قال أبو العوّام: فدخلت عليه يوما و هو في تواريه، فأنشدني يقول: أ لم يأن لي يا قلب أن أترك الصّبا # و أن أزجر النفس اللّجوج عن الهوى

و ما عذر من يعمى و قد شاب رأسه # و يبصر أبواب الضّلالة و الهدى

و لو قسم الذّنب الذي قد أصبته # على النّاس خاف النّاس كلّهم الرّدى

فإن جنّ ليل كنت باللّيل نائما[2] # و أصبح بطّال العشيّات و الضّحى

قال: فلما فرغ من إنشادها قال: سيغلبني عليها صاحبكم، يعني عمران بن حطّان، فكان كذلك، لمّا شاعت رواها الناس لعمران، و كان لا يقول أحد من الشّعراء شعرا إلاّ نسب إليه لشهرته إلاّ من كان مثله في الشّهرة مثل قطريّ/و عمرو القنا[3]و ذويهما، قال: ثم هرب إلى اليمامة من الحجّاج، فنزل بحجر، فأتاه آل حكّام الحنفيّون[4]، فقال: طيّروني من البلاد و قالوا # مالك النّصف[5]من بني حكّام

ناق سيري قد جدّ حقّا[6]بنا السّ # ير و كوني جوّالة في الزّمام

[1]في بيروت: المزموم. و في ب: المرموم.

[2]في هب: «... كنت بالليل قائما» . و في ب، بيروت: «و إن جن ليل كان بالليل نائما» .

[3]في ب: «عمرو الغناء» .

[4]في ب: «فأداه إلى بني حكام الحنفيون» ، تحريف.

[5]النصف «بكسر النون و تفتح و تضم» : اسم بمعنى الإنصاف.

[6]في ب: قد جد خفيّا.

فمتى تعلقي[1]يد الملك الأسـ # ود تستيقني بألاّ تضامي

قد أراني و لي من الحاكم النّصـ # ف بحدّ السّنان أو بالحسام

قال: و الملك الأسود إبراهيم بن عربيّ والي اليمامة لعبد الملك، و كان ابن حكّام على شرطته قال: و منينا بطمطم[2]حبشيّ # حالك الوجنتين من آل حام

لا يبالي إذا تضلّع خمرا # أ بحلّ رماك أم بحرام[3]

قال العنزيّ: فأخبرني محمد بن إدريس بن سليمان بن أبي حفصة، عن أبيه، قال: كان مالك المذموم من أحسن الناس قراءة للقرآن، فقرأ ذات ليلة فسمعت قراءته امرأة من آل حكّام[4]فرمت بنفسها من فوق سطح كانت عليه، فسمع الصوت أهلها، فأتوه فضربوه ضربات، فاستعدى عليهم إبراهيم بن عربيّ، و كان عبد اللّه/بن حكّام على شرطته فلم يعده[5]عليهم، فهجاه بالأبيات الماضية، و هجاه بقصيدته التي أوّلها: دار سلمى بالجزع ذي الآطام # خبّرينا سقيت صوب الغمام

و هي طويلة ينسبونها أيضا إلى عمران بن حطّان.

الفرزدق يعترف بتفوقه و نبوغه

أخبرني أحمد بن الحسين الأصبهانيّ ابن عمّي قال: حدّثني أبو جعفر بن رستم الطبريّ النّحويّ، قال: حدثنا أبو عثمان المازنيّ، قال: حدّثنا عمرو بن مرّة[6]، قال: مرّ عمران بن حطّان على الفرزدق و هو ينشد و الناس حوله، فوقف عليه، ثم قال: أيّها المادح العباد ليعطى # إنّ للّه ما بأيدي العباد

فاسأل اللّه ما طلبت إليهم # و ارج فضل المقسّم العوّاد

/لا تقل في الجواد ما ليس فيه # و تسمّي البخيل باسم الجواد

فقال الفرزدق: لو لا أنّ اللّه عز و جل شغل عنا هذا برأيه للقينا منه شرّا.

مسلمة بن عبد الملك يبكيه شعر لعمران

و قال هارون بن الزّيّات: أخبرني عبد الرحمن بن موسى الرّقيّ، قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن حميد بن سليمان بن حفص بن عبد اللّه بن أبي جهم بن حذيفة بن غانم العدويّ[7]، قال: حدثنا يزيد بن مرة، عن أبي عبيدة معمر بن المثنى عن عيسى بن يزيد بن بكر المدنيّ، قال: اجتمع عند

‟

مسلمة بن عبد الملك ناس من سمّاه، فيهم عبد اللّه بن عبد الأعلى الشّاعر، فقال مسلمة: أيّ بيت [1]في ب: «تلقني» . و في هب: «نلتقي» ، و سقط البيت الثاني منها.

[2]رجل طمطم كزبرج: في لسانه عجمة.

[3]تضلع: امتلأ. و في ف، بيروت: «بحلال رماك... » .

[4]في ب: «من آل حام» .

[5]لم يعده: لم ينصره.

[6]في ب، هب: «عمرو بن ترمذة» .

[7]في ب: «... بن سديفة بن هاشم العدوي» بدلا من «حذيفة بن غانم العدوي» .

قالته العرب أوعظ و أحكم؟فقال له عبد اللّه قوله:

صبا ما صبا حتى علا الشّيب رأسه # فلما علاه قال للباطل ابعد

/فقال مسلمة: إنّه و اللّه ما وعظني شعر قطّ كما وعظني شعر ابن حطّان حيث يقول: فيوشك يوم أن يقارن ليلة # يسوقان حتفا راح نحوك أو غدا

فقال بعض من حضر: و اللّه لقد سمعته أجّل الموت ثم أفناه، و ما صنع هذا غيره، فقال مسلمة: و كيف ذاك؟ قال: قال: لا يعجز الموت شيء دون خالقه # و الموت فان إذا ما ناله الأجل

و كلّ كرب أمام الموت متّضع # للموت، و الموت فيما بعده جلل

فبكى مسلمة حتى اخضلّت لحيته، ثم قال: ردّدهما عليّ، فردّدهما عليه حتى حفظهما.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزيّ، قال: حدثنا منيع بن أحمد بن مؤرّج السّدوسيّ، عن أبيه، عن جدّه، قال: تزوج عمران بن حطّان حمزة بنت عمه ليردّها عن مذهب الشّراية، فذهبت به إلى رأيهم، فجعل يقول فيها الشعر، فممّا قال فيها: يا حمز إنّي على ما كان من خلقي # مثن بخلاّت صدق كلّها فيك

اللّه يعلم أنّي لم أقل كذبا # فيما علمت و أنّي لا أزكّيك

امرأته تتهمه بالكذب في شعره فيرد اتهامها

أخبرني الحسن، قال: حدثنا محمد بن موسى، و حدثني بعض أصحابنا، عن العمريّ، عن الهيثم بن عديّ: أنّ امرأة عمران بن حطّان قالت له: أ لم تزعم أنّك لا تكذب في شعرك؟قال: بلى، قالت: أ فرأيت قولك: و كذاك مجزأة بن ثو # ر كان أشجع من أسامة

أ يكون رجل أشجع من الأسد؟قال: نعم، إنّ مجزأة بن ثور فتح مدينة كذا، و الأسد لا يقدر على فتح مدينة.

صوت

نديميّ قد خفّ الشّراب و لم أجد # له سورة في عظم رأسي و لا جلدي

نديميّ هذي غبّهم فاشربا بها # و لا خير في شرب يكون على صرد[1]

الشعر لعمار بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ، و الغناء لابن سريج خفيف ثقيل.

[1]سقاه الخمر صردا، أي صرفا. و في ف، بيروت: «على حرد» .

9-أخبار عمارة بن الوليد و نسبه

نسبه

عمارة بن الوليد، بن المغيرة، بن عبد اللّه، بن مخزوم، بن يقظة، بن مرّة، بن كعب، بن لؤيّ، بن غالب، و هو أحد أزواد الرّكب[1]، و يقال له الوحيد، و كان أزواد الرّكب لا يمرّ عليهم أحد إلا قروه و أحسنوا ضيافته، و زوّدوه ما يحتاج إليه لسفره، و كان عمارة بن الوليد فخورا معنّا[2]متعرّضا لكل ذي عارضة من قريش، فأخبرني عمّي قال: حدّثنا عبد اللّه بن شبيب، قال: حدثنا الزّبير بن بكّار، عن الحزاميّ، قال: مرّ عمارة بن الوليد بمسافر بن عمرو، فوقف عليه و هو منتش، فقال: خلق البيض الحسان لنا # و جياد الرّيط و الأزر

كابرا كنّا أحقّ به # حين صيغ الشّمس و القمر

فأجابه مسافر بن عمرو بن أميّة، فقال:

أعمار بن الوليد لقد # يذكر الشّاعر من ذكره[3]

هل أخو كأس مخفّفها # و موقّ صحبه سكره

و محيّيهم إذا شربوا # و مقلّ فيهم هذره

خلق البيض الحسان لنا # و جياد الرّيط و الحبره

كابرا كنّا أحقّ به # كلّ حيّ تابع أثره

يعود إلى الشراب بعد أن عاهد امرأته على تركه

أخبرني عمّي قال: حدثنا الكرانيّ، قال: حدّثنا العمريّ، عن الهيثم بن عديّ/عن حمّاد الراوية: أنّ عمارة بن الوليد خطب امرأة من قومه فقالت: لا أتزوّجك أو تترك الشّراب و الزّنا، قال: أما الزّنا فأتركه، و أما الشّراب فلا أتركه و لا أستطيع. ثم اشتدّ وجده بها فحلف ألاّ يشرب، فتزوجها و مكث حينا لا يشرب، ثم إنه لبس ذات يوم حلّته و ركب ناقته و خرج يسير، فمر بخمّار و عنده شرب يشربون، فدعوه فدخل عليهم و قد أنفدوا ما عندهم، فقال للخمّار: أطعمهم ويلك، فقال: ليس عندي شيء، فنحر لهم ناقته، فأكلوا منها، فقال: اسقهم، و لم يكن معهم شيء يشربون به، فسقاهم ببردته، و مكثوا أياما ذوات عدد، ثم خرج فأتى أهله، فلما رأته امرأته،

[1]في «القاموس» (زود) : أزواد الركب: مسافر بن أبي عمرو، و زمعة بن الأسود، و أبو أمية بن المغيرة؛ لأنه لم يكن يتزود معهم أحد في سفر، يطعمونه و يكفونه الزاد» .

[2]المعن: من يدخل فيما لا يعنيه و يعرض في كل شيء. و في «المختار» : «متعرضا لكل من عارضه من قريش» . و في ف: معيا. و في

بيروت: معييا.

[3]ف، «المختار» ، بيروت: «يذكر الإنسان من ذكره» .

قالت له: أ لم تحلف ألاّ تشرب؟و لامته، فقال: و لسنا بشرب أمّ عمرو[1]إذا انتشوا # ثياب النّدامى عندهم كالغنائم

و لكنّنا يا أمّ عمرو نديمنا # بمنزلة الرّيّان ليس بعائم

أسرّك لما صرّع القوم نشوة # أن أخرج منها سالما غير غارم

خليّا كأنّي لم أكن كنت فيهم # و ليس الخداع مرتضى في النّادم

ملاحاة بينه و بين عمرو بن العاص

[أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني عبد اللّه بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن محمد بن قادم مولى بني هاشم، قال: حدثني عمي: أحمد بن جعفر، عن ابن دأب، قال: قدم رجل من تجار الروم بحلّة من لباس قيصر على أهل مكة، فأتى بها عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ، فعرضها عليه بمائة حقّ من الإبل، فاستغلاها، فأتى بها عمرو بن العاص، فقال له: هل أتيت بها أحدا؟ قال: نعم، عمارة بن الوليد فاستغلاها و قال: لن تعدم لها غويّا من بني سهم، قال: قد أخذتها، فاشتراها بمائة حقّ، يعني مائة بعير، ثم أقبل يخطر فيها حتى أتى بني مخزوم، فناداه عمارة: أ تبيع الحلّة يا عمرو؟فغضب و التفت إلى عمارة، فقال: /

عليك بجزّ رأس أبيك إنّا # كفيناك المسهّمة[2]الرّقاقا

زووها[3]عنكم و غلت عليكم # و أعطينا بها مائة حقاقا

و قلتم: لا نطيق ثياب سهم # و كلّ سوف يلبس ما أطاقا

قال: فغضب عمارة و قال: يا عمرو، ما هذا التّهوّر؟إنك لست بعتبة بن ربيعة، و لا بأبي سفيان بن حرب، و لا الوليد بن المغيرة، و لا سهيل بن عمر، و لا أبيّ بن خلف، فقال عمرو: إلاّ أكن بعضهم فإن كلّ واحد منهم خير ما فيه فيّ: من عتبة حلمه، و من أبي سفيان رأيه، و من سهيل جوده، و من أبيّ بن خلف نجدته، و أما الوليد فو اللّه ما أحب أنّ فيّ كلّ ما فيه من خير و شر، و لكنك و اللّه مالك عقل الوليد، و لا بأس الحارث بن هشام و خالد بن الوليد، و لا لسان أبي الحكم، يعني أبا جهل. و انصرف، فأمر عمارة بجزور فنحرت على طريق عمرو، و أقبل عمرو فقال: لمن هذه الجزور؟ قيل: لعمارة، فقال له: أطعمنا منها يا عمارة، فضحك منه، ثم قال: عليك بجزر أير أبيك إنا # كفيناك المشاشة و العراقا[4]

و منسبة الأطايب من قريش # و لم تر كأسنا إلاّ دهاقا

و نلبس في الحوادث كلّ زغف[5] # و عند الأمن أبرادا رقاقا

فوقع الشرّ بينهم، فقال عمرو:

[1]في ب، ما: «أم عوف» .

[2]سهّم الثوب و غيره: صور فيه سهاما، فهو مسهم.

[3]زووها عنكم: صرفوها و نحّتوها.

[4]المشاشة: رأس العظم اللين الذي يمكن مضغه. و العراق: العظم أكل لحمه.

[5]الزغف: الدرع الواسعة الطويلة.

لعمر أبيك و الأخبار تنمي # لقد هيّجتني يا ابن الوليد

فلا تعجل عمارة إنّ سهما # لمخزوم بن يقظة في العديد

و أورد يا عمارة إنّ عودي # من أعواد الأباطح خير عود

/فأجابه عمارة، فقال:

ألا يا عمرو هل لك في قريش # أب مثل المغيرة و الوليد

و جدّ مثل عبد اللّه ينمي # إلى عمرو بن مخزوم بعود

إذا ما عدّت الأعواد نبعا # فمالي في الأباطح من نديد

و قد علمت سراة بني لؤيّ # بأنّي غير مؤتشب زهيد

و إني للمنابذ من قريش # شجا في الحلق من دون الوريد

أحوط ذمارهم[1]و أكفّ عنهم # و أصبر في وغا اليوم الشّديد

و أبذل ما يضنّ به رجال # و تطعمني المروءة في المزيد

و إنك من بني سهم بن عمرو # مكان الرّدف من عجز القعود

و كان أبوك جزّارا... و كانت # له فأس و قدر من حديد[2]]

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكرانيّ، عن العمريّ، عن أبي عوانة، عن عبد الملك بن عمير، أنّ عمر بن الخطاب قسم برودا في المهاجرين.

عمر بن الخطاب يتمثل بشعره

قال العمريّ: هكذا ذكر أبو عوانة، و قد حدثني الهيثم، عن أبي يعقوب الثّقفيّ، عن عبد الملك بن عمير، قال: أخبرني من شهد ذلك: أن عبد اللّه بن أبي ربيعة المخزوميّ بعث إلى عمر بن الخطاب بحلل من اليمن، فقال عمر: عليّ بالمحمّدين، فأتي بمحمد بن أبي بكر، و محمد بن جعفر بن أبي طالب، و محمد بن طلحة بن عبيد اللّه، و محمد بن/عمرو بن حزم، و محمد بن حاطب بن أبي بلتعة، و محمد بن حطّاب[3]أخي حاطب، و كلهم سمّاه النبي صلّى اللّه عليه و سلم محمدا، فأقبلوا، فاطّلع محمد بن حطّاب[4]/ فيها، فقال له عمر: يا شيبة معمر-يعني عمّا له قتل يوم بدر-اكفف، و كان زيد بن ثابت الأنصاريّ عنده، فقال له عمر: أعطهم حلّة حلّة، فنظر إلى أفضلها، و كانت أمّ أحدهم عنده، فقال عمر: ما هذا؟فقال: هذه لفلان، الذي هو ربيبه، فقال عمر: أردده، و تمثل بقول عمار بن الوليد: أسرّك لمّا صرّع القوم نشوة # أن اخرج منها سالما غير غارم

خليّا كأني لم أكن كنت فيهم # و ليس الخداع مرتضى في النّادم[5]

[1]أحوط ذمارهم: أحفظ ما يلزمني حفظه و الدفاع عنه.

(2-2) انفردت نسخة بهذا الخبر من ص 123-125 طبعة دار الكتب.

[3]في ب: «محمد بن حاطب» .

[4]في ب: «فاطلع على محمد بن حطاب» ، تصحيف.

[5]في ما: «و ليس الخداع مرتضى في التراتم» .

و قال أبو عوانة: ..... من تصافي التنادم.

ثم أمر بالبرود فغطّيت بثوب، ثم خلطها[1]، ثم قال: ليدخل كلّ امرئ يده فليأخذ حلّته و ما قسم له.

صوت

قد يجمع المال غير آكله # و يأكل المال غير من جمعه

فاقبل من الدّهر ما أتاك به # من قرّ عينا بعيشه نفعة

لكلّ همّ من الهموم سعه # و الصّبح و المسي لا فلاح معه[2]

الشعر للأضبط بن قريع، و الغناء لأحمد بن يحيى المكّي، ثقيل أول بالسّبابة في مجرى البنصر من روايته، و سمعناه يغني في طريقة خفيف رمل، فسألت عنه ذكاء وجه الرّزّة، فذكر أنه سمعه من محمد بن يحيى المكيّ في هذه الطريقة، و لم يعرف صانعه و لا سأل عنه.

[1]في ب، س، بيروت: خللها.

[2]في ف، «المختار» : «لا بقاء معه» .

10-أخبار الأضبط و نسبه

كان الأضبط مفركا

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني عبد اللّه بن طاهر، قال: قال أبو محلّم: أخبرني ضرار[1]بن عيينة، أحد بني عبد شمس، قال: كان الأضبط بن قريع مفرّكا[2]، و كان إذا لقي في الحرب تقدم أمام الصف، ثم قال: أنا الذي تفركه حلائله # أ لا فتى معشّق أنازله!

قال: فاجتمع نساؤه ذات ليلة يسمرن، فتعاقدن على أن يصدقن الخبر عن فرك الأضبط، فأجمعن أن ذلك لأنه بارد الكمرة، فقالت لإحداهنّ خالتها: أ تعجز إحداكنّ إذا كانت ليلته منها أن تسخن كمرته بشيء من دهن؟فلما سمع قولها صاح: يا آل عوف، يا آل عوف، فثار الناس و ظنوا أنه قد أتي، فقال: أوصيكم بأن تسخنوا الكمرة فإنه لا حظوة لبارد الكمرة، فانصرفوا يضحكون، و قالوا: تبّا لك، أ لهذا دعوتنا!.

شعره فيمن خالفوه

قال أبو محلّم: كانت أمّ الأضبط عجيبة[3]بنت دارم بن مالك بن حنظلة، و خالته الطّموح[4]بنت دارم أم جشم و عبشمس[5]ابني كعب بن سعد، فحارب بنو الطّموح قوما من بني سعد، فجعل الأضبط يدسّ إليهم الخيل و السلاح و لا يصرّح بنصرتهم خوفا من أن يتحزّب قومه حزبين معه و عليه، و كان يشير عليهم/بالرأي فإذا أبرمه نقضوه و خالفوا عليه، و أروه مع ذلك أنهم على رأيه، فقال في ذلك: /

لكل همّ من الهموم سعه # و المسي و الصّبح لا فلاح معه[6]

لا تحقرنّ الفقير علّك أن # تركع يوما و الدهر قد رفعه[7]

وصل حبال البعيد إن وصل الحبـ # ـل و أقص القريب إن قطعه

قد يجمع المال غير آكله # و يأكل المال غير من جمعه

[1]في ف، بيروت: صبار.

[2]المفرك: المتروك المبغض.

[3]في ب، هب، «المختار» : عجبة.

[4]في ب، هب: الطم بنت دارم.

[5]في ف، بيروت: «... بن جشم و عبد شمس» .

[6]صدر البيت في «الشعر و الشعراء» 226، ط ليدن: «يا قوم من عاذري من الخدعة»

. و في «الخزانة» 4-591:

«لكل ضيق من الأمور سعه»

، و في «المختار» : «لا بقاء معه» بدل: «لا فلاح معه» .

[7]في «الشعر و الشعراء» 226: «لا تهين الفقير... أن تخشع»

.

ما بال من غيّه مصيبك لا # يملك شيئا من أمره وزعه[1]

حتى إذا ما انجلت غوايته # أقبل يلحى و غيّه فجعه

أذود عن نفسه و يخدعني # يا قوم من عاذري من الخدعه

فاقبل من الدّهر ما أتاك به[2] # من قرّ عينا بعيشه نفعه

نشوز امرأته عليه و شعره في ذلك

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا الخراز عن المدائنيّ، قال: كان الأضبط بن قريع قد تزوج امرأة على مال و وصيفة، فنشزت عليه، ففارقها و لم يعطها ما كان ضمن لها، فلما احتملت أنشأ يقول: أ لم ترها بانت بغير وصيفة # إذا ما الغواني صاحبتها الوصائف

و لكنها بانت شموس بزيّة # منعّمة الأخلاق حدباء شارف

لو أنّ رسول اللّهو سلّم واقفا # عليها لرامت وصله و هو واقف

أبو عبيدة و خلف لا يعرفان إلا بيتا و عجز بيت من قصيدة له

أخبرنا وكيع قال: حدثنا ابن أبي سعيد[3]، قال:

حدثنا الجمّاز، قال: أنشدت أبا عبيدة و خلفا الأحمر شعر الأضبط: وصل حبال البعيد إن وصل الحبـ # ل و أقص القريب إن قطعه

فما عرفا منه إلا بيتا و عجز بيت، فالبيت الذي عرفاه: فاقبل من الدّهر ما أتاك به # .....

و العجز:

يا قوم من عاذري من الخدعة

و الخدعة: قوم من بني سعد[4]بن زيد مناة بن تميم.

صوت

و ما أنا في أمري و لا في خصومتي # بمهتضم حقّي و لا قارع سنّي[5]

و لا مسلم مولاي عند جناية # و لا خائف مولاي من شرّ ما أجني

الشعر لأعشى بني ربيعة، و الغناء لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى، عن عمرو.

[1]وزعه: كفه.

[2]في «سمط اللآلي» 1/326: «و اقنع من الدهر... » .

[3]في ب: سعيد. و في هب: ابن سعد.

[4]في «سمط اللآلي» 1-327: قوم من سعد....

[5]ف: «قرني» . و في «سمط اللآلي» 906: «و لا سالم قرني» .

11-أخبار الأعشى و نسبه

نسبه

الأعشى اسمه عبد اللّه بن خارجة بن حبيب بن قيس بن عمرو بن حارثة بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة الحصين بن عكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعميّ بين جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار: شاعر إسلامي من ساكني الكوفة، و كان مروانيّ المذهب، شديد التعصب لبني أمية.

قدومه على عبد الملك

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدثنا عمّي محمد بن عبيد اللّه عن محمد بن حبيب[1]، و أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، عن عمه العباس بن هشام، عن أبيه، قالا: قدم أعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: ما الذي بقي منك؟قال: أنا الذي أقول: /

و ما أنا في أمري و لا في خصومتي # بمهتضم حقّي و لا قارع سنّي

و لا مسلم مولاي عند جناية # و لا خائف مولاي من شر ما أجني

و إن فؤادي بين جنبيّ عالم # بما أبصرت عيني و ما سمعت أذني

و فضّلني في الشّعر و اللّبّ أنّني # أقول على علم و أعرف من أعني

فأصبحت إذ فضّلت مروان و ابنه # على الناس قد فضّلت خير أب و ابن

فقال عبد الملك: من يلومني على هذا؟و أمر له بعشرة آلاف درهم، و عشرة تخوت/ثياب، و عشر فرائض من الإبل، و أقطعه ألف جريب[2]، و قال له: امض إلى زيد الكاتب يكتب لك بها، و أجرى له على ثلاثين عيّلا[3] فأتى زيدا فقال له: ائتني غدا، فأتاه فجعل يردّده، فقال له: يا زيد يا فداك كلّ كاتب # في الناس بين حاضر و غائب

هل لك في حقّ عليك واجب # في مثله يرغب كلّ راغب

و أنت عفّ طيّب المكاسب # مبرّأ من عيب كلّ عائب

و لست-إن كفيتني[4]و صاحبي # طول غدوّ و رواح دائب

[1]و حبيب أمه، و انظر «تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه» .

[2]الجريب من الأرض: ثلاثة آلاف و ستمائة ذراع، و قيل: عشرة آلاف ذراع.

[3]عيل الرجل: أهل بيته الذين يتكفل بهم من أزواج و أولاد و أتباع.

[4]في ف: كلفتني.

و سدّة الباب[1]و عنف الحاجب # -من نعمة أسديتها بخائب

فأبطأ عليه زيد، فأتى سفيان بن الأبرد الكلبيّ، فكلّمه سفيان فأبطأ عليه، فعاد إلى سفيان، فقال له: عد إذ بدأت أبا يحيى فأنت لها # و لا تكن حين هاب النّاس هيّابا[2]

و اشفع شفاعة أنف لم يكن ذنبا # فإنّ من شفعاء النّاس أذنابا

فأتى سفيان زيدا الكاتب فلم يفارقه حتى قضى حاجته.

بحث عبد الملك على الخروج لمحاربة ابن الزبير

قال محمد بن حبيب: دخل أعشى بني أبي ربيعة[3]على عبد الملك و هو يتردد في الخروج لمحاربة ابن الزبير و لا يجدّ، فقال له: يا أمير المؤمنين، ما لي أراك متلوّما ينهضك الحزم و يقعدك العزم، و تهم بالإقدام و تجنح إلى الإحجام، انقد لبصيرتك/و أمض رأيك، و توجّه إلى عدوّك، فجدّك مقبل، و جدّه مدبر، و أصحابه له ماقتون، و نحن لك محبّون، و كلمتهم مفترقة، و كلمتنا عليك مجتمعة، و اللّه ما تؤتى من ضعف جنان، و لا قلّة أعوان، و لا يثبّطك عنه ناصح، و لا يحرّضك عليه غاشّ، و قد قلت في ذلك أبياتا فقال: هاتها، فإنك تنطق بلسان ودود و قلب ناصح، فقال: آل الزّبير من الخلافة كالّتي # عجل النّتاج بحملها فأحالها

أو كالضّعاف من الحمولة حمّلت # ما لا تطيق فضيّعت أحمالها

قوموا إليهم لا تناموا عنهم # كم للغواة أطنتموا إمهالها[4]

إنّ الخلافة فيكم لا فيهم # ما زلتم أركانها و ثمالها[5]

أمسوا على الخيرات قفلا مغلقا[6] # فانهض بيمنك فافتتح أقفالها

فضحك عبد الملك، و قال: صدقت يا أبا عبد اللّه، إنّ أبا خبيب لقفل دون كل خير، و لا نتأخّر عن مناجزته إن شاء اللّه، و نستعين اللّه عليه، و هو حسبنا و نعم الوكيل، و أمر له بصلة سنية.

جفاء الحجاج ثم سر بكلامه

/قال ابن حبيب: كان الحجّاج قد جفا الأعشى و اطّرحه لحالة كانت عند بشر بن مروان، فلما فرغ الحجّاج من حرب الجماجم ذكر فتنة ابن الأشعث، و جعل يوبّخ أهل العراق، و يؤنّبهم، فقال من حضر من أهل البصرة: إنّ الرّيب و الفتنة بدئا من أهل الكوفة، و هم أول من خلع الطاعة و جاهر بالمعصية، فقال أهل الكوفة: لا، بل أهل البصرة أوّل من أظهر المعصية مع

جرير بن هميان السّدوسيّ، إذ جاء مخالفا من السّند[7]. و أكثروا من ذلك، فقام [1]في ف: و شدة الباب.

[2]في ب: «... و لا تكن من كلام الناس هيابا» .

[3]في أ، ف: «أعشى بني ربيعة» ، و يقال له أعشى بني ربيعة نسبة إلى ربيعة بن نزار، و أعشى بني أبي ربيعة نسبة إلى أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان» .

[4]في ف: إهمالها.

[5]ثمالها: غياثها.

[6]في ف: موثقا.

[7]في ب: «إذ جاء من الهند» .

أعشى بني أبي ربيعة، فقال: أصلح اللّه الأمير/لا براءة من ذنب، و لا ادّعاء على اللّه في عصمة لأحد من المصرين، قد و اللّه اجتهدوا جميعا في قتالك، فأبى اللّه إلاّ نصرك؛ ذلك أنهم جزعوا و صبرت، و كفروا و شكرت، و غفرت إذ قدرت، فوسعهم عفو اللّه و عفوك فنجوا، فلولا ذلك لبادوا و هلكوا، فسرّ الحجّاج بكلامه و قال له جميلا، و قال: تهيّأ للوفادة إلى أمير المؤمنين حتى يسمع هذا منك شفاها، انتهى.

اعتذاره للحجاج من رثائه عبد اللّه بن الجارود

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، قال: بلغ الحجّاج أنّ أعشى بني أبي ربيعة رثى عبد اللّه بن الجارود، فغضب عليه، فقال يعتذر إليه: أبيت كأنّي من حذار ابن يوسف # طريد دم ضاقت عليه المسالك

و لو غير حجّاج أراد ظلامتي # حمتني من الضّيم السّيوف الفواتك

و فتيان صدق من ربيعة قصرة # إذا اختلفت يوم اللّقاء النّيازك[1]

يحامون عن أحسابهم بسيوفهم # و أرماحهم و اليوم أسود حالك

مدحه عبد الملك بن مروان

أخبرني أبو الحسن الأسديّ، قال: حدّثني أحمد بن عبد اللّه بن عليّ[2]بن سويد بن منجوف، عن ابن مؤرّج، عن أبيه، قال: دخل أعشى بني أبي ربيعة على عبد الملك بن مروان، فأنشده قوله:

رأيتك أمس خير بني معدّ # و أنت اليوم خير منك أمس

و أنت غدا تزيد الضّعف ضعفا # كذاك تزيد سادة عبد شمس[3]

/فقال له: من أيّ بني أبي ربيعة أنت؟قال: فقلت له: من بني أمامة، قال: فإن أمامة ولد[4]رجلين: قيسا و حارثة، فأحدهما نجم، و الآخر خمل. فمن أيهما أنت؟قال: قلت: أنا من ولد حارثة، و هو الذي كانت بكر بن وائل توّجته، قال: فقام بمخصرة[5]في يده، فغمز بها في بطني، ثم قال: يا أخا بني أبي ربيعة همّوا و لم يفعلوا، فإذا حدّثتني فلا تكذبني، فجعلت له عهدا ألا أحدّث قرشيّا بكذب أبدا.

مدحه أسماء بن خارجة

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا ابن أبي سعد، قال: حدّثني أحمد بن الهيثم السّلميّ[6]، قال: حدثني أبو فراس محمد بن فراس، عن الكلبيّ، قال:

[1]يقال: فلان ابن عمه قصرة، أي قريب. و النيازك: الرماح القصيرة.

[2]في ب: «حدثني عبد اللّه بن علي» .

[3]في «المؤتلف و المختلف» 10: «و أنت غدا تزيد الضعف خيرا» . و بعده: و تاج الملك ليس يزال فيهم # يحوّل فوق رأس كل رأس

[4]ف: ولدت رجلين.

[5]المخصرة: ما يأخذه الملك بيده يشير به إذا خاطب و الخطيب إذا خطب.

[6]في هب، ب: الشامي.

أتى أعشى بني أبي ربيعة أسماء بن خارجة فامتدحه فأعطاه و كساه، فقال: لأسماء بن خارجة بن حصن # على عبء النّوائب و الغرامه

أقلّ تعلّلا يوما و بخلا # على السّؤال من كعب بن مامة

و مصقلة الذي يبتاع بيعا # ربيحا فوق ناجية بن سامه

قال الكلبيّ: جعل ناجية رجلا و هي امرأة؛ لضرورة الشعر.

مدحه سليمان بن عبد الملك

قال أبو فراس: فحدّثني/الكلبيّ، عن خداش، قال:

دخل أعشى بني أبي ربيعة على سليمان بن عبد الملك و هو وليّ عهد فقال: أتينا سليمان الأمير نزوره # و كان امرأ يحبى[1]و يكرم زائره

/إذا كنت في النّجوى به متفرّدا # فلا الجود مخليه و لا البخل حاضره[2]

كلا شافعي[3]سؤّاله من ضميره # على البخل ناهيه و بالجود آمره[4]

فأعطاه و أكرمه و أمر كلّ من كان بحضرته من قومه و مواليه بصلته، فوصلوه فخرج و قد ملأ يديه.

صوت

نأتك أمامة إلاّ سؤالا # و إلاّ خيالا يوافي خيالا

يوافي مع الليل ميعادها # و يأبى مع الصّبح إلا زيالا

فذلك يبذل من ودّها # و لو شهدت لم توات النّوالا

فقد ربع قلبي إذ أعلنوا # و قيل أجدّ الخليط احتمالا[5]

الشعر لعمرو بن قميئة، و الغناء لحنين خفيف رمل بالوسطى من رواية أحمد بن يحيى المكيّ، و ذكر الهشاميّ و غيره أنه من منحول يحيى إلى حنين.

[1]ف: يحيا.

[2]في هب: ناصره.

[3]في ب، س: فلا شافعي.

[4]في شرح «ديوان الحماسة» 4-287: «عن الجهل ناهيه و بالحلم آمره» .

[5]في ب، س: الزيالا.

12-أخبار عمرو بن قميئة و نسبه

نسبه

هو فيما ذكر أبو عمرو الشّيبانيّ، عن أبي برزة: عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

قال ابن الكلبيّ: ليس من العرب من له ولد، كلّ واحد منهم قبيلة مفردة قائمة بنفسها غير ثعلبة بن عكابة، فإنه ولد أربعة كلّ واحد منهم قبيلة: شيبان بن ثعلبة، و هو أبو قبيلة، و قيس بن ثعلبة، و هو أبو قبيلة، و ذهل بن ثعلبة و هو أبو قبيلة، [1]و تيم اللّه بن ثعلبة و هو أبو قبيلة[1].

و كان عمرو بن قميئة من قدماء الشعراء في الجاهلية، و يقال: إنه أوّل من قال الشعر من نزار، و هو أقدم من امرئ القيس، و لقيه امرؤ القيس في آخر عمره فأخرجه معه إلى قيصر لمّا توجه إليه فمات معه في طريقه، و سمّته العرب عمرا الضائع لموته في غربة و في غير أرب و لا مطلب.

بعض صفاته

نسخت خبره من روايتي أبي عمرو الشّيبانيّ، و مؤرّج، و أخبرني ببعضه الحسن بن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي سعد، عن ابن الكلبيّ، فذكرت ذلك في مواضعه، و نسبته إلى رواته، قالوا جميعا:

كان عمرو بن قميئة شاعرا فحلا متقدّما، و كان شابّا جميلا حسن الوجه مديد القامة حسن الشّعر[2]، و مات أبوه و خلّفه صغيرا، فكفله عمّه مرثد بن سعد، /و كانت سبّابتا قدميه و وسطياهما ملتصقتين، و كان عمّه[3]محبّا له معجبا به، رقيقا عليه.

مراودة امرأة عمه له و امتناعه عليها

و أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكرانيّ، قال: حدّثنا أبو عمر العمريّ، عن لقيط، و ذكر مثل ذلك سائر الرّواة:

أنّ مرثد بن سعد بن مالك عمّ عمرو بن قميئة كانت عنده امرأة ذات جمال، فهويت عمرا و شغفت به، و لم تظهر له ذلك، فغاب مرثد/لبعض أمره-و قال لقيط في خبره: مضى يضرب بالقداح-فبعثت امرأته إلى عمرو تدعوه على لسان عمّه، و قالت للرّسول: ائتني به من وراء البيوت، ففعل، فلما دخل أنكر شأنها، فوقف ساعة، ثم راودته عن نفسه، فقال: لقد جئت

بأمر عظيم، و ما كان مثلي ليدعى لمثل هذا، و اللّه لو لم أمتنع من ذلك وفاء (1-1) تكملة من ف، هب، «مختار الأغاني» .

[2]في هب، ب: الشعرة.

[3]في ب: حيه.

لأمتنعنّ منه خوف الدّناءة و الذّكر القبيح الشّائع عنّي في العرب، قالت: و اللّه لتفعلنّ أو لأسوأنّك، قال: إلى المساءة تدعينني. ثم قام فخرج من عندها، و خافت أن يخبر عمّه بما جرى، فأمرت بجفنة فكفئت على أثر عمرو، فلما رجع عمّه وجدها متغضّبة، فقال لها: ما لك؟قالت: إنّ رجلا من قومك قريب القرابة، جاء يستامني نفسي و يريد فراشك منذ خرجت، قال: من هو؟قالت: أما أنا فلا أسمّيه، و لكن قم فافتقد أثره تحت الجفنة، فلما رأى الأثر عرفه.

هروبه من عمه إلى الحيرة

قال مؤرّج في خبره: فحدّثني أبو برزة و علقمة بن سعد و غيرهما من بني قيس بن ثعلبة، قالوا: و كان لمرثد سيف يسمّى ذا الفقار، فأتى ليضربه به، فهرب فأتى الحيرة، فكان عند اللّخميّين و لم يكن يقوى على بني مرثد لكثرتهم، و قال لعمرو بن هند: إنّ القوم اطّردوني، فقال له: ما فعلوا إلا و قد أجرمت، و أنا أفحص /عن أمرك، فإن كنت مجرما ما رددتك إلى قومك، فغضب و همّ بهجائه و هجاء مرثد، ثم أعرض عن ذلك، و مدح عمّه و اعتذر إليه، انتهى.

و أما أبو عمرو فإنّه قال:

لما سمع مرثد بذلك، هجر عمرا و أعرض عنه، و لم يعاقبه[1]لموضعه من قلبه، فقال عمرو يعتذر إلى عمّه: خليليّ لا تستعجلا أن تزوّدا # و أن تجمعا شملي و تنتظرا غدا

فما لبثي يوما بسائق مغنم # و لا سرعتي يوما بسائقة الرّدى[2]

و إن تنظراني[3]اليوم أقض لبانة # و تستوجبا منّا عليّ و تحمدا

لعمرك ما نفس بجدّ رشيدة # تؤامرني سوءا[4]لأصرم مرثدا

و إن ظهرت مني قوارص جمّة # و أفرع من لومي مرارا و أصعدا[5]

على غير جرم أن أكون جنيته # سوى قول باغ كادني فتجهّدا

لعمري لنعم المرء تدعو بخيله[6] # إذا ما المنادي في المقامة ندّدا

عظيم رماد القدر لا متعبّس # و لا مؤيس منها إذا هو أوقدا

و إن صرّحت كحل[7]و هبّت عريّة # من الرّيح لم تترك من المال مرفدا

صبرت على وطء الموالي و خطبهم[8] # إذا ضنّ ذو القربى عليهم و أخمدا

يعني أخمد ناره بخلا، و روى: أجمدا. المجمد: البخيل.

[1]في ب: يعاتبه.

[2]في ف:

«فما كنت يوما... # و لا سرعتي يوما بسابقة»

. و في «الديوان» :

«فما لبث يوما بسابق مغنم # ... بسابقة الردى»

.

[3]في ب: «و إن تنظرا في اليوم» .

[4]في ف، و «الديوان» 11: سرا.

[5]في ب: «و أفرغ من لؤمي» ، تحريف.

[6]في ب: بخلة، و في «الديوان» 11: تدعو بحبله.

[7]كحل: السنة الشديدة المجدبة. و في ف: عجل. و العرية: الباردة. و المرفد: ما يعطى للضيف.

[8]في هب: «و حطهم» . و في ف، بيروت، و «الديوان» 12: «و حطمهم» .

و لم يحم فرج الحيّ إلا محافظ # كريم المحيّا ماجد غير أجردا[1]

الأجرد: الجعد اليد البخيل.

حماد الراوية يرى أنه أشعر الناس

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ، قال: حدّثني عمّي الفضل بن إسحاق، عن الهيثم بن عديّ، قال: سأل رجل حمّادا الرّاوية بالبصرة و هو عند بلال بن أبي بردة: من أشعر النّاس؟قال الذي يقول: رمتني بنات الدّهر من حيث لا أرى # فما بال من يرمى و ليس برام[2]

/قال: و الشعر لعمرو بن قميئة.

بلوغه التسعين و قوله في ذلك

قال عليّ بن الصباح في خبره، عن ابن الكلبيّ: و عمّر ابن قميئة تسعين سنة، فقال لمّا بلغها: كأنّي و قد جاوزت تسعين حجّة # خلعت بها عنّي عنان لجامي[3]

على الرّاحتين مرّة و على العصا # أنوء ثلاثا بعدهنّ قيامي

رمتني بنات الدّهر من حيث لا أرى # فما بال من يرمى و ليس برام!

فلو أنّ ما أرمى بنبل رميتها # و لكنّما أرمى بغير سهام

إذا ما رآني النّاس قالوا: أ لم يكن # حديثا جديد البري[4]غير كهام!

و أفنى و ما أفني من الدهر ليلة # و لم يفن ما أفنيت سلك نظام

و أهلكني تأميل يوم و ليلة # و تأميل عام بعد ذاك و عام

عبد الملك بن مروان يتمثل بشعر له

أخبرني الحسين بن يحيى، قال: قال حمّاد بن إسحاق: قرأت على أبي: حدّثنا الهيثم بن عديّ، عن مجالد[5]، عن الشّعبيّ قال: دخلت على عبد الملك بن مروان في علّته التي مات فيها، فقلت: كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟فقال: أصبحت كما قال عمرو بن قميئة:

كأنّي و قد جاوزت تسعين حجّة # خلعت بها عنّي عنان لجام

رمتني بنات الدّهر من حيث لا أرى # فكيف بمن يرمى و ليس برام!

فلو أنّها نبل إذا لاتّقيتها # و لكنّما أرمى بغير سهام

[1]في «الديوان» -12: «غير أحردا» .

[2]في «الديوان» -23، و «الشعر و الشعراء» : «فكيف بمن يرمي و ليس برام» .

[3]في «الديوان» -23: «خلعت بها يوما عذار لجامي» .

[4]في ف، بيروت: «حديد البز» . و في «الديوان» -23: «جديد البز» . و البز: السلاح.

[5]في ب: مخلد.

و أهلكني تأميل يوم و ليلة # و تأميل عام بعد ذاك و عام

فقلت: لست كذلك يا أمير المؤمنين، و لكنّك[1]كما قال لبيد: قامت تشكّى إليّ الموت مجهشة # و قد حملتك سبعا بعد سبعينا

فإن تزادي ثلاثا تبلغي أملا # و في الثّلاث وفاء للثّمانينا

([2]فعاش حتى بلغ التّسعين، فقال:

كأني و قد جاوزت تسعين حجّة # خلعت بها عن منكبيّ ردائيا

فعاش حتى بلغ عشرا و مائة سنة، فقال: أ ليس في مائة قد عاشها رجل # و في تكامل عشر بعدها عبر[2]) .

فعاش و اللّه حتى بلغ مائة و عشرين سنة، فقال: و غنيت سبتا قبل مجرى داحس[3] # لو كان للنّفس اللجوج خلود

/و يروى: «دهرا قبل مجرى داحس» ، فعاش حتى بلغ مائة و أربعين سنة، فقال: و لقد سئمت من الحياة و طولها # و سؤال هذا النّاس كيف لبيد؟

فتبسّم عبد الملك و قال: لقد قوّيت من نفسي بقولك يا عامر، و إنّي لأجد خفّا[4]و ما بي من بأس و أمر لي بصلة، و قال لي: اجلس يا شعبيّ فحدّثني ما بينك و بين الليل، فجلست فحدثته حتى أمسيت، و خرجت من عنده، فما أصبحت حتى سمعت الواعية[5]في داره.

خروجه مع امرئ القيس إلى قيصر

أخبرني عمّي قال: حدّثني عبد اللّه بن أبي سعد، قال: حدّثني محمد بن عبد اللّه بن طهمان السّلمي، عن إسحاق بن مرار الشّيبانيّ، قال: نزل امرؤ القيس بن حجر ببكر بن وائل، و ضرب قبّته، و جلس إليه وجوه بكر بن وائل، فقال لهم: هل فيكم أحد يقول الشّعر؟فقالوا: ما فينا/شاعر إلا شيخ قد خلا من عمره و كبر، قال: فأتوني به، فأتوه بعمرو بن قميئة و هو شيخ، فأنشده فأعجب به، فخرج به معه إلى قيصر، و إيّاه عنى امرؤ القيس بقوله: بكى صاحبي لمّا رأى الدّرب دونه # و أيقن أنّا لاحقان بقيصرا

فقلت له: لا تبك عينك إنّما # نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

و قال مؤرّج في هذا الخبر: إنّ امرأ القيس قال لعمرو بن قميئة في سفره: أ لا تركب إلى الصّيد؟فقال عمرو: [1]في ب: و هذا.

(2-2) التكملة من ف، هب، و هي ساقطة من ب.

[3]في ف: «وصلت سنينا بعد مجرى داحس» .

[4]في ب: «لا أجد خفا» .

[5]الواعية: الصراخ. ـ

شكوت إليه أنّني ذو جلالة # و أنّي كبير ذو عيال مجنّب[1]

فقال لنا: أهلا و سهلا و مرحبا # إذا سرّكم لحم من الوحش فاركبوا

صوت

يا آح من حرّ الهوى إنّما # يعرف حرّ الحبّ من جرّبا

أصبحت للحبّ أسيرا فقد # صعّدني الحبّ و قد صوّبا

لا شكّ أني ميّت حسرة # إن لم أزر قبل غد زينبا

تلك الّتي إن نلتها لم أبل # من شرّق الدّهر أو غرّبا[2]

الشعر للمؤمّل بن جميل[3]بن يحيى بن أبي حفصة بن عمرو بن مروان بن أبي حفصة، و الغناء لابن جامع رمل بالوسطى، عن إبراهيم و الهشاميّ.

[1]في «الديوان» -65: ذو خلالة. و الجلالة: عظم القدر. و الخلالة: الصداقة المختصة التي ليس فيها خلل. و جنب القوم: انقطعت ألبانهم و قلت فهم مجنبون. و هو مجنب: فقير.

[2]في ف: و من غرّبا.

[3]في ف: المؤمل بن حميد بن يحيى...

13-أخبار المؤمل بن جميل

كان أبوه جميل يلقب قتيل الهوى

قد مضى نسب أبي حفصة في أخبار مروان، و كان يحيى بن أبي حفصة يكنى أبا جميل. و المؤمّل بن جميل يكنى أبا جميل. و أم جميل أميرة بنت زياد بن هوذة بن شماس بن لؤيّ من بني أنف الناقة الذين يمدحهم الحطيئة.

و أم المؤمّل شريفة بنت المذلق بن الوليد بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقريّ، و كان جميل يلقّب قتيل الهوى، و لقّب بذلك لقوله:

قلن: من ذا؟فقلت: هذا اليـ # مانيّ قتيل الهوى أبو الخطاب

قلن: باللّه أنت ذاك يقينا # لا تقل قول مازح لعاب

إن تكن أنت هو فأنت منانا # خاليا كنت أو مع الأصحاب

أخبار له مع غلامه المطرز

أخبرني بذلك يحيى بن عليّ، إجازة عن محمد بن إدريس بن سليمان، عن أبيه، و حكى أبو أحمد -رحمه اللّه-عن محمد بهذا الإسناد:

أن أبا جميل اشترى غلاما مدنيّا مغنيّا مجلوبا من مولّدي[1]السّند على البراءة من كل عيب، يقال له المطرّز، فدعا أصحابا له ذات يوم، و دعا شيخين من أهل اليمامة مغنّيين، يقال لأحدهما السائب و للآخر شعبة، فلما أخذ القوم مجلسهم و معهم المطرّز اندفع الشيخان فغنّيا، فقال المطرّز لأبي جميل مولاه: ويلك يا أبا جميل يا ابن الزّانية، أ تدري ما فعلت و من عندك؟فقال له: ويلك!أ جننت!ما لك!قال: أما أنا فأشهد أنك تأمن مكر اللّه حين أدخلت منزلك هذين.

قال: و بعثه يوما يدعو أصدقاء له، فوجدهم عند رجل من أهل اليمامة/ يقال له بهلول، و هو في بستان له، فقال لهم: مولاي/أبو جميل قد أرسلني أدعوكم، و قد بلّغتكم رسالته، و إن شاورتموني أشرت عليكم، فقالوا:

أشر علينا، قال: أرى ألا تذهبوا إليه، فمجلسكم و اللّه أنزه من مجلسه و أحسن، فقالوا له: قد أطعناك، قال:

و أخرى، قالوا: و ما هي؟قال: تحلفون عليّ ألاّ أبرح، ففعلوا، فأقام عندهم.

و غضب عليه أبو جميل يوما فبطحه يضربه و هو يقول: ويلك أبا جميل! اتق اللّه فيّ، اللّه اللّه في أمري، أ ما علمت ويلك خبري قبل أن تشتريني! قال: و كان يبعثه إلى بئر لهم عذبة في بستان له يسقي منها لهم ماء، فكان

يستقيه ثم يصبّه لجيران لهم في حيّهم، ثم يستقي مكانه من بئر لهم غليظة، فإذا أنكر مولاه قال له: سل الغلمان إذا أتيت البستان: هل استقيت منه؟ فيسألهم فيجده صادقا.

[1]في ب: موالي. و مجلوبا من جلبه جلبا: ساقه من موضع إلى آخر، فهو مجلوب.

انقطاعه إلى جعفر بن سليمان ثم عبد اللّه بن مالك

حدّثنا يحيى بن محمد بن إدريس، عن أبيه:

أنّ يحيى بن أبي حفصة زوّج ابنه جميلا شريفة بنت المذلّق بن الوليد بن طلبة بن قيس بن عاصم، فولدت له المؤمّل بن جميل، و كان شاعرا ظريفا غزلا، و كان منقطعا إلى جعفر بن سليمان بالمدينة، ثم قدم العراق فكان مع عبد اللّه بن مالك، و ذكره للمهديّ فحظي عنده، و هو الذي يقول في شكاة اشتكاها عبد اللّه بن مالك: ظلّت عليّ الأرض مظلمة # إذ قيل عبد اللّه قد وعكا

يا ليت ما بك بي و إن تلفت # نفسي لذاك و قلّ ذاك لكا

و هو الذي يقول:

يا آح من حرّ الهوى إنما # يعرف حرّ الحبّ من جرّبا

و ذكر الأبيات التي تقدم ذكرها و الغناء فيها.

صوت

إني وهبت لظالمي ظلمي # و غفرت ذاك له على علم

ما زال يظلمني و أرحمه # حتّى رثيت له من الظّلم

الشعر لمساور الورّاق، و الغناء لإبراهيم بن أبي العبيس، ثاني ثقيل بالوسطى، أخبرني بذلك ذكاء و غيره.

14-أخبار مساور و نسبه

نسبه

هو مساور بن سوّار بن عبد الحميد، من آل قيس بن عيلان بن مضر، و يقال: إنه مولى خويلد من عدوان[1] كوفيّ قليل الشّعر من أصحاب الحديث و رواته، و قد روى عن صدر من التابعين، و روى عنه وجوه أصحاب الحديث.

أخبرني عليّ بن طيفور بن غالب النّسائيّ قال: حدّثنا يعقوب بن حميد بن كاسب، قال: حدّثنا حمّاد بن أسامة، عن مساور الورّاق، قال: حدّثني جعفر بن عمرو بن حريث، عن أبيه، قال: كأنّي أنظر إلى النبيّ صلّى اللّه عليه و سلم و هو على ناقته يخطب، و عليه عمامة سوداء، قد أرخاها بين كتفيه.

خبره مع ابن أبي ليلى

أخبرني محمّد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرنا الأشنانديّ، عن الأصمعي، قال: كان قوم يجلسون إلى ابن أبي ليلى، فكتب قوما منهم لعيسى بن موسى، و أشار[2]عليه أن يشغلهم و يصلهم، /فأتى مساور الورّاق، فكلّمه أن يجعله فيهم فلم يفعل، فأنشأ يقول: أراك تشير بأهل الصلاح # فهل لك في الشاعر المسلم

كثير العيال قليل السؤا # ل عفّ مطاعمه معدم[3]

يقيم الصّلاة و يؤتى الزّكاة # و قد حلّق العام بالموسم

و أصبح و اللّه في قومه # و أمسى و ليس بذي درهم

قال: فقال ابن أبي ليلى: لا حاجة لنا فيه، فقال فيه مساور أبياتا، قال أبو بكر بن دريد: كرهنا ذكرها صيانة لابن أبي ليلى.

هجا حفص بن أبي بردة لأنه عاب شعرا للمرقش الأكبر

أخبرني محمد قال: حدثني التّوّزيّ[4]قال:

كان مساور الورّاق، و حمّاد عجرد، و حفص بن أبي بردة مجتمعين، فجعل حفص يعيب شعر المرقّش الأكبر، فأقبل عليه مساور فقال: [1]في ب، بيروت: عدنان.

[2]في ب: و أشاروا.

[3]سقط هذا البيت من ف.

[4]ف: «حدثنا الأشناداني قال حدثنا ابن أبي ليلى» .

لقد كان في عينيك يا حفص شاغل # و أنف كثيل[1]العود عما تتبّع

تتبّعت لحنا في كلام مرقّش # و وجهك مبنيّ على اللحن أجمع

فقام حفص من المجلس خجلا، و هاجره مدة.

وصيته لابنه

نسخت من كتاب عبيد اللّه اليزيديّ بخطّه: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: كان مساور الورّاق من جديلة قيس، ثم من عدوان، مولى لهم، فقال لابنه يوصيه: شمّر ثيابك و استعدّ لقائل # و احكك جبينك للعهود بثوم

إنّ العهود صفت لكل مشمّر # دبر الجبين مصفّر موسوم

أحسن و صاحب كلّ قار ناسك # حسن التّعهّد للصلاة صئوم

من ضرب حمّاد هناك و مسعر # و سماك العتكيّ و ابن حكيم

و عليك بالغنويّ فاجلس عنده # حتى تصيب وديعة ليتيم[2]

تغنيك عن طلب البيوع نسيئة # و تكفّ عنك لسان كلّ غريم

و إذا دخلت على الرّبيع مسلّما # فاخصص شبابة منك بالتّسليم

ولاه عيسى بن موسى عملا فانكسر عليه الخراج

قال: ففعل ما أوصاه به أبوه، فلم يلبث مساور أن ولاّه عيسى بن موسى عملا، و دفع إليه عهده، فانكسر عليه الخراج، فدفع إلى بطين صاحب عذاب عيسى يستأديه، فقال مساور: /

وجدت دواهر[3]البقّال أهنى # من الفرنيّ[4]و الجدي السّمين

و خيرا في العواقب حين تبلي # إذا كان المردّ إلى بطين

فكن يا ذا المطيف بقاضيينا # غدا من علم ذاك على يقين

و قل لهما إذا عرضا[5]بعهد: # برئت إلى عرينة من عرين

فإنك طالما بهرجت فيها # بمثل الخنفساء على الجنين

مرّ بمقبرة صديقه حميد الطوسيّ و قال في ذلك شعرا

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا محمد بن موسى بن حماد، قال: مرّ مساور الورّاق بمقبرة حميد الطوسيّ و كان له صديقا، فوقف عليها مستعبرا، و أنشأ يقول: أبا غانم أمّا ذراك فواسع # و قبرك معمور الجوانب محكم

[1]الثيل: وعاء قضيب البعير، و العود: المسن من الإبل. و في ف: «كمثل العود» .

[2]في ب: لتميم.

[3]في هب: نواهض. و في ف: نواقض. و الدواهر: الشدائد. و الفرني: نوع من الخبز يعجن بالسمن و السكر.

[4]الفرني جمع فرنية، و هي خبزة تروى لبنا و سمنا و سكرا.

[5]في ف: اعترضا.

و ما ينفع المقبور عمران قبره # إذا كان فيه جسمه يتهدّم

شعر له في أصحاب أبي حنيفة

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال: حدّثنا الرّياشيّ قال: حدّثنا محمد بن الصبّاح، عن سفيان بن عيينة، و نسخت هذا الخبر أيضا من بعض الكتب: أنّ حامد بن يحيى البلخيّ[1]، حدّث عن سفيان بن عيينة، و هذه الرواية أتمّ، قال: لمّا سمع مساور الورّاق لغط أصحاب أبي حنيفة و صياحهم أنشأ يقول: كنّا من الدّين قبل اليوم في سعة # حتى بلينا بأصحاب المقاييس

قوم إذا اجتمعوا ضجّوا كأنّهم # ثعالب ضبحت بين النّواويس[2]

/فبلغ ذلك أبا حنيفة و أصحابه، فشقّ عليهم و توعّدوه، فقال أبياتا ترضيهم و هي: إذا ما النّاس يوما قايسونا # بآبدة من الفتيا ظريفه

أتيناهم بمقياس ظريف[3] # مصيب من قياس أبي حنيفة

إذا سمع الفقيه بها وعاها # و أثبتها بحبر في صحيفه

فبلغ أبا حنيفة فرضي. قال مساور: ثم دعينا إلى وليمة بالكوفة في يوم شديد الحرّ، فدخلت فلم أجد لرجلي موضعا من الزّحام، و إذا أبو حنيفة في صدر البيت، فلما رآني قال: إليّ يا مساور، فجئت فإذا مكان واسع، و قال لي: اجلس، فجلست، فقلت في نفسي: نفعتني أبياتي اليوم. قال: و كان إذا رآني بعد ذلك يقول لي: هاهنا، هاهنا، و يوسّع لي إلى جنبه، و يقول: إنّ هذا من أهل الأدب و الفهم، انتهى.

حفظ حقوق جيرانه و لكنهم ضيعوا حقه فهجاهم

أخبرني محمّد بن الحسين بن دريد، قال: حدّثنا أبو المعمّر عبد الأول بن مزيد، أحد بني أنف الناقة، قال: كان مساور الورّاق لا يضيع حقّا لجار له، فماتت بنته، فلم يشهدها من جيرانه إلاّ نفر يسير، فقال مساور في ذلك: تغيّب عنّي كلّ جاف ضرورة # و كلّ طفيليّ من القوم عاجز

سريع إذا يدعى ليوم وليمة # بطيء إذا ما كان حمل الجنائز

أخبرني محمد بن الحسن، قال: حدّثنا عبد الأول، قال:

قدم جار لمساور الورّاق من سفر، فجاءه يسلّم عليه، فقال: يا جارية، هاتي لأبي القاسم غداء، فجاءت برغيف فوضعته على الخوان، فمدّ يده يأكل

مع مساور، /و قال له: يا أبا القاسم، كل من هذا الخبز، فما أكلت خبزا أطيب منه، فقال مساور في ذلك: [1]أ، ب، س: «بن أبي يحيى» ، و المثبت من ف.

[2]ضبحت الثعالب: صوتت. و النواويس: القبور. و في «المختار» : «ثعالب ضجت» .

[3]في ف: صليب.

ما كنت أحسب أنّ الخبز فاكهة # حتّى رأيتك يا وجه الطّبرزين[1]

كأنّ لحيته في وجهه ذنب # أو شعرة فوق بظر غير مختون

يعود أبا العيص الجرمي و يسمع منه شعرا في مرض موته

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث، عن المدائنيّ قال: دخل مساور الورّاق على أبي العيص الجرميّ يعوده و كان صديقه، فكلّمه فلم يجبه، فبكى مساور جزعا عليه، و أدنى رأسه منه يكلّمه، فقال أبو العيص: أ في كلّ عام مرضة بعد نقهة[2] # و تنعى و لا تنعى متى ذا إلى متى

سيوشك يوم أن يجيء[3]و ليلة # يسوقان حتفا راح نحوك أو غدا

/فتمسي صريعا لا تجيب لدعوة # و لا تسمع الدّاعي و إن جدّ في الدّعا[4]

ثم لم يلبث أن مات، رحمه اللّه.

صوت

تنامين عن ليلي و أسهره وحدي # و أنهى جفوني أن تبثّك ما عندي

فإن كنت ما تدرين ما قد فعلته # بنا فانظري ما ذا على قاتل العمد

الشعر لسعيد بن حميد الكاتب، و الغناء لعريب خفيف ثقيل مطلق بالسّبابة في مجرى الوسطى.

[1]الطبرزين: آلة من السلاح تشبه الفأس.

[2]ف: ثم نقهة.

[3]ف: يحين.

[4]لم يرد هذا البيت في ف.

15-أخبار سعيد بن حميد و نسبه

نسبه

[1]سعيد بن حميد بن سعيد بن حميد بن بحر، يكنى أبا عثمان[1]من أولاد الدّهاقين، و أصله من النّهروان الأوسط، و كان هو يقول: إنّه مولى بني سامة بن لؤيّ، من أهل بغداد، بها ولد و نشأ، ثم كان يتنقّل في السّكنى بينها و بين سرّ من رأى.

كان كاتبا شاعرا

كاتب شاعر مترسّل، حسن الكلام فصيح، و كان أبوه وجها من وجوه المعتزلة، فخالف أحمد بن أبي دواد في بعض مذهبه، فأغرى به المعتصم، و قال: إنه شعوبيّ زنديق، فحبسه مدة طويلة، ثم بانت براءته له أو للواثق بعده، فخلّى سبيله، و كان شاعرا أيضا، فكان يهجو أحمد بن أبي دواد، و أنشدنيها جماعة من أصحابنا، قال:

أبوه يهجو أحمد بن أبي دواد

لقد أصبحت تنسب في إياد # بأن يكنى أبوك أبا دواد

فلو كان اسمه عمرو بن معدي # دعيت إلى زبيد أو مراد

لئن أفسدت بالتّخويف عيشي # لما أصلحت أصلك في إياد

و إن تك قد أصبت طريف مال # فبخلك باليسير من التّلاد

قوة حافظته

فذكر محمّد بن موسى أن أبا يوسف بن الدّقّاق[2]اللّغويّ أخبره أنّ حميد بن سعيد بن حميد دفع إليه ابنه سعيدا و هو صبيّ فقال له: امض به معك إلى مجلس ابن الأعرابيّ، قال: فحضرناه ذات يوم، فأنشدنا أرجوزة لبعض العرب فاستحسنتها، و لم تكن معنا محبرة نكتبها منها، فلما انصرفنا قلت له: فاتتنا هذه الأرجوزة، فقال: لم تفتك، أ تحبّ أن أنشدكها؟/قلت: نعم، فأنشدنيها و هي نيّف و عشرون بيتا قد حفظها عنه، و إنما سمعها مرّة واحدة، فلقيت أباه من غد، فقال لي: كيف/رأيت سعيدا؟قلت له: إنك أوصيتني به، و أنا أسألك الآن أن توصيه بي، فضحك و سألني عن الخبر، فأعلمته فسرّ به.

خبره مع أبي العباس بن ثوابة

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة، قال: حدّثني ابن أبي المدوّر، قال: (1-1) ف: «سعيد بن حميد بن يحيى» ، يكنى أبا عثمان.

[2]ف: «أن أبا يوسف الدقاق» .

دخل سعيد بن حميد يوما على أبي العبّاس بن ثوابة، و كان أبو العبّاس يعاتبه على الشّغف بالغلمان المرد، فرأى على رأسه غلاما أمرد حسن الوجه، عليه منطقة و ثياب حسان، فقال له: يا أبا العبّاس: أ زعمت أنّك لا تلوط فقل لنا # هذا المقرطق[1]قائما ما يصنع!

شهدت ملاحته عليك بريبة # و على المريب شواهد لا تدفع

فضحك أبو العبّاس و قال: خذه، لا بورك لك فيه حتى نستريح من عتبك.

حيلة له مع غلام من أولاد الموالي و شعره في ذلك

أخبرني عمّي، رحمه اللّه، قال: قال لي محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات الكاتب: كان سعيد بن حميد يهوى غلاما له من أولاد الموالي، فغاب عنه مدّة، ثم جاءه مسلّما، فقال له: غبت عنّي هذه المدة ثم تجيئني فلا تقيم عندي!فقال له: قد أمسينا، فقال: تبيت، قال: لا و اللّه لا أقدر، و لم يزل به حتى اتّفقا على أنّه إذا سمع أذان العتمة[2]انصرف، فقال له: قد رضيت. و وضع النّبيذ، فجعل سعيد يحثّ السّقي[3]بالأرطال، فلما قرب وقت العتمة، أخذ رقعة فكتب فيها إلى إمام المسجد و هو مؤذّنه قوله: قل لداعي الفراق[4]أخّر قليلا # قد قضينا حقّ الصّلاة طويلا

أخّر الوقت في الأذان[5]و قدّم # بعدها الوقت بكرة و أصيلا

/ليس في ساعة تؤخّرها وز # ر فنحيا بها و تأتي جميلا[6]

فتراعى حقّ الفتوّة فينا # و تعافى من أن تكون ثقيلا[7]

فلما قرأ المؤذّن الرّقعة ضحك و كتب إليه يحلف أنه لا يؤذّن ليلته تلك العتمة، و جعل الفتى ينتظر الأذان حتى أمسى و سمع صوت الحارث، فعلم أنّها حيلة وقعت عليه و بات في موضعه، و قال سعيد في ذلك: عرّضت بالحبّ له و عرّضا # حتى طوى قلبي على جمر الغضى

و أظهرت نفسي عن الدّهر الرّضا # ثم جفاني و تولّى معرضا

لم ينقض الحبّ بلى[8]صبري انقضى # فداك من ذاق[9]الكرى أو غمّضا

حتى طرقت فنسيت ما مضى # سألته حويجة[10]فأعرضا

و قال: لا، قول مجيب برضا # فكان ما كان و كابرنا القضا

[1]قرطقه: ألبسه القرطق؛ و هو قباء ذو طاق واحد فهو مقرطق.

[2]العتمة: وقت صلاة العشاء الآخرة.

[3]في «المختار» : السعي بالأرطال.

[4]في هب، «المختار» : الصلاة.

[5]في «التجريد» : في الصلاة.

[6]البيت من «المختار» و «التجريد» ، و لم يرد في ف، ب، هب.

[7]في «التجريد» ، ف: «حق المودة» بدل: «حق الفتوة» .

[8]في ب: على.

[9]في هب:

«فذاك من ذاق... »

و في «المختار» :

«فذاق من ذاق»

.

[10]في «المختار» : حوائجا.

في هذه الأبيات هزج لأحمد بن صدقة، أخبرني بذلك ذكاء وجه الرّزّة.

وجدت في بعض الكتب:

حدثني أحمد بن سليمان بن وهب أنه كان في مجلس فيه سعيد بن حميد، فلما سكروا قام سعيد قومة بعد العصر[1]، فلم نشعر إلا و قد أخذ ثيابه فلبسها، و أخذ بعضدتي الباب، و أنشأ يقول: سلام عليكم حالت الرّاح بيننا # و ألوت بنا عن كل مرأى و مسمع

/و لم يبق إلا أن يميل بنا الكرى # و يجمع نوم[2]بين جنب و مضجع

/فقام له أهل المجلس، و قالوا: يا سيدنا، اذهب في حفظ اللّه و في ستره، فانصرف و ودّعهم.

كتب لفضل الشاعرة يعتذر إليها

حدثني محمد بن الطّلّاّس أبو الطّيّب، قال: حدثني عبد اللّه بن طالب الكاتب قال: قرأت رقعة بخطّ سعيد بن حميد إلى فضل الشاعرة يعتذر إليها من تغيّر ظنّته به، و في آخرها: تظنّون أني قد تبدّلت بعدكم # بديلا و بعض الظّنّ إثم و منكر

إذا كان قلبي في يديك رهينة # فكيف بلا قلب أصافي و أهجر!

في هذين البيتين لابن القصّار الطّنبوريّ رمل، و فيهما لمحمد قريض خفيف رمل.

خبره مع كعب جارية أبي عكل المقين

أخبرني عليّ بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال: حدثني أبو عليّ المادرانيّ[3]أنه كان في مجلس فيه كعب جارية أبي عكل المقيّن، و كان بعض أهل المجلس يهواها قال: فدخل إلينا سعيد بن حميد، فقام إليه أهل المجلس جميعا سوى الجارية و الفتى، فأخذ سعيد الدواة فكتب رقعة و ألقاها في حجرها، فإذا فيها قوله: ما على أحسن خلـ # ق اللّه أن يحسن فعله

بأبي أنت و أمّي # من مليك قلّ عدله

و بخيل بالهوى لو # كان يسلى عنه بخله

أكثر العاذل في حبّ # ك لو ينفع عذله

فهو مشغول بعذلي # و فؤادي بكل شغله

/فوثبت الجارية فقبّلت رأسه و جلست إلى جنبه، فقال الرّجل الذي كان يهواها: هذا و اللّه كلام الشّياطين و رقية الزّنا، و بهذا يتمّ الأمر، أما أنا فإني أشهدكم، لا قرأت اليوم في صلاتي غير هذه الأبيات لعلّها تنفعني، فضحك سعيد و قال: بحياتي قومي فارجعي إليه حتى تكون الأبيات قد نفعته قبل أن يقرأها في صلاته، و سرّيني بذلك، فقامت فرجعت إلى موضعها.

[1]ف: «فلما سكرنا نام سعيد نومة» .

[2]ف: «سكر» .

[3]في هب: الداراني. و في ف: «أبو علي المداري أنه كان في مجلس فيه لعب جارية بن علل المقين» .

خبرة مع جارية كان يهواها زارته على غير وعد

قال عليّ بن العبّاس: و حدثني أبو عليّ المادرانيّ: أنّه كان عنده يوما، فدخلت إليه جارية-كان يهواها-غفلة على غير وعد، فسرّ بذلك و قال لها: قد كنت على عتابك، فأمّا الآن فلا، فقالت: أمّا العتاب فلا طاقة لي به، و و اللّه ما جئتك إلا عند غفلة البوّاب، فقال سعيد[1]في ذلك: زارك زور على ارتقاب # مغتنما غفلة الحجّاب

مستترا بالنّقاب يبدو # ضياء خدّيه في النّقاب

كالشّمس تبدو و قد طواها # دونك ستر من السّحاب

قد كان في النفس منك عتب # يدعو إلى شدّة اجتناب

فملت بالعتب عن حبيب # يضعف عن موقف العتاب

و الذّنب منه و أنت تخشى # في هجره صولة العقاب

عبد اللّه بن داود يستحسن شعرا له

/أخبرني عمّي قال: حدّثني ابن أبي سعد، قال: حدّثني محمّد بن عبد اللّه بن داود، قال: كان أبي يستحسن قول سعيد بن حميد: تظنّون أنّي قد تبدّلت بعدكم # بديلا، و بعض الظّنّ إثم و منكر

إذا كان قلبي في يديك رهينة # فكيف بلا قلب أصافي و أهجر!

/و يقول: لئن عاش هذا الغلام ليكوننّ له في الشّعر شأن.

في هذين البيتين غناء من خفيف الرمل، و ذكر قريض أنّه له.

زارته فضل الشاعرة فجأة أثناء ذهابها إلى القصر فقال في ذلك شعرا

أخبرني ابن أبي طلحة قال: حدّثني إسحاق بن مسافر أنه كان عند سعيد بن حميد يوما إذ دخلت عليه فضل الشاعرة على غفلة، فوثب إليها و سلّم عليها، و سألها أن تقيم عنده، فقالت: قد جاءني و حياتك رسول من القصر، فليس يمكنني الجلوس، و كرهت أن أمرّ ببابك و لا أراك، فقال سعيد من وقته على البديهة: قربت و لا نرجو اللّقاء و لا نرى[2] # لنا حيلة يدنيك منّا احتيالها

فأصبحت كالشمس المنيرة ضوؤها # قريب و لكن أين منّا منالها!

كظاعنة ضنّت بها غربة النّوى # علينا و لكن قد يلمّ خيالها

تقرّبها الآمال ثم تعوقها # مماطلة الدّنيا بها و اعتلالها

و لكنها أمنيّة فلعلها # يجود بها صرف النّوى و انتقالها

[1]ف: سعيد بن حميد.

[2]في ف: «قربت و لم نرج اللقاء و لم تجد» .

تغاضب و فضل فكتب إليها فصارت إليه و صالحته

أخبرني عمّي قال: حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد، قال: حدّثني محمد بن عبد اللّه بن يعقوب بن داود؛ قال: تغاضب سعيد بن حميد و فضل الشّاعرة أياما، ثم كتب إليها:

تعالي نجدّد عهد الرّضا # و نصفح في الحبّ عمّا مضى

و نجري على سنّة العاشقين # و نضمن عني و عنك الرّضا

و يبذل هذا لهذا هواه # و يصبر في حبّه للقضا

و نخضع[1]ذلاّ خضوع العبيد # لمولى عزيز إذا أعرضا

فإنّي مذ لجّ هذا العتاب # كأنّي أبطنت جمر الغضى[2]

/فصارت إليه و صالحته.

في هذه الأبيات لهاشم بن سليمان ثقيل أول بالوسطى، و فيها لابن القصّار خفيف رمل.

رسول الحسن بن مخلد يدعوه فيقول في ذلك شعرا

أخبرني ابن أبي طلحة قال: حدّثنا أبو العبّاس بن أبي المدوّر قال: بات سعيد بن حميد عند أبي الفضل بن أحمد بن إسرائيل، [3]و اصطبحا على غناء حسن كان عندهما[3]، فجاءه رسول الحسن بن مخلّد و قد أمر ألاّ يفارقه لأمر مهمّ، فقام فلبس ثيابه، و أنشأ يقول: يا ليلة بات النّحوس بعيدة # عنها على رغم الرّقيب الرّاصد

تدع العواذل لا يقمن لحاجة # و تقوم بهجتها بعذر الحاسد

ضنّ الزّمان بها فلمّا نلتها # ورد الفراق فكان أقبح وارد

و الدّمع ينطق للضمير مصدّقا # قول المقرّ مكذّبا للجاحد

أبو العباس بن ثوابة يعاتبه على تأخره عنه فيجيبه

أخبرني ابن أبي طلحة قال: حدثني أبو العبّاس بن أبي المدوّر، قال: كان سعيد بن حميد/صديقا لأبي العباس بن ثوابة، فدعاه يوما، و جاءه رسول فضل الشّاعرة يسأله المصير إليها، فمضى معه و تأخّر عن أبي العبّاس، فكتب إليه رقعة يعاتبه فيها معاتبة فيها بعض الغلظة، فكتب إليه سعيد: أقلل عتابك فالبقاء قليل # و الدهر يعدل تارة[4]و يميل

لم أبك من زمن ذممت صروفه # إلا بكيت عليه حين يزول

[1]ف: «و نجمع» .

[2]في ف جاء البيت:

فإن فرق الدهر ما بيننا # فمن ذا يقوم لصرف القضا

بدلا من البيت الأخير-و اختلاف في ترتيب الأبيات، فالبيت الثالث مكان الثاني، و الثاني مكان الثالث.

(3-3) في ف: و اصطحبا على غناء حسن كان عنده.

[4]ف: «يعدل مرة» . ـ

و لكلّ نائبة ألمّت مدّة # و لكلّ حال أقبلت تحويل

و المنتمون إلى الإخاء جماعة # إن حصّلوا أفناهم التّحصيل

و لعلّ أحداث الليالي و الرّدى[1] # يوما ستصدع بيننا و تحول

فلئن سبقت لتبكينّ بحسرة # و ليكثرنّ عليّ منك عويل

و لتفجعنّ بمخلص لك وامق # حبل الوفاء بحبله موصول

[2]و ليذهبنّ جمال كلّ مروءة # و ليعفونّ فناؤها المأهول

و لئن سبقت، و لا سبقت، ليمضين # من لا يشاكله لديّ عديل

و أراك تكلف بالعتاب و ودّنا # باق عليه من الوفاء دليل

ودّ بدا لذوي الإخاء جميله # و بدت عليه بهجة و قبول

و لعلّ أيام الحياة قصيرة # فعلام يكثر عتبنا و يطول

مظلومة جارية الدقيقي تعاتبه على هجرانه فيرد عليها

أخبرني الطّلحيّ قال: حدثني أبو عليّ بن أبي الرعد: أن سعيد بن حميد كان يهوى مظلومة جارية الدقيقيّ، فبلغه أنها تواصل بعض أعدائه، فهجرها مدة، فكتبت إليه تعاتبه و تتشوقه، فكتب إليها: أمري و أمرك شيء غير متّفق # و الهجر أفضل من وصل على ملق

لا أكذب اللّه، ما نفسي بسالية # و لا خليقة أهل الغدر من خلقي

فإن وثقت بودّ كنت أبذله # فعاودي سوء ظن بي و لا تثقي[2]

اعتذر إلى هبة المغنية فوثبت إليه و قبّلت رأسه

و ذكر اليوسفيّ الكاتب أنه حضر سعيدا في منزل بعض إخوانه و عندهم هبة[3]المغنّية، و كان سعيد يتعشّقها و يهيم بها، فغضبت عليه يوما لبعض الكلام على النبيذ، /و دخلت بعد ذلك و هو في القوم، فسلّمت عليهم سواه، فقالوا لها: أ تهجرين أبا عثمان؟فقالت: أحبّ أن تسألوه ألاّ يكلّمني، فقال سعيد: اليوم أيقنت أنّ الهجر متلفة # و أنّ صاحبه منه على خطر

كيف[4]الحياة لمن أمسى على شرف # من المنيّة بين الخوف و الحذر

يلوم عينيه أحيانا بذنبهما[5] # و يحمل الذنب أحيانا على القدر

تنأون عنه و ينأى قلبه معكم # فقلبه أبدا منه على سفر

فوثبت إليه و قبّلت رأسه، و قالت: لا أهجرك و اللّه أبدا ما حييت.

[1]في «المختار» : و النوى.

(2-2) الأبيات و الخبر من نسخة ف، و هما ساقطان من نسخة ب، ش و الأبيات في «المختار» .

[3]في ب، س: «هذه المغنية» .

[4]في ب، س: كرب الحياة.

[5]ف، بيروت: لذرفها.

غضبت عليه فضل الشاعرة فكتب إليها فراجعت وصله

أخبرني جحظة قال: حدثني ميمون بن هارون، قال:

غضبت فضل الشاعرة على سعيد بن حميد فكتب إليها:

يا أيّها الظالم ما لي و لك # أ هكذا تهجر من واصلك!

لا تصرف الرّحمة عن أهلها # قد يعطف المولى على من ملك

ظلمت نفسا فيك علقتها # فدار بالظّلم عليّ الفلك[1]

تبارك اللّه فما أعلم اللّه # بما ألقى و ما أغفلك!

فراجعت وصله، و صارت إليه جوابا للرقعة.

في هذه الأبيات لعريب ثاني ثقيل و هزج، عن ابن المعتز، و أخبرني ذكاء وجه الرّزة أنّ الثقيل الثاني لأحمد بن أبي العلاء.

فضل الشاعرة تشكو شدة شوقها إليه فيكتب إليها

أخبرني الطوسي الطّلحيّ[2]قال: حدّثنا محمد بن السّريّ: أنّ سعيد بن حميد كان في مجلس الحسن بن مخلّد، إذ جاءه الغلام برقعة فضل الشاعرة تشكو فيها شدّة/شوقها، فقرأها و ضحك، -فقال له الحسن بن مخلّد: بحياتي عليك أقرئنيها، فدفعها إليه فقرأها و ضحك و قال له: قد و حياتي ملّحت فأجب، فكتب إليها: يا واصف الشوق عندي من شواهده # قلب يهيم و عين دمعها يكف

/و النّفس شاهدة بالودّ عارفة # و أنفس الناس بالأهواء تأتلف

فكن على ثقة منّي و بيّنة # إنّي على ثقة من كل ما تصف

عدلت فضل عنه إلى بنان بن عمرو فقال فيها شعرا

أخبرني جحظة قال: حدّثني ميمون بن هارون قال:

لما عشقت فضل الشاعرة بنان بن عمرو[3]المغني، و عدلت عن سعيد بن حميد إليه أسف عليها و أظهر تجلّدا، ثم قال فيها: قالوا: تعزّ و قد بانوا فقلت لهم: # بان العزاء على آثار من بانا

و كيف يملك سلوانا لحبّهم # من لم يطق للهوى سترا و كتمانا!

كانت عزائم صبري أستعين بها # صارت عليّ بحمد اللّه أعوانا

لا خير في الحبّ لا تبدو شواكله # و لا ترى منه في العينين عنوانا

قال أبو الحسن جحظة[4]: و غنّى فيه بعض المحدثين لحنا حسنا، و أظنه عنى نفسه.

[1]ف: عليها الفلك.

[2]أ، ب، س: «أخبرني الطلحي» .

[3]ف، بيروت: بنان بن عمرون.

[4]أ، ب، س: «قال أبو الحسن: و غنى» .

كتب إلى أبي هفان يتبرأ من طعن فيه نسب إليه ظلما

أخبرني الطّلحيّ قال: حدثني أبو عيسى الكاتب: أن أبا هفّان بلغه عن سعيد بن حميد كلام فيه جفاء و طعن على شعره، فتوعده بالهجاء، و كان الحاكي عن ذلك كاذبا، فبلغ سعيدا ما جرى، فكتب إلى أبي هفّان: أمسى يخوّفني العبديّ صولته[1] # و كيف آمن بأس الضّيغم الهصر!

من ليس يحرزني من سيفه أجلي # و ليس يمنعني من كيده حذري

/و لا أبارزه بالأمر يكرهه # و لو أعنت بأنصار من الغير

له سهام بلا ريش و لا عقب # و قوسه أبدا عطل من الوتر

و كيف آمن من نحري له غرض # و سهمه صائب يخفى عن البصر[2]!

عاتبته فضل الشاعرة فزارها و قال فيها شعرا

أخبرني الطّلحيّ قال: حدّثني محمد بن السّريّ: أنّه سار إلى سعيد بن حميد و هو في دار الحسن بن مخلّد في حاجة له، قال: فإني عنده إذ جاءته رقعة فضل الشاعرة، و فيها هذان البيتان:

صوت

الصبر ينقص و السّقام يزيد # و الدّار دانية و أنت بعيد

أشكوك أم أشكو إليك فإنه # لا يستطيع سواهما المجهود

أنا يا أبا عثمان في حال التّلف و لم تعدني، و لا سألت عن خبري.

فأخذ بيدي فمضينا إليها، فسأل عن خبرها، فقالت: هو ذا أموت و تستريح مني، فأنشأ يقول: لا متّ قبلي[3]بل أحيا و أنت معا # و لا أعيش إلى يوم تموتينا

لكن نعيش بما نهوى و تأمله # و يرغم اللّه فينا أنف واشينا[4]

حتى إذا قدّر الرحمن ميتتنا # و حان من أمرنا ما ليس يعدونا

متنا جميعا كغصنى بانة ذبلا # من بعد ما نضرا و استوسقا حينا

ثمّ السّلام علينا في مضاجعنا # حتى نعود إلى ميزان منشينا

/أخبرني إبراهيم بن القاسم بن زرزور[5]قال: قال لي أبي:

كانت فضل الشّاعرة تتعشق/سعيد بن حميد مدّة طويلة، ثم تعشقت بنانا، و عدلت عنه، فقال فيها قصيدته الدّالية التي يقول فيها: [1]في ب: بصولته.

[2]لم يرد هذا البيت في ف.

[3]في ف: لا مت قبلك.

[4]ف: شانينا.

[5]ب، س، أ: «زززور» ، و في ف: «زززر» .

تنامين عن ليلي و أسهره وحدي[1]

فلم تتعطّف عليه، و بلغها بعد ذلك أنه قد عشق جارية من جواري القيان، فكتبت إليه: يا عالي السنّ سيّئ الأدب # شبت و أنت الغلام في الطّرب

ويحك إنّ القيان كالشّرك المـ # نصوب بين الغرور و العطب

لا تصدّين للفقير و لا # يطلبن إلا معادن الذهب

بينا تشكّى هواك إذ عدلت # عن زفرات الشّكوى إلى الطّلب

تلحظ هذا و ذاك و ذا # لحظ محبّ و فعل مكتسب

عادته فضل في مرضه و أهدته هدايا كثيرة

أخبرني إبراهيم قال: و حدّثني أبي قال:

اقتصد سعيد بن حميد، فسألتني فضل الشاعرة، و سألت عريب أن نمضي إليه، ففعلنا، و أهدت إليه هدايا، فكان منها ألف جدي و حمل[2]و ألف دجاجة فائقة، و ألف طبق ريحان و فاكهة، و مع ذلك طيب كثير و شراب و تحف حسان، فكتب إليها سعيد: إنّ سروري لا يتم إلا بحضورك، فجاءته في آخر النهار، و جلسنا نشرب، فاستأذن غلامه لبنان فأذن له، فدخل إلينا و هو يومئذ شابّ طرير، حسن الوجه، /حسن الغناء، نظيف الثياب، شكل[3]، فذهب بها كلّ مذهب، و أقبلت عليه بحديثها و نظرها، فتشمّز[4]سعيد و استطير غضبا، و تبيّن بنان القصّة فانصرف، و أقبل عليها سعيد يعذلها و يؤنّبها ساعة، ثم أمسك، فكتبت إليه: يا من أطلت تفرّسي # في وجهه و تنفّسي

أفديك من متدلّل # يزهى بقتل الأنفس

هبني أسأت و ما أسأ # ت بلى أقرّ أنا المسيء

أحلفتني ألاّ أسا # رق نظرة في مجلسي

فنظرت نظرة مخطئ # أتبعتها بتفرّس

و نسيت أنّي قد حلفـ # ت، فما عقوبة من نسي؟

فقام سعيد، فقبّل رأسها و قال: لا عقوبة عليه بل نحتمل هفوته، و نتجافى عن إساءته، و غنت عريب في هذا الشّعر هزجا، فشربنا عليه بقيّة يومنا، ثم افترقنا. و أثّر بنان في قلبها و علقت به، فلم تزل حتى واصلته و قطعت سعيدا.

‴

وجدت في بعض الكتب عن عبد اللّه بن المعتز، قال: قال لي إبراهيم بن المهدي[5]: كانت فضل الشّاعرة من أحسن خلق اللّه خطّا، و أفصحهم كلاما، و أبلغهم في مخاطبة، و أثبتهم في محاورة، [1]عجز البيت كما جاء في ف، بيروت: «و أنهى دموعي أن تبثك ما عندي» . و في «التجريد» : «و أنهى جفوني... » .

[2]ب، س: «و جمل.

[3]شكل: فيه دلال و غزل.

[4]تشمز: تقبض. و في «المختار» : «فغم» . و في ب، س: «فتشمر» ، تصحيف.

[5]ف، بيروت: المدبر.

فقلت يوما لسعيد بن حميد: أظنّك يا أبا عثمان تكتب لفضل رقاعها و تقيّدها[1]و تخرّجها، فقد أخذت نحوك في الكلام و سلكت سبيلك، فقال لي و هو يضحك: ما أخيب[2]ظنّك، ليتها تسلم منّي و لا آخذ كلامها و رسائلها[3]، و اللّه يا أخي لو أخذ أفاضل الكتّاب و أماثلهم عنها لما استغنوا عن ذلك.

صوت

كلّ حيّ لاقي الحمام فمودي # ما لحيّ مؤمّل من خلود

لا تهاب المنون شيئا و لا تبـ # قي على والد و لا مولود

الشعر لابن مناذر، و الغناء لبنان ثقيل أول بالسّبابة في مجرى الوسطى من كتابه الذي جمع فيه صنعته، و فيه لساجي[4]جارية عبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر ثقيل أوّل أيضا على مذهب النّوح، ابتداؤه نشيد.

[1]ف: «و تفيدها» .

[2]ف: «ما أحسن ظنك» .

[3]ب، هب: «... لآخذ كلامها و رسائلها» .

[4]هب، ب، س: لشاج.

16-أخبار ابن مناذر و نسبه

نسبه و كنيته

هو محمّد بن مناذر مولى بني صبير بن يربوع، و يكنى أبا جعفر، و قيل: إنه كان يكنى أبا عبد اللّه.

و وجدت في بعض الكتب رواية عن ابن حبيب أنه كان يكنى أبا ذريح و قد كان له ابن يسمى ذريحا، فمات و هو صغير و إياه عنى بقوله: كأنّك للمنايا يا # ذريح اللّه صوّركا

فناط بوجهك الشّعرى # و بالإكليل قلّدكا

و لعلّه اكتنى به قبل وفاته.

و قال الجاحظ: كان محمّد بن مناذر مولى سليمان القهرمان، و كان سليمان مولى عبيد اللّه بن أبي بكرة مولى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و كان أبو بكرة عبدا لثقيف، ثم ادّعى عبيد اللّه بن أبي بكرة أنه ثقفيّ، و ادّعى سليمان القهرمان أنه تميميّ، و ادّعى ابن مناذر أنه صليبة من بني صبير بن يربوع، فابن مناذر مولى مولى مولى، و هو دعيّ مولى دعيّ، و هذا ما لا يجتمع في غيره قط ممّن عرفناه و بلغنا خبره.

كان إماما في العلم باللغة

و محمد بن مناذر شاعر فصيح مقدّم في العلم باللغة و إمام فيها، و قد أخذ عنه أكابر أهلها، و كان في أوّل أمره يتألّه، ثم عدل عن ذلك فهجا الناس، و تهتّك و خلع، و قذف أعراض أهل البصرة حتى نفي عنها إلى الحجاز فمات هناك. و هذه الأبيات يرثي بها ابن مناذر عبد المجيد بن عبد الوهاب الثّقفيّ، و كان عبد الوهاب[1]محدّثا جليلا، و قد روى عنه وجوه المحدّثين و كبراء الرّواة، و كان ابن مناذر يهوى عبد المجيد هذا. فكان في أيّام حياته/مستورا متألّها جميل الأمر، فلمّا مات عبد المجيد حال عن جميع ما كان عليه، و أخبارهما تذكر في مواضعهما.

كان ناسكا في أول أمره، إلى أن فتن بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي فتهتك و فتك

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدّثنا محمد بن يزيد النّحويّ، قال: كان ابن مناذر مولى صبير بن يربوع، و كان إماما في علم اللّغة و كلام العرب، و كان في أوّل أمره ناسكا ملازما للمسجد، كثير النّوافل، جميل الأمر إلى أن فتن بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثّقفيّ، فتهتّك بعد ستره، و فتك بعد نسكه، ثم ترامى به الأمر بعد موت عبد المجيد بن عبد الوهاب

الثقفيّ إلى أن شتم الأعراض و أظهر البذاء و قذف المحصنات، و وجبت عليه حدود، فهرب إلى مكة و بقي بها حتى مات.

[1]ف: «و كان عبد المجيد... » .

كان سفيان بن عيينة يسأله عن معاني حديث النبي صلّى اللّه عليه و سلم فيخبره بها

و كان يجالس سفيان بن عيينة، فيسأله سفيان عن معاني حديث النبي صلّى اللّه عليه و سلم فيخبره بها، و يقول له: كذا و كذا مأخوذ من كذا، فيقول سفيان: كلام العرب بعضه يأخذ برقاب بعض. قال: و أدرك المهديّ/و مدحه، و مات في أيام المأمون.

أخبرني عليّ بن سليمان، قال: حدّثني محمد بن يزيد و غيره: أنّ محمّد بن مناذر كان إذا قيل له: ابن مناذر -بفتح الميم-يغضب، ثم يقول: أ مناذر الصّغرى أم مناذر الكبرى؟و هما كورتان من كور الأهوار، إنما هو مناذر على وزن مفاعل من ناذر فهو مناذر، مثل ضارب فهو مضارب، و قاتل فهو مقاتل.

وعظته المعتزلة فلم يتعظ، و منعوه دخول المسجد فنابذهم و هجاهم

قال محمد بن يزيد: و لما عدل محمد بن مناذر عما كان عليه من النّسك و التّألّه وعظته المعتزلة فلم يتّعظ، و أوعدته بالمكروه فلم يزدجر، و منعوه دخول المسجد فنابذهم/و طعن عليهم و هجاهم، و كان يأخذ المداد بالليل فيطرحه في مطاهرهم، فإذا توضّئوا به سوّد وجوههم و ثيابهم، و قال في توعد المعتزلة إيّاه: أبلغ لديك بني تميم مألكا[1] # عنّي و عرّج في بني يربوع

أنّي أخ لكم بدار مضيعة # بوم و غربان عليه وقوع[2]

يا للقبائل من تميم ما لكم # روبى[3]و لحم أخيكم بمصيع

هبّوا له فلقد أراه بنصركم # يأوي إلى جبل أشمّ منيع

و إذا تحزّبت القبائل كنتم # ثقتي لكلّ ملمّة و فظيع[4]

إن أنتم لم تثأروا لأخيكم[5] # حتى يباء بوتره المتبوع

فخذوا المغازل بالأكفّ و أيقنوا # ما عشتم بمذلّة و خضوع

إن كنتم حدبا[6]على أحسابكم # سمعا فقد أسمعت كلّ سميع

أين الصّبيريّون[7]لم أر مثلهم # في النائبات و أين رهط وكيع!

قال: ثم استحيا من قوله: أين الصّبيريّون؟لقلّة عددهم فقال: أين الرّياحيّون؟.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني الحسن بن عليّ، قال: حدّثني مسعود بن بشر، قال:

قال لي ابن مناذر: ولع بي قوم من المعتزلة ففرقت منهم، قال: و كان مولى صبير بن يربوع، فقلت: بنو صبير [1]المألك: الرسالة.

[2]في البيت إقواء.

[3]قوم روبى: خاثر و الأنفس مختلطون.

[4]ب، س، و «معجم الأدباء» 19-59: صلتم بدل كنتم. و بفتى بدل ثقتي.

[5]ب، س، و «معجم الأدباء» 19-59: «لم توتروا» . و معنى توتروا: تفزعوا و تأخذوا له و نره.

[6]في ب، س، و «معجم الأدباء» 19-59: «حربا» .

[7]في «معجم الأدباء» 19-59: «أين الرياحيون... » .

نفسان و نصف، فمن أدعو/منهم؟فقلت: ليس إلا إخوتهم بنو رياح، فقلت أبيات حرّضتهم فيها، و حضضت بنو رياح، فقلت: أين الرّياحيّون لم أر مثلهم # في النّائبات و أين رهط وكيع!

قال: فجاء خمسون شيخا من بني رياح فطردوهم عنّي.

أخبرني عليّ بن سليمان قال: حدّثني محمد بن يزيد، قال: حدثني الجاحظ، عن مسعود بن بشر، عن أبي عبيدة، قال: ما زادت بنو صبير بن يربوع قط على سبعة نفر، كلّما ولد منهم مولود مات منهم ميّت.

كان من أهل عدن

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار، قال: حدثني يعقوب بن نعيم، قال: حدثني إسحاق بن محمد النّخعيّ، قال: حدّثني أبو عثمان المازنيّ، قال: كان ابن مناذر من أهل عدن، و إنّما صار إلى البصرة في طلب الأدب لتوافر العلماء فيها، فأقام فيها مدّة، ثم شغل بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثّقفيّ، فتطاول أمره إلى أن خرج عنها، و كان مقيما بمكّة، فلما مات عبد المجيد نسك. و قوم يقولون: إنه كان دهريّا.

كره الناس إمامته في المسجد بعد تهتكه فهجوه و رد عليهم

و ذكر أبو دعامة، عن عطاء الملط[1]قال:

كان/ابن مناذر يؤمّ النّاس في المسجد الذي في قبيلته، فلما أظهر ما أظهره من الخلاعة و المجون كرهوا أن يصلّي بهم و أن يأتمّوا به[2]فقالوا شعرا و ذكروا ذلك فيه و هجوه، و ألقوا الرقعة في المحراب، فلما قضى صلاته قرأها، ثم قلبها و كتب فيها يقول: نبّئت قافية قيلت تناشدها # قوم سأترك في أعراضهم ندبا

ناك الذين رووها أمّ قائلها # و ناك قائلها أمّ الذي كتبا

ثم رمى بها إليهم و لم يعد إلى الصلاة بهم.

أول لقاء له بأبي نواس

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفيّ، قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزيّ، قال: حدثنا أبو الفضل بن عبدان بن أبي حرب الصّفّار، قال: حدّثني الفضل بن موسى مولى بني هاشم، قال: دخل ابن مناذر المسجد الجامع بالبصرة، فوقعت عينه على غلام مستند إلى سارية فخرج و التمس غلاما و رقعة و دواة، فكتب أبياتا مدحه بها، و سأل الغلام الذي التمسه أن يوصّل

الرّقعة إلى الفتى المستند إلى السارية، فذهب بها إلى الغلام، فلما قرأها قلبها و كتب على ظهرها يقول: [1]ب، س: عطاء الملك.

[2]ف: يأثموا به.

مثل امتداحك لي بلا ورق[1] # مثل الجدار بني على خصّ

و ألذّ عندي من مديحك لي # سود النّعال و ليّن القمص

فإذا عزمت فهي لي ورقا # فإذا فعلت فلست أستعصي

فلما قرأها ابن مناذر قام إليه فقال له: ويلك، أ أنت أبو نواس؟قال: نعم، فسلّم عليه و تعانقا، و كان ذلك أوّل المودّة بينهما.

خبره مع أبي العتاهية

أخبرني محمّد بن الحسن بن دريد، قال: حدّثني أبو حاتم، قال: اجتمع أبو العتاهية و محمد بن مناذر، فقال له أبو العتاهية: يا أبا عبد اللّه، كيف أنت في الشّعر؟قال: أقول في الليلة إذا سنح القول لي، و اتّسعت القوافي عشرة أبيات إلى خمسة عشر، فقال له أبو العتاهية: لكنّي لو شئت أن أقول في الليلة ألف بيت لقلت، فقال ابن مناذر: أجل و اللّه إذا أردت أن أقول مثل قولك: ألا يا عتبة السّاعة # أموت السّاعة السّاعة

قلت: و لكني لا أعوّد نفسي مثل هذا الكلام السّاقط، و لا أسمح لها به، فخجل أبو العتاهية و قام يجرّ رجله.

/أخبرني به الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدّثني سهل بن محمد أبو حاتم، و أحمد بن يعقوب بن المنير ابن أخت أبي بكر الأصمّ. قال ابن مهرويه: و حدثني به يحيى بن الحسن[2]الرّبيعيّ، عن غسّان بن المفضّل[3]، قال: اجتمع أبو العتاهية، و ابن مناذر، فاجتمع الناس إليهما، و قالوا: هذان شيخا الشّعراء[4]، فقال أبو العتاهية لابن مناذر: يا أبا عبد اللّه، كم تقول في اليوم من الشّعر؟و ذكر باقي الخبر مثل المتقدم سواء.

رفض خلف الأحمر أن يقيس شعره إلى شعر الجاهليين

أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدّثنا العباس بن ميمون طائع، قال: سمعت الأصمعيّ يقول: حضرنا مأدبة و معنا أبو محرز خلف الأحمر، و حضرها ابن مناذر، فقال لخلف الأحمر: يا أبا محرز، إن يكن النّابغة، و امرؤ القيس، و زهير، قد ماتوا فهذه أشعارهم مخلّدة فقس شعري إلى شعرهم، و احكم فيها بالحقّ، فغضب خلف، ثم أخذ صحفة/ مملوءة مرقا فرمى بها عليه فملأه، فقام ابن مناذر مغضبا، و أظنه هجاه بعد ذلك.

طلب من أبي عبيدة أن يحكم بين شعره و شعر عدي بن زيد

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدّثنا خلاّد[5]الأرقط، قال: [1]الورق: الدراهم المضروبة.

[2]ف: بن الحسين.

[3]ب، س: الفضل.

[4]ف: شيخا الشعر.

[5]ب، س: حماد الأرقط.

لقيني ابن مناذر بمكة، فأنشدني قصيدته: كلّ حيّ لاقي الحمام فمودي

ثم قال لي: أقرىء أبا عبيدة السلام و قل له: يقول لك ابن مناذر، اتّق اللّه و احكم بين شعري و شعر عديّ بن زيد، و لا تقل ذلك جاهليّ، و هذا إسلاميّ، و ذاك قديم و هذا محدث فتحكم بين العصرين، و لكن احكم بين الشعرين ودع/العصبيّة، قال: و كان ابن مناذر ينحو نحو عديّ بن زيد في شعره، و يميل إليه و يقدّمه.

ينحو نحو عدي بن زيد في شعره و يقدمه

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدّثني محمد بن عثمان الكزبريّ، قال: أخبرني محمد بن الحجاج الجرادانيّ، قال: قلت لابن مناذر: من أشعر الناس؟قال: من كنت في شعره، فقلت له: و من[1]ذاك؟فقال: عديّ بن زيد، و كان ينحو نحوه في شعره و يقدّمه و يتّخذه إماما.

كان أبو عبد المجيد الثقفي على جلالته و سنه لا ينكر صحبة ابنه لابن مناذر

و الأبيات التي فيها الغناء أوّل قصيدة لمحمد بن مناذر رثى بها عبد المجيد بن عبد الوهّاب بن عبد المجيد الثّقفيّ، و كان يهواه، و كان عبد المجيد هذا فيما يقال من أحسن الناس وجها و أدبا و لباسا، و أكملهم في كلّ حال، و كان على غاية المحبّة لابن مناذر و المساعدة له و الشّغف به. و كان يبلغ خبره أباه على جلالته و سنّه و موضعه من العلم، فلا ينكر ذلك؛ لأنّه لم تكن تبلغه عنه ريبة، و كان ابن مناذر حينئذ حميد الأمر[2]حسن المروءة عفيفا.

فحدّثني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أحمد بن حدّان[3]، قال: حدثني قدامة بن نوح، قال: قيل لعبد الوهاب بن عبد المجيد الثّقفيّ: إن ابن مناذر قد أفسد ابنك، و ذكره في شعره و شبّب به، فقال عبد الوهاب: أ و لا يرضى ابني أن يصحبه مثل ابن مناذر و يذكره في شعره!.

خروجه إلى جبانة بانة أم عبد المجيد مع جواريها

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار، قال: حدثني عليّ بن محمد بن سليمان النّوفليّ، قال: أمّ عبد المجيد بن عبد الوهاب الثّقفيّ الذي كان يشبّب به ابن مناذر بانة بنت أبي العاصي، و هي مولاة جنان التي يشبّب بها أبو نواس، قال: فحدّثني من رأى/محمد بن مناذر يوم ثالث بانة هذه، و قد

خرج جواريها إلى قبرها، فخرج معهنّ نحو الجبّانة بالبصرة، قال: فقلت له: يا أبا عبد اللّه، أين تريد؟فقال: اليوم يوم الثّلاثا # و يوم ثالث بانه

اليوم تكثر فيه الظّبا # ء في الجبّانة

[1]في ب، س: فقلت له: على ذاك.

[2]ف: جميل الأمر.

[3]ب: «جدان» ، تصحيف. ـ

قال أبو الحسن: ولدت بانة من عبد الوهّاب بن عبد المجيد أولاده: عبد المجيد و أبا العاصي، و زيادا. و زياد الذي عناه أبو نواس في قوله يشبّب بجنان: جفن عيني قد كاد يسـ # قط من طول ما اختلج

و فؤادي من حرّ حبّ # ك قد كاد أو نضج

[1]خبّريني فدتك نفـ # سي و أهلي متى الفرج!

كان ميعادنا خرو # ج زياد فقد خرج

/قال ابن عمّار: قال لي النّوفليّ: في هذه الأبيات غناء حلو مليح، لو سمعته لشربت عليه أربعة أرطال.

قال النوفليّ: و كان لعبد الوهاب ابن يقال له: محمد، كان أسنّ ولده، و يقال: إنه كان يتعشّق بانة ابنة أبي العاصي هذه امرأة أبيه، و إن زياد بن عبد الوهاب منه، و كان أشبه الناس به.

حدثني ابن عمار قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني أبي قال: خرج ابن مناذر يوما من صلاة التّراويح و هو في المسجد بالبصرة، و خرج عبد المجيد بن عبد الوهاب خلفه، فلم يزل يحدّثه إلى الصّبح، و هما قائمان، إذا انصرف عبد المجيد شيّعه ابن مناذر إلى منزله، فإذا بلغه و انصرف ابن مناذر شيّعه عبد المجيد، لا يطيب أحدهما نفسا بفراق صاحبه حتى أصبحا. فقيل/لعبد الوهاب بن عبد المجيد: ابن مناذر قد أفسد ابنك، فقال: أ و ما يرضى ابني أن يرضى بما يرضى به ابن مناذر[2].

قصيدة له في مدح عبد المجيد بن عبد الوهاب

و في عبد المجيد يقول ابن مناذر يمدحه، و هو من مختار ما قاله فيه، أنشدنيها عليّ بن سليمان الأخفش، عن محمد بن زيد من قصيدة أولها: شيّب ريب الزّمان رأسي # لهفي على ريب ذا الزّمان

يقدح في الصّمّ من شرورى # و يحدر[3]الصّمّ من أبان

يقول فيها يمدح عبد المجيد:

منّي إلى الماجد المرجّى # عبد المجيد الفتى الهجان

خير ثقيف أبا و نفسا # إذا التقت حلقتا البطان

نفسي فداء له و أهلي # و كلّ ما تملك اليدان

كأنّ شمس الضّحى و بدر # الدّجى عليه معلّقان

نيطا معا فوق حاجبيه # و البدر و الشّمس يضحكان

[1]ف: حدثني.

[2]في «المختار» : «أ و ما يرضى ابني أن يرضى به ابن مناذر» .

[3]في ب، هب: و يحذر. و شرورى، و أبان: جبلان.

بنى له عزّة و مجدا # في أول[1]الدّهر بانيان

بان تلقّاه من ثقيف # و من ذرا الأزد خير باني[2]

فاسأله ممّا حوت يداه # يهتزّ كالصّارم اليماني[3]

ملازمته عبد المجيد في مرضه

أخبرني عمّي، قال: حدّثني عبد اللّه بن أبي سعد، قال: حدّثني أبو توبة صالح بن محمد قال: مرض عبد المجيد بن عبد الوهاب الثّقفيّ مرضا شديدا بالبصرة، و كان ابن مناذر ملازما له يمرّضه و يخدمه، و يتولى أمره بنفسه، لا يكله إلى أحد. فحدّثني بعض أهلهم قال: حضرت يوما عنده، و قد أسخن له ماء حارّ ليشربه، و اشتدّ به الأمر فجعل يقول: آه!بصوت ضعيف، فغمس ابن مناذر يده في الماء الحارّ و جعل يتأوّه مع عبد المجيد و يده تحترق حتى كادت يده تسقط، فجذبناها و أخرجناها من الماء، و قلنا له: أ مجنون أنت! أيّ شيء هذا!أ ينتفع به ذاك!فقال: أساعده، و هذا جهد من مقلّ، ثم استقلّ من علّته تلك و عوفي مدّة طويلة، ثم تردّى من سطح فمات، فجزع عليه جزعا شديدا حتى كاد يفضل/أهله و إخوته في البكاء و العويل، و ظهر منه من الجزع ما عجب الناس له، و رثاه بعد ذلك بقصيدته المشهورة، فرواها أهل البصرة، و نيح بها على عبد المجيد، و كان الناس يعجبون بها و يستحسنونها.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا محمد بن القاسم النّوشجانيّ[4]، قال: سمعت أبي يقول: حضرت سفيان بن عيينة يقول لابن مناذر: أنشدني ما قلت في عبد المجيد، فأنشده قصيدته الطويلة الدّالية.

قال سفيان: بارك اللّه فيك، فلقد تفرّدت بمراثي أهل العراق.

سقوط عبد المجيد من السطح على رأسه و موته

فأخبرني عمّي، قال: حدثني أبو هفّان، قال: قال جمّاز:

تزوج عبد المجيد امرأة من أهله فأولم عليها شهرا يجتمع عنده في كلّ يوم وجوه أهل البصرة و أدباؤها و شعراؤها، فصعد ذات يوم إلى السطح فرأى طنبا من أطناب السّتارة قد انحلّ، فأكبّ عليه ليشدّه، فتردّى على رأسه و مات من سقطته، فما رأيت مصيبة قطّ كانت أعظم منها و لا أنكأ للقلوب.

طارح محمد بن عمر الخراز رثاءه في عبد المجيد و ناحا عليه به بعد أن وضعا فيه لحنا

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال: حدثني الحسن بن عليل العنزيّ، قال: حدثني العبّاس بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان، قال: حدثني محمد بن عمر الخرّاز[5]، قال: قال لي ابن مناذر: ويحك!و لست أرى نساء ثقيف ينحن على عبد المجيد نياحة على استواء، قلت: فما [1]في ب: أزل.

[2]في ب:

«بأن تلقاه... غير بان»

، تحريف.

[3]كذا في ف. و في ب، س: «جاء البيت الثامن مكان التاسع» .

[4]ف: محمد بن محمد بن القاسم النوشجاني.

[5]ف: عن جعفر بن سليمان، قال: حدثني محمد بن عمرو الجان.

تحبّ؟قال: تخرج معي حتى أطارحك، فطارحني القصيدة التي يقول فيها: إنّ عبد المجيد يوم تولّى # هدّ ركنا ما كان بالمهدود

هدّ عبد المجيد ركني و قد كنـ # ت بركن أبوء منه شديد[1]

قال: فما زلت حتى حفظتها و وعيتها، و وضعنا فيها لحنا، فلما كان في الليلة التي يناح بها على عبد المجيد فيها، صلّينا العشاء الآخرة في المسجد الجامع، ثم خرجنا إلى دارهم، و قد صعد النساء على السّطح ينحن عليه، فسكتن سكتة لهنّ، فاندفعنا أنا و هو ننوح عليه، فلما سمعتنا أقبلن يلطمن و يصحن حتى كدن ينقلبن من السطح إلى أسفل من شدة تشرّفهنّ علينا و إعجابهنّ بما سمعنه منا، و أصبح أهل المسجد ليس لهم حديث غيرنا، و شاع الخبر بالبصرة و تحدّث به الناس حتى نقل من مجلس إلى مجلس.

أم عبد المجيد تبرّ قسمه و تصيح صياحا يقال إنه أول ما قيل في الإسلام

و أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال لي: حدثني موسى بن[2]حماد بن عبد اللّه القرشيّ، قال: حدثني محمد بن النعمان بن جبلة الباهليّ، قال: لما قال ابن مناذر: لأقيمنّ مأتما كنجوم اللّيل # زهرا يلطمن حرّ الخدود

موجعات يبكين للكبد # الحرّى عليه و للفؤاد العميد

/قالت أم عبد المجيد: و اللّه لأبرّنّ قسمه، فأقامت مع أخوات عبد المجيد و جواريه مأتما عليه، و قامت تصيح عليه: واي، ويه، واي، ويه، فيقال: إنها أول من فعل ذلك و قاله في الإسلام.

رثاء له في عبد المجيد

و أخبرني بهذا الخبر ابن عمّار عن عليّ بن محمد النوفليّ عن عمه: أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد، عن محمد بن عامر النخعيّ[3]، قال: أنشدني محمد بن مناذر لنفسه يرثي عبد المجيد بن عبد الوهاب يقول: /

يا عين حقّ لك البكا # ء لحادث الرّزء الجليل

فابكي على عبد المجيـ # د و أعولي كلّ العويل

لا يبعد اللّه الفتى الـ # فيّاض ذا الباع الطّويل

عجل الحمام به فودّ عنـ # ا و آذن بالرّحيل

لهفي على الشّعر المعفّ # ر منك و الخدّ الأسيل

كسفت لفقدك شمسنا # و البدر آذن بالأفول

عرض قصيدته الدالية على أبي عبيدة فلم تعجبه

حدثني عمّي قال: حدثنا الكرانيّ قال: حدثني النّضر بن عمرو عن المازنيّ، قال: حدثنا حيّان: [1]بيتان من قصيدة تقع في تسعة و ثلاثين بيتا. انظر «مهذب الأغاني» 7-160.

[2]ف: «حدثني يونس بن حماد» .

[3]ف: «الحنفي» .

أنّ ابن مناذر دفع قصيدته الدالية إليه، و قال: اعرضها على أبي عبيدة، فأتيته و هو على باب أبي عمرو بن العلاء، فقرأت عليه منها خمسة أبيات فلم تعجبه، و قال: دعني من هذا، فإني قد تشاغلت بحفظ القرآن عنه و عن مثله، قال: و كان أبو عبيدة يبغضه و يعاديه لأنه هجاه.

هبود و عبود

أخبرني محمد بن مزبد بن أبي الأزهر، قال: حدّثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: قال ابن مناذر: قلت: يقدح الدهر في شماريخ رضوى

/ثم مكثت حولا لا أدري بم أتمّمه، فسمعت قائلا يقول: هبّود، قلت: و ما هبّود؟فقال لي: جبيل في بلادنا، فقلت: و يحطّ الصّخور من هبّود

قال إسحاق: و سمع أعرابيّ هذا البيت، فقال: ما أجهل قائله بهبّود!و اللّه أنها لأكيمة ما توارى الخارئ، فكيف يحطّ منها الصّخور!.

أخبرني عمّي، قال: حدثنا الكرانيّ، قال: حدّثني أبو حاتم، قال: سمعت أبا مالك عمرو بن كركرة يقول: أنشدني ابن مناذر قصيدته الدّالية التي رثى فيها عبد المجيد، فلمّا بلغ إلى قوله: يقدح الدّهر في شماريخ رضوى # و يحطّ الصّخور من هبّود

قلت له: هبّود، أيّ شيء هو؟فقال: جبل، فقلت: سخنت عينك، هبّود و اللّه بئر باليمامة ماؤها ملح لا يشرب منه شيء خلقه اللّه، و قد و اللّه خريت فيها مرّات، فلما كان بعد مدة وقفت عليه في مسجد البصرة و هو ينشدها، فلما بلغ هذا البيت أنشدها: و يحط الصّخور من عبّود

فقلت له: عبّود، أيّ شيء هو ذا[1]؟فقال: جبل بالشّام، فلعلك يا بن الزّانية خريت عليه أيضا، فضحكت ثم قلت: لا ما خريت عليه و لا رأيته، و انصرفت عنه و أنا أضحك.

أخبرني عمّي قال: حدّثني الكرانيّ، عن العمريّ، عن الهيثم بن عديّ، قال: كان يحيى بن زياد يرمى بالزّندقة، و كان من أظرف الناس و أنظفهم، فكان يقال: أظرف من الزّنديق.

شعر له في محمد بن زياد

و كان الحاركيّ و اسمه محمد بن زياد يظهر الزندقة تظارفا، فقال فيه ابن مناذر: يا بن زياد يا أبا جعفر # أظهرت دينا غير ما تخفي

مزندق و الظاهر باللفظ[2]في # باطن إسلام فتى عف

[1]في ب، س: أي شيء هو زيادة.

[2]ف: «مزندق الظاهر باللطف» .

لست بزنديق و لكنّما # أردت أن توسم بالظّرف[1]

و قال فيه أيضا:

يا أبا جعفر كأنك قد صر # ت على أجرد طويل الجران[2]

/من مطايا ضوامر ليس يصهل # ن إذا ما ركبن يوم رهان

لم يذلّلن بالسّروج و لا أقـ # رح أشداقهنّ جذب العنان

قائمات مسوّمات لدى الجسـ # ر لأمثالكم من الفتيان

انصرف الناس عن حلقته إلى حلقة عتبة النحوي فقال شعرا في ذلك

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال: حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة عن ابن عائشة، قال: كان عتبة النّحويّ من أصحاب سيبويه، و كان صاحب نحو فهما بما يشرحه و يفسّره على مذاهب أصحابه، و كان ابن مناذر يتعاطى ذلك، و يجلس إليه قوم يأخذونه عنه، فجلس عتبة قريبا من حلقته، فتقوّض الناس إليه، و تركوا ابن مناذر، فلمّا كان في يوم الجمعة الأخرى قام ابن مناذر من حلقته، فوقف على عتبة، ثم أنشأ يقول: قوموا بنا جميعا # لحلقة العذاري

تجمعن للشقاء # إلى عتبة الخسار[3]

ما لي و ما لعتبـ # ة إذ يبتغي ضراري

/قال: فقام عتبة إليه فناشده ألاّ يزيد، و منع من كان يجلس إلى ابن مناذر من حضور حلقته، و جلس هو بعيدا من ابن مناذر بعد ذلك.

كان جاره ابن عمير يغري به المعتزلة فهجاه

حدّثني عمّي، قال: حدثنا الكرانيّ، قال: حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة، قال: كان لابن مناذر جار يقال له ابن عمير[4]من المعتزلة، فكان يسعى بابن مناذر إليهم، و يسبّه و يذكره بالفسق و يغريهم به، فقال يهجوه: بنو عمير مجدهم دارهم # و كلّ قوم فلهم مجد

كأنهم فقع[5]بدوّيّة # و ليس لهم قبل و لا بعد

بثّ عمير لؤمه فيهم # فكلّهم من لؤمه جعد

و أخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ، عن ابن مهرويه، عن النّوفليّ بمثله، و زاد فيه: و عبد اللّه بن عمير-أبو هؤلاء الذين هجاهم-أخو عبد اللّه بن عامر لأمّه، أمّهما دجاجة بنت إسماعيل بن الصّلت السّلميّ.

[1]في ف: البيت الثاني مكان الثالث.

[2]الجران: باطن العنق من البعير و غيره.

[3]في هب: جمعن. و في ب، بيروت:

«يجمعن... مع عتبة»

.

[4]ف: «أبو عمير» .

[5]الفقع: البيضاء الرخوة من الكمأة. يقال للذليل: هو أذل من فقع بقرقرة أو بقرقر. و في ب: «قفع» ، تصحيف.

كان من أحضر الناس جوابا

أخبرني هاشم بن محمد، قال: حدثنا الخليل بن أسد، قال: كان ابن مناذر من أحضر الناس جوابا، قال له رجل: ما شأنك؟قال: عظم في أنفي.

قال: و سأله رجل يوما: ما الجرباء؟فأومأ بيده إلى الأرض، قال: هذه، يهزأ به، و إنّما الجرباء السّماء.

خبره مع الخليل بن أحمد

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ المؤدّب، قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزيّ، قال: حدّثني جعفر بن محمّد عن دماذ[1]قال: /دار بين الخليل بن أحمد و بين ابن مناذر كلام، فقال له الخليل: إنما أنتم معشر الشّعراء تبع لي، و أنا سكّان السّفينة، إن قرّظتكم و رضيت قولكم نفقتم و إلاّ كسدتم، فقال ابن مناذر: و اللّه لأقولنّ في الخليفة قصيدة أمتدحه بها و لا أحتاج إليك فيها عنده و لا إلى غيرك.

يمدح الرشيد فيجيزه

فقال في الرّشيد قصيدته الّتي أوّلها:

ما هيّج الشوق من مطوّقة # أوفت على بانة تغنّينا

يقول فيها:

و لو سألنا بحسن وجهك يا # هارون صوب الغمام أسقينا

/قال: و أراد أن يفد بها[2]إلى الرشيد، فلم يلبث أن قدم الرشيد البصرة حاجّا ليأخذ على طريق النّباج[3] و كان الطريق[4]قديما، فدخلها و عديله إبراهيم الحرّانيّ فتحمّل عليه ابن مناذر بعثمان بن الحكم الثّقفيّ، و أبي بكر السّلميّ حتى أوصلاه إلى الرّشيد، فأنشده إيّاها، فلما بلغ آخرها كان فيها بيت يفتخر فيه و هو: قومي تميم عند السّماك لهم # مجد و عزّ فما ينالونا[5]

فلما أنشده هذا البيت تعصّب عليه قوم من الجلساء، فقال له بعضهم: يا جاهل، أ تفخر في قصيدة مدحت بها أمير المؤمنين. و قال آخر: هذه حماقة بصريّة، فكفّهم عنه الرشيد و وهب له عشرين ألف درهم.

الرشيد يستشهد بشعره و يبعث له بجائزة

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد، قال: حدثني سهيل السّلميّ: أنّ الرّشيد استسقى في سنة قحط فسقي الناس،

فسرّ بذلك، و قال: للّه درّ ابن مناذر حيث يقول: [1]ب: ابن دماذ.

[2]ف، بيروت: «ينفذ بها» ، و في المختار: «ينفذها» .

[3]في بلاد العرب نباجان، أحدهما على طريق البصرة يقال له نباج بني عامر و هو بحذاء فيد، و الآخر نباج بني سعد بالقريتين.

[4]في ب، بيروت: «و هو كان الطريق» .

[5]ف: «فما يبالونا» .

و لو سألنا بحسن وجهك يا # هارون صوب الغمام أسقينا

و سأل عن خبره فأخبر أنّه بالحجاز، فبعث إليه بجائزة.

هجاؤه بكر بن بكار

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، عن محمد بن عمران الصّيرفيّ، قال: حدّثنا العنزيّ، قال: حدّثنا نصر بن علي الجهضميّ، قال: حدّثني محمّد بن عباد المهلبيّ[1]، قال: شهد بكر بن بكّار عند عبيد اللّه بن الحسن بن الحصين بن الحرّ العنزيّ بشهادة، فتبسّم ثم قال له: يا بكر، ما لك و لابن مناذر حيث يقول: أعوذ باللّه من النّار # و منك يا بكر بن بكّار

فقال: أصلح اللّه القاضي، ذاك رجل ماجن خليع لا يبالي ما قال، فقال له: صدقت و زاد تبسّمه، و قبل شهادته، و قام بكر و قد تشوّر[2]و خجل. قال العنزيّ: فحدثني أبو غسّان دماذ قال: أنشدني ابن مناذر هذا الشّعر الذي قاله في بكر بن بكّار و هو: أعوذ باللّه من النّار # و منك يا بكر بن بكّار

يا رجلا ما كان فيما مضى # لآل حمران بزوّار

ما منزل أحدثته رابعا # معتزلا[3]عن عرصة الدّار

ما تبرح الدّهر على سوأة # تطرح حبّا للخشنشار

يا معشر الأحداث يا ويحكم # تعوّذوا بالخالق الباري

من حربة نيطت على حقوه # يسعى بها كالبطل الشّاري

يوم تمنّى أنّ في كفّه # أير أبي الخضر بدينار

/قال ابن مهرويه في خبره: و الخشنشار هو معاوية الزّياديّ المحدّث، و يكنى أبا الخضر، و كان جميل الوجه.

و قال العنزيّ في حديثه: حدّثني إسحاق بن عبد اللّه الحمرانيّ، و قد سألته عن معنى هذا الشعر، فقال: الخشنشار: غلام أمرد جميل الوجه كان في محلّتنا، و هذا لقبه، و كان بكر بن بكار يتعشّقه، فكان يجيء إلى أبي فيذاكره الحديث و يجالسه و ينظر إلى الخشنشار.

قال العنزيّ: حدّثني عمر بن شبّة، قال:

بلغني أنّ عبيد اللّه بن الحسن[4]لقي/ابن مناذر فقال له: ويحك، ما أردت إلى بكر بن بكّار ففضحته، و قلت فيه قولا لعلّك لم تتحقّقه؟فبدأ ابن مناذر يحلف له بيمين ما سمعت قطّ أغلظ منها، أنّ الذي قاله في بكر شيء يقوله معه كلّ من يعرف بكرا و يعرف الخشنشار، و يجمع عليه و لا يخالفه فيه، فانصرف عبيد اللّه مغموما بذلك قد بان [1]كذا في ف. و في ب: «أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا الحسن بن علي، قال: حدثنا نصر بن علي الجهضمي، قال: حدثني محمد بن عباد المهلبي، قال: » .

[2]تشور مطاوع شوره، أي خجل.

[3]ب، بيروت: منتزحا.

[4]في هب: عبيد اللّه بن الحسين. و في ب: عبد اللّه بن الحسن.

فيه، فلما بعد عنا، قلت لابن مناذر: برئ اللّه منك، ويلك ما أكذبك!أ كلّ من يعرف بكر بن بكّار[1]يقول فيه مثل قولك حتى حلفت بهذه اليمين؟ فقال: سخنت عينك، فإذا كنت أعمى القلب أيّ شيء أصنع!أ فتراني كنت أكذّب نفسي عند القاضي، إنما موّهت عليه و حلفت له أن كلّ من يعرفها يقول مثل قولي، و عنيت ما ابتدأت به من الشعر و هو قولي: أعوذ باللّه من النّار

أ فتعرف أنت أحدا يعرفهما أو يجهلهما إلاّ يقول كما قلت: أعوذ باللّه من النار، إنما موّهت على القاضي و أردت تحقيق قولي عنده.

/قال مؤلف هذا الكتاب: و بكر بن بكّار رجل محدّث، قد روى عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح تفسير مجاهد، و روى حديثا صالحا.

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ، قال: حدثنا عمر بن شبّة، قال: حدّثنا بكر بن بكّار عن عبد اللّه بن المحرز، عن قتادة، عن أنس: أن النبيّ صلّى اللّه عليه و سلم قال: «زيّنوا القرآن بأصواتكم» .

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدّثني الأحوص بن الفضل البصريّ[2]، قال: حدّثنا ابن معاوية الزّياديّ، و أبوه الخشنشار الذي يقول فيه ابن مناذر: تطرح حبّا للخشنشار

قال: حدثني من لقي ابن مناذر بمكّة فقال: أ لا تشتاق إلى البصرة؟ فقال له: أخبرني عن شمس الوزّانين، أ على حالها؟قال: نعم، قال: وثيق بن يوسف الثّقفيّ حيّ؟قال: نعم، قال: فغسّان بن الفضل[3]الغلاّبيّ حيّ؟قال: نعم، قال: لا، و اللّه لا دخلتها ما بقي فيها واحد من الثّلاثة. قال: و شمس الوزّانين في طرف المربد بحضرة مسجد الأنصار في موضع حيطانه قصار لا تكاد الشّمس تفارقه.

كان محمد بن عبد الوهاب أخو عبد المجيد يعاديه

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال: حدّثنا عمر بن شبّة، قال: كان محمّد بن عبد الوهاب الثّقفيّ أخو عبد المجيد يعادي محمد بن مناذر بسبب ميله إلى أخيه عبد المجيد، و كان ابن مناذر يهجوه و يسبّه و يقطعه، و كلّ واحد منهما يطلب لصاحبه المكروه و يسعى عليه، فلقي محمد بن عبد الوهاب ابن مناذر في مسجد البصرة، و معه دفتر فيه كتاب العروض بدوائره، و لم يكن محمّد بن عبد الوهاب يعرف العروض، فجعل يلحظ الكتاب و يقرؤه فلا يفهمه، و ابن مناذر/متغافل عن فعله، ثم قال له: ما في

كتابك هذا؟فخبأه في كمّه و قال: و أيّ شيء عليك ممّا فيه؟فتعلّق به و لبّبه، فقال له ابن مناذر: يا أبا الصّلت، اللّه اللّه في دمي، فطمع فيه و صاح يا زنديق، في كمّك الزّندقة، فاجتمع النّاس إليه، فأخرج الدّفتر من كمّه و أراهم[4]إيّاه، [1]في ب: بكر بن وائل.

[2]في هب: المفضل النصري. و في ب: المفضل.

[3]ف: «المفضل» .

[4]في ب: و أراه.

فعرفوا براءته ممّا قذفه به، و وثبوا على محمّد بن عبد الوهاب و استخفّوا به، و انصرف بخزي[1]، و قال ابن مناذر يهجوه: إذا أنت تعلّقت[2] # بحبل من أبي الصّلت

تعلّقت بحبل وا # هن القوّة منبتّ

/إذا ما بلغ المجد # ذوو الأحساب بالمتّ

تقاصرت عن المجد # بأمر رائب شخت[3]

فلا تسمو إلى المجد # فما أمرك[4]بالثّبت

و لا فرعك في العيدا # ن عود ناضر النّبت[5]

و ما يبقي لكم يا قو # م من أثلتكم نحتي

فها فاسمع قريضا من # رقيق حسن النّعت

يقول الحقّ إن قال # و لا يرميك بالبهت

و في نعت لوجعاء # قد استرخت من الفتّ

فعندي لك يا مأبو # ن مثل الفالج البختي[6]

/عتلّ يعمل الكوم # من السّبت إلى السّبت

له فيشلة إن أد # خلت واسعة الخرت[7]

و إلا فاطل وجعاء # ك بالخضخاض و الزّفت[8]

أ لم يبلغك تسآلي # لدى العلاّمة المرت

فقال الشيخ سرجويـ # ه[9]: داء المرء من تحت

فخذ من ورق الدّفلى # و خذ من ورق القتّ

و خذ من جعر[10]كيسان # و من أظفار نسّخت

فغرغره به و اسعط # بذا في دائه أفتي

قال: و نسّخت[11]: لقب أبي عبيدة، و هو اسم من أسماء اليهود؛ لقب به تعريضا بأنّ جدّه كان يهوديّا، و كان أبو عبيدة و سخا طويل الأظفار أبدا و الشّعر، و كان يغضب من هذا اللّقب.

[1]في ب: فانصرفوا و وثب يجري.

[2]ف: تمسكت.

[3]الرائب من الأمور: ما فيه شبهة و ريبة. و الشخت: الضامر.

[4]ف: فما أصلك.

[5]في ب: «البكت» ، تحريف.

[6]في ف، بيروت: «مثل الجمل البختي» . و في ب: «الفالح البحت» . و لعلها الفالج البخت و هو ما أثبتناه. و الفالج: الجمل الضخم ذو السنامين، و البخت: الإبل الخراسانية.

[7]الخرت: الثقب.

[8]الوجعاء: السافلة؛ و هي الدبر. و الخضخاض: نفط أسود تدهن به الإبل الجربى.

[9]في ف: و قال الشيخ ما سر جويه...

[10]في ب: و خذ من جعد... و الجعر: خرء كل ذي مخلب من السباع.

[11]في ف: سنخت. و في المختار: شبخت.

فأخبرني الحسن بن عليّ، عن ابن مهرويه، عن عليّ بن محمد النوفليّ، قال: لمّا قال ابن مناذر هذه الأبيات:

إذا أنت تعلّقت # بحبل من أبي الصّلت

تعلّقت بحبل وا # هن القوّة منبتّ

و قال الشيخ سرجو # يه: داء المرء من تحت

/فبلغ ذلك سرجويه، فجاء إلى محمد بن عبد الوهاب، فوقف عليه في مجلسه و عنده جماعة من أهله و إخوانه و جيرانه، فسلّم عليه و كان أعجميّا لا يفصح، ثم قال: «بركست كمن كفتم أن كسر مناذر كفت: داء المرء من تحت» [1]، فكاد القوم أن يفتضحوا من الضّحك، و صاح به محمد: اعزب قبّحك اللّه، فظنّ أنه لم يقبل عذره، فأقبل يحلف له مجتهدا ما قال ذاك، و محمد يصيح به: ويلك اعزب عنّي، و هو في الموت منه، و كلما زاده من الصّياح إليه زاده في العذر و اجتهد في الأيمان، و ضحك الناس حتى غلبوا، و قام محمد خجلا فدخل منزله و تفرّقوا.

قال أبو الحسن النّوفليّ: ثم مضى لذلك زمان، و هجا أبو نعامة أبا عبد اللّه عريسة الكاتب/فقال فيه:

و روى شيخ تميم # خالد أنّ هريسة

يدخل الأصلع ذا الخر # جين في جوف الكنيسة

فلقي خالد بن الصبّاح هذا هريسة، و كان يعاديه، و أراد أن يخجله، فحلف له مجتهدا أنّه لم يقل فيه ما قاله أبو نعامة، فقال هريسة: يا بارد!لم ترد أن تعتذر، إنما أردت أن تتشبّه بابن مناذر و محمّد بن عبد الوهاب، و بأبي الشّمقمق و أحمد بن المعذّل، و لست من هؤلاء في شيء.

شعر له في ضرير و أخرس جالسين عنده

قرأت في بعض الكتب عن ابن أبي سعد، قال: حدّثني أبو الخطّاب الحسن بن محمد، عن محمد بن إسحاق البلخيّ، قال:

دخلت على ابن مناذر يوما و عنده رجل ضرير جالس عن يمينه، و رجل بصير جالس عن شماله ساكت لا ينطق، قال: فقلت له: ما خبرك؟فقال:

/بين أعمى و أخرس أخرس اللّه لسان الأعمى و أعمى البصيرا قال: فوثبا فخرجا من عنده و هما يشتمانه.

خبره مع سفيان بن عيينة

و نسخت من كتاب ابن أبي الدّنيا: حدّثني أبو محمّد التّميميّ، قال: حدّثني إبراهيم بن عبد اللّه، عن الحسن بن عليّ، قال:

كنّا عند باب سفيان بن عيينة و قد هرب منا، و عنده الحسن بن عليّ النّختاخ، و رجل من الحجبة، و رجل من أصحاب الرشيد، فدخل بهم و ليس يأذن لنا، فجاء ابن مناذر فقرب من الباب، ثم رفع صوته فقال.

[1]كذا في هب، مد: يريد سرجويه أن يقول لابن عبد الوهاب: «إن ما قاله ابن مناذر منسوبا إليه غير صحيح» . ـ

بعمرو و بالزّهريّ و السّلف الأولى # بهم ثبتت رجلاك عند المقاوم

جعلت طوال الدهر يوما لصالح # و يوما لصبّاح و يوما لحاتم

و للحسن التّختاخ[1]يوما و دونهم # خصصت حسينا دون أهل المواسم

نظرت و طال الفكر فيك فلم أجد # رحاك جرت إلاّ لأخذ الدّراهم

فخرج سفيان و في يده عصا و صاح: خذوا الفاسق، فهرب ابن مناذر منه، و أذن لنا فدخلنا.

رثاؤه سفيان بن عيينة

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني أبو بكر المؤدّب، قال: حدّثني محمد بن قدامة، قال:

سمعت سفيان بن عيينة يقول لابن مناذر: يا أبا عبد اللّه، ما بقي أحد أخافه غيرك، و كأنّي بك قد متّ فرثيتني، فلما مات سفيان بن عيينة، قال ابن مناذر يرثيه: راحوا بسفيان على نعشه # و العلم مكسوّين أكفانا[2]

/إنّ الذي غودر[3]بالمنحنى # هدّ من الإسلام أركانا

لا يبعدنك اللّه من ميّت # ورّثنا[4]علما و أحزانا

سفيان بن عيينة يتكلم بكلام لابن مناذر

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار، قال: حدّثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قال: حدّثني شيخ من أهل الكوفة يقال له عوّام، قال: سمعت سفيان بن عيينة و قد تكلّم بكلام استحسن، فسأله محمد بن مناذر أن يمليه عليه، فتبسّم سفيان و قال له: هذا كلام سمعتك تتكلّم به فاستحسنته فكتبته عنك، قال: و على ذلك أحبّ أن تمليه عليّ، فإني إذا رويته عنك كان/أنفق له من أن أنسبه إلى نفسي.

قال عوّام: و أنشدني ابن عائشة لابن مناذر يرثي سفيان بن عيينة بقوله: يجني من الحكمة نوّارها # ما تشتهي الأنفس ألوانا[5]

يا واحد الأمّة في علمه # لقيت من ذي العرش غفرانا

راحوا بسفيان على نعشه # و العلم مكسوّين أكفانا

رجع إلى المجون بعد موت عبد المجيد بن عبد الوهاب

أخبرني عليّ بن سليمان، قال: حدّثنا محمد بن يزيد، عن محمد بن عامر الحنفيّ، قال: لمّا مات عبد المجيد بن عبد الوهاب، خرج ابن مناذر إلى

مكّة، و ترك النّسك و عاد للمجون و الخلع، و قال [1]في ف: المحتاج. و التختاخ: الألكن.

[2]في «معجم الأدباء» 19/60: «راحوا بسفيان على عرشه» .

[3]في ب: غور.

[4]ف، بيروت: ورثتنا.

[5]في «معجم الأدباء» 19-60:

«يجني من الحكمة سفياننا»

.

في هذا المعنى شعرا كثيرا، حتى كان إذا مدح أو فخر، لم يجعل افتتاح شعره و مباديه إلا المجون، و حتى قال في مدحه للرّشيد: هل عندكم رخصة عن الحسن البـ # صريّ في العشق و ابن سيرينا!

/إنّ سفاها بذي الجلالة و الشّيـ # بة ألاّ يزال مفتونا

و قال أيضا في هذا المعنى:

ألا يا قمر المسجـ # د هل عندك تنويل!

شفائي منك-إن # نوّلتني-شمّ و تقبيل

سلا كلّ فؤاد[1]و # فؤادي بك مشغول

لقد حمّلت من حبّيـ # ك ما لا يحمل الفيل[2]

خبره مع يونس النحوي

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني ابن مهرويه، قال: حدثنا العبّاس بن الفضل الربعيّ، قال: حدثني التّوزيّ، قال: قال ابن مناذر ليونس النحويّ يعرّض به: أخبرني عن جبّل أ تنصرف أم لا؟و كان يونس من أهلها، فقال له: قد عرفت ما أردت يا ابن الزّانية. فانصرف ابن مناذر: فأعدّ شهودا يشهدون عليه بذلك، و صار إليه و سأله، هل تنصرف جبّل؟و علم يونس ما أراد، فقال له: الجواب ما سمعته أمس.

خبر زيارة حجاج الصواف له بمكة

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدّثني إسحاق بن محمد النخعيّ، قال: حدثني إسحاق بن عمرو السّعديّ، قال: حدّثني الحجاج الصّوّاف. و أخبرني الحسن بن عليّ أيضا، قال: حدّثني ابن مهرويه، قال: حدّثني إسحاق بن محمد، قال: حدثني أميّة بن أبي مروان، قال: حدثني حجّاج الصّوّاف الأعور، قال: خرجت إلى مكّة فكان هجّيراي[3]في الطريق ابن مناذر، و كان لي إلفا و خدنا و صديقا، فدخلت مكة فسألت عنه، فقالوا: لا يبرح المسجد، فدخلت/المسجد فالتمسته فوجدته بفناء زمزم، و عنده أصحاب الأخبار و الشّعراء يكتبون عنه، فسلّمت و أنا أقدّر أن يكون عنده من الشّوق إليّ مثل ما عندي، فرفع رأسه فردّ السّلام ردّا ضعيفا، ثم رجع إلى القوم يحدّثهم و لم يحفل بي، فقلت في نفسي: أ تراه ذهبت عنه معرفتي!فبينا أنا أفكّر إذ طلع أبو الصّلت بن عبد الوهاب الثقفيّ من باب بني شيبة داخلا المسجد، فرفع رأسه فنظر إليه، ثم

أقبل عليّ فقال: أ تعرف هذا؟فقلت: نعم، هذا الذي يقول فيه من قطع اللّه لسانه: /

إذا أنت تعلّقت # بحبل من أبي الصّلت

[1]في ب: «كل فؤادي» .

[2]الأبيات في «الشعر و الشعراء» 2-870.

[3]الهجيرى: الشأن و القصد.

تعلّقت بحبل وا # هن القوّة منبتّ

قال: فتغافل عنّي، و أقبل عليهم ساعة، ثم أقبل عليّ فقال: من أيّ البلاد أنت؟قلت: من أهل البصرة، قال: و أين تنزل منها؟قلت: بحضرة بني عائش الصّوّافين، قال: أ تعرف هناك ابن زانية يقال له: حجّاج الصّواف؟ قلت: نعم تركته ينيك أمّ ابن زانية يقال له: ابن مناذر، فضحك و قام إليّ فعانقني.

هجاؤه حجاج الصواف

قال مؤلّف هذا الكتاب: و لابن مناذر هجاء في حجّاج الصّوّاف على سبيل العبث، و هو قوله.

إنّ ادّعاء الحجّاج في العرب # عند ثقيف من أعجب العجب

و هو ابن زان لألف زانية # و ألف علج معلهج النّسب[1]

و لو دعاه داع فقال له: # يا ألأم النّاس كلّهم أجب

إذا لقال الحجّاج: لبّيك من # داع دعاني بالحقّ لا الكذب

و لو دعاه داع فقال له: # من المعلّى في اللؤم؟قال: أبي

/أبوه زان و الأمّ زانية # بنت زناة مهتوكة الحجب

تقول: عجّل أدخل، لنائكها # اتركه في استي إن شئت أو ركبي[2]

من ناكني فيهما فأوسعني # رهزا دراكا أعطيته سلبي

همّ حري النّيك فابتغوا لحري # أير حمار أقضي به أربي

أحبّ أير الحمار وا بأبي # فيشة أير الحمار وا بأبي

إذا رأته قالت: فديتك يا # قرّة عيني و منتهى طلبي

إذا سمعت النّهيق هاج حري # شوقا إليه و هاج لي طربي

يأخذني في أسافلي و حري # مثل اضطرام الحريق في الحطب

شكت إليّ نسوة فقلن لها # و هي تنادي بالويل و الحرب: كفّي قليلا، قالت: و كيف و بي # في جوف صدعي[3]كحكّة الجرب

أرى أيور الرّجال من عصب # ليت أيور الرّجال من خشب

هجاه إسكاف بالبصرة فهرب منها

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثني أحمد بن محمد الرّازيّ أبو عبد اللّه، قال: حدثني أبو بجير[4]، قال: كان ابن مناذر يجلس إلى إسكاف بالبصرة، فلا يزال يهجوه بالأبيات فيصيح من ذلك و يقول له: أنا صديقك

فاتّق اللّه و أبق على الصّداقة و ابن مناذر يلحّ، فقال الإسكاف: فإني أستعين اللّه عليك و أتعاطى الشعر، فلما أصبح غدا عليه ابن مناذر كما كان يفعل، فأخذ يعبث به و يهجوه، فقال الإسكاف: [1]في ب:

«... معلهج الحسب»

. و في ف:

«و ابن ثفل معلهج النسب»

. و المعلهج: الهجين.

[2]الركب: من أسماء الفرج، و في ف: أيرك بدل: اتركه.

[3]الصدع: الشق.

[4]في ف، بيروت: أبو يحيى.

كثرت أبوّته و قلّ عديده # و رمى القضاء به فراش مناذر

عبد الصّبيريّين لم تك شاعرا # كيف ادّعيت اليوم نسبة شاعر!

/فشاع هذان البيتان بالبصرة و رواهما أعداؤه، و جعلوا يتناشدونهما إذا رأوه، فخرج/من البصرة إلى مكّة و جاور بها، فكان هذا سبب هربه من البصرة.

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا الكرانيّ، عن أبي حاتم، قال:

قال ابن مناذر: ما مرّ بي شيء قطّ أشدّ عليّ ممّا مرّ بي من قول أبي العسعاس فيّ: كثرت أبوّته و قلّ عديده # و رمى القضاء به فراش مناذر

انظر بكم صنف قد هجاني في هذا البيت قبّحه اللّه، ثم منعني من مكافأته أنّي لم أجد له نباهة فأغضّها، و لا شرفا فأهدمه، و لا قدرا فأضعه.

يستطيع أن يجعل كلامه كله شعرا

أخبرني عمّي، قال: حدّثني الكرانيّ، قال: حدّثني بشر بن دحية الزّياديّ أبو معاوية قال: سمعت ابن مناذر يقول: إن الشّعر ليسهل عليّ حتى لو شئت ألاّ أتكلّم إلا بشعر لفعلت.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدّثنا العبّاس بن ميمون طايع، قال: حدّثني بعض أصحابنا، قال: رأيت ابن مناذر بمكّة و هو يتوكّأ على رجل يمشي معه و ينشد: إذا ما كدت أشكوها # إلى قلبي، لها شفعا

ففرّق بيننا دهر # يفرّق بين ما اجتمعا

فقلت: إنّ هذا لا يشبه شعرك، فقال: إن شعري برد بعدك[1].

ذم امرأة محمد بن عبد الوهاب الثقفي

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق، قال: حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ[2]، قال: حدّثنا بعض أصحابنا أنّ محمد بن عبد الوهاب الثّقفيّ تزوّج امرأة من ثقيف يقال لها عمّارة، و كان ابن مناذر يعاديه، فقال في ذلك: /

لمّا رأيت القصف و الشّاره # و البزّ ضاقت به الحاره

و الآس و الرّيحان يرمى به # من فوق ذي الدّارة و الدّاره

قلت: لمن ذا؟قيل: أعجوبة # محمّد زوّج عمّاره

لا عمّر اللّه بها ربعه # فإنّ عمّارة بدكاره[3]

ويحك فرّي و اعصبي فاك لي[4] # فهذه أختك فرّاره

[1]في ف، بيروت: «إن شعري بدل بعدك» .

[2]ب: المدني.

[3]في هب: مذكاره. و بدكاره: كلمة فارسية معناها بنت زنا.

[4]ف: «و اعصبي ذاك بي» .

قال: فو اللّه ما لبثت عنده إلا مديدة حتى هربت، و كانت لها أخت قبلها متزوّجة إلى بعض أهل البصرة ففركته[1]و هربت منه، فكانوا يعجبون من موافقة فعلها قول ابن مناذر.

شعر له في أبي أمية خالد

قال أبو أيّوب: و حدّثت أن أبا أميّة[2]و اسمه خالد-و هو الذي يقول فيه أبو نواس: أيها المقبلان من حكمان # كيف خلّفتما أبا عثمان؟

و أبا أميّة المهذّب و الما # جد و المرتجى لريب الزّمان

-كان خطب امرأة من ثقيف، ثم ولد عثمان بن أبي العاصي، فردّ عنها، و تصدّى للقاضي أن يضمّنه مالا من أموال اليتامى، فلم يجبه إلى ذلك، و لم يثق به، فقال فيه ابن مناذر: أبا أميّة لا تغضب عليّ فما # جزاء ما كان فيما بيننا الغضب

إن كان ردّك قوم عن فتاتهم # ففي كثير من الخطّاب قد رغبوا

قالوا: عليك ديور ما تقوم بها # في كلّ عام تستحدث الكتب

و قد تقحّم من خمسين غايتها # مع أنه ذو عيال بعد ما انشعبوا

/و في الّتي فعل القاضي فلا تجدن # فليس في تلك لي ذنب و لا ذنب

أردت أموال أيتام تضمّنها # و ما يضمّن إلاّ من له نشب

بلغه عن ابن دأب قول قبيح فهجاه

أخبرني محمّد بن خلف وكيع، قال: حدّثني أحمد بن زهير، قال: سمعت إبراهيم بن المنذر الخزاميّ يقول: بلغ ابن مناذر عن ابن دأب قول قبيح، قال: فدعاني، و قال: اكتب: فمن يبغ الوصاة فإنّ عندي # وصاة للكهول و للشّباب

خذوا عن[3]مالك و عن ابن عون # و لا تروووا أحاديث ابن داب

ترى الغاوين يتّبعون منها # ملاهي من أحاديث كذاب

إذا التمست منافعها اضمحلّت # كما يرفضّ رقراق السّحاب

قال: فرويت، و افتضح بها ابن دأب. قال الحزاميّ: فلما قدمت العراق وجدتهم قد جعلوها: خذوا عن يونس و عن ابن عون

رثاؤه الرشيد

أخبرني عمّي، قال: حدثنا الكرانيّ، قال: حدّثنا أبو حاتم، قال: كان الرّشيد قد وصل ابن مناذر مرّات صلات سنيّة، فلما مات الرّشيد رثاه ابن

مناذر فقال: [1]فركته: كرهته.

[2]في ب، س: و حدثت أن أمية.

[3]في ب: خذوا من مالك.

من كان يبكي للعلى # ملكا و للهمم الشّريفة

فليبك هارون الخليـ # فة للخليفة و الخليفه[1]

هجاؤه خالد بن طليق

أخبرني محمّد بن خلف وكيع، قال: حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة، عن محمد بن سلاّم قال: /كان محمّد بن طليق و سائر بني طليق أصدقاء لابن مناذر، فلما ولي المهديّ الخلافة استقضى خالد بن طليق، و عزل عبيد اللّه بن الحسن بن الحرّ[2]، فقال ابن مناذر يهجو خالدا مجونا و خبثا منه: أصبح الحاكم بالنّ # اس من آل طليق

جالسا يحكم في النّا # س بحكم الجاثليق[3]

يدع القصد و يهوي # في بنيّات الطّريق[4]

يا أبا الهيثم ما كنـ # ت لهذا بخليق

لا و لا كنت لما حمّلـ # ت منه بمطيق

حبله حبل غرور # عنده[5]غير وثيق

قال ابن سلاّم: فقلت لابن مناذر: ويحك إذا بلغ إخوانك و أصدقاءك من آل طليق أنّك هجوتهم ما يقولون لك؟و بأيّ شيء تعتذر إليهم؟فقال: لا يصدّقون إذا بلغهم أنّي هجوتهم بذلك؛ لأنهم يثقون بي.

مدح بني مخزوم لأنهم زاروه في مرضه

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني الحسن بن عليل[6]، عن مسعود بن بشر، قال: حدّثنا محمّد بن مناذر، قال: كنت بمكّة فاشتكيت، فلم يعدني من قريش إلا بنو مخزوم وحدهم، فقلت أمدحهم: جاءت قريش تعودني زمرا # فقد وعى أحرها لها الحفظه

/و لم تعدني تيم و إخوتها # و زارني الغرّ[7]من بني يقظه

لن يبرح العزّ منهم أبدا # حتى تزول الجبال من قرظه[8]

ابن عائشة يطلب سماع مرثيته في عبد المجيد

/أخبرني الحسن، عن ابن مهرويه، عن إسحاق بن محمد النخعيّ، قال:

[1]في ب، مد: للخليفة للخليفة.

[2]في ف: «عبد اللّه بن الحسن بن الحسن» . و في بيروت: «عبيد اللّه بن الحسن بن الحسن» .

[3]الجاثليق: رئيس الأساقفة (معربة) . و في «الشعر و الشعراء» : «ضحكة يحكم... برأي الجاثليق»

.

[4]بنيات الطريق: طرق صغيرة تتشعب من الجادة، و هي الترهات. و منه المثل: «دع بنيات الطريق»

.

[5]في ف: عقده.

[6]في ف، هب: الحسن بن علي.

[7]في هب: و عادني الغر، و في ب: و زارني العز.

[8]قرظة: قرية بوادي عرادات و هو بين اليمن و بين نجد «عن «معجم البلدان» 3-638.

كنّا عند ابن عائشة فقال لعبد الرحمن ابنه: أنشدني مرثية ابن مناذر عبد المجيد فجعل ينشدها فكلّما أتى على بيت استحسنه، حتى أتى على هذا البيت: لأقيمنّ مأتما كنجوم اللّيل # زهرا يخمشن[1]حرّ الخدود

فقال ابن عائشة: هذا كلام ليّن كأنه من كلام المخنّثين، فلما أتى على هذا البيت: كنت لي عصمة و كنت سماء # بك تحيا أرضي و يخضرّ عودي

فقال: هذا بيتها، ثم أنشد:

إنّ عبد المجيد يوم تولّى # هدّ ركنا ما كان بالمهدود

ما درى نعشه و لا حاملوه # ما على النّعش من عفاف وجود

و أرانا كالزّرع يحصدنا الدّهـ # ـر فمن بين قائم و حصيد

فقال ابن عائشة: أجعله زرعا يحصدنا اللّه؟فليس هذا من كلام المسلمين، أ لا ترى إلى قوله: إنّه يقول: يحكم اللّه ما يشاء فيمضي # ليس حكم الإله بالمردود

عاقبه الرشيد على رثائه البرامكة

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ، قال: حدثني محمد بن موسى، و لم يتجاوزه بالإسناد.

/و نسخت هذا الخبر من كتاب ابن أبي مريم الحاسب: حدّثني ابن القدّاح، و عبد اللّه بن إبراهيم بن قدامة الجمحيّ، قالا: حدّثنا ابن مناذر، قال: حج الرّشيد بعد إيقاعه بالبرامكة و حج معه الفضل بن الرّبيع، و كنت[2]مضيّقا مملقا، فهيّأت فيه قولا أجدت تنميقه و تنوّقت فيه، فدخلت إليه في يوم النّروية و إذا هو يسأل عنّي و يطلبني، فبدرني الفضل بن الرّبيع قبل أن أتكلّم، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا شاعر البرامكة و مادحهم، و قد كان البشر ظهر لي في وجهه لمّا دخلت، فتنكّر و عبس في وجهي، فقال الفضل: مره يا أمير المؤمنين أن ينشدك قوله فيهم: أتانا بنو الأملاك من آل برمك

فقال لي: أنشد، فأبيت، فتوعّدني و أكرهني، فأنشدته: أتانا بنو الأملاك من آل برمك # فيا طيب أخبار و يا حسن منظر

إذا وردوا بطحاء مكة أشرقت # بيحيى و بالفضل بن يحيى و جعفر

فتظلم بغداد و يجلو لنا الدّجى # بمكّة ما حجّوا[3]ثلاثة أقمر

فما صلحت إلا لجود أكفّهم # و أرجلهم[4]إلا لأعواد منبر

إذا راض يحيى الأمر ذلّت صعابه # و حسبك من راع له و مدبّر

[1]في ف: يلطمن.

[2]في ب: «و كان» ، تحريف.

[3]في هب:

«ما كانوا ثلاثة أبدر»

، و في ف:

«ما عشنا»

. و في «معجم الأدباء» 19-57:

«ما عشنا ثلاثة أبحر»

.

[4]في ف: أقدامهم. و في «معجم الأدباء» 19-57: «فما خلقت إلا لجود... # و أرجلهم... »

.

ترى الناس إجلالا له و كأنّهم # غرانيق ماء تحت باز مصرصر[1]

ثم أتبعت ذلك بأن قلت: كانوا أولياءك يا أمير المؤمنين أيام مدحتهم، و في/طاعتك لم يلحقهم سخطك و لم تحلل بهم نقمتك، و لم أكن في ذلك مبتدعا، و لا خلا أحد من نظرائي من مدحهم، و كانوا قوما قد أظلّني فضلهم، و أغناني رفدهم فأثنيت بما أولوا، فقال: يا غلام، الطم وجهه، فلطمت و اللّه حتى سدرت[2]و أظلم ما كان بيني و بين أهل المجلس، ثم قال: اسحبوه على/وجهه، ثم قال: و اللّه لأحرمنّك و لا تركت أحدا يعطيك شيئا في هذا العام، فسحبت حتى أخرجت، و انصرفت و أنا أسوأ الناس حالا في نفسي و حالي و ما جرى عليّ، و لا و اللّه ما عندي ما يقيم يومئذ قوت عيالي لعيدهم، فإذا بشابّ قد وقف عليّ، ثم قال: أعزز عليّ و اللّه يا كبيرنا بما جرى عليك، و دفع إليّ صرّة و قال: تبلّغ بما في هذه، فظننتها دراهم فإذا هي مائة دينار-قال الصوليّ في خبره: فإذا هي ثلاثمائة دينار-فقلت له: من أنت جعلني اللّه فداءك!قال: أنا أخوك أبو نواس، فاستعن بهذه الدنانير و اعذرني، فقبلتها، و قلت: وصلك اللّه يا أخي و أحسن جزاءك.

كافأه جعفر بن يحيى على القراءة بعد تركه الشعر

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا يحيى بن الحسن الرّبيعيّ، قال: حدثنا أبو معاوية الغلابيّ، قال: قال سفيان بن عيينة: كلّمني ابن مناذر في أن أكلّم له جعفر بن يحيى، فكلّمته له، و قد كان ابن مناذر ترك الشّعر، فقال: إن أحبّ أن يعود إلى الشّعر أعطيته خمسين ألفا، و إن أحبّ أن أعطيه على القراءة أعطيته عشرة آلاف، فذكرت ذلك له، فقال لي: خذ لي على القراءة، فإني لا آخذ على الشعر و قد تركته.

أخبرني عمّي عن الكرانيّ، عن الرياشيّ، قال: قال العتبيّ:

جاءت قصيدة لا يدرى من قائلها، فقال ابن مناذر:

هذه الدّهماء تجري فيكم # أرسلت عمدا تجرّ الرّسنا

قال شعرا يصف فيه الألفة بين الرشيد و جعفر بن يحيى

قال الكرّانيّ: و حدثني الرّياشيّ قال: سمعت خلف بن خليفة يقول: قال لي ابن مناذر: قال لي جعفر بن يحيى: قل فيّ و في الرّشيد شعرا تصف فيه الألفة بيننا فقلت: قد تقطع الرّحم القريب و تكفر الـ # نّعمى و لا كتقارب القلبين

يدني الهوى هذا و يدني ذا الهوى # فإذا هما نفس ترى نفسين

قال مؤلف هذا الكتاب: هذا أخذه من كلام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم نقلا؛ فإن ابن عيينة روى عن إبراهيم بن ميسرة، عن طاوس، عن ابن عبّاس: أن النبي صلّى اللّه عليه و سلم قال: «إنّ الرّحم تقطع، و إن النّعم تكفر، و لن ترى[3]مثل تقارب القلوب» .

[1]الغرانيق جمع غرنوق، و هو طائر مائي، أو هو الكركي، و المصرصر: المصوت بشدة.

[2]سدرت: تحيرت.

[3]في ب، س: و لم تر.

أخبرني هاشم بن محمد، قال: حدّثنا العباس بن ميمون، قال: حدثنا سليمان الشّاذكونيّ قال: كنا عند سفيان بن عيينة، فحدّث عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله عز و جل: **قَالُوا سَلاَماً*** [1]قالوا سدادا، قال: فقال ابن مناذر و هو إلى جنبي: التنزيل أبين من التفسير[2].

خبره مع أبي حية النميري

أخبرني عمّي، قال: حدثنا الكرانيّ، عن أبي حاتم، و عن العتبيّ، عن أبي معبد قال[3]: مرّ بنا أبو حيّة النّميريّ و نحن عند ابن مناذر، فقال لنا: علام اجتمعتم؟فقلنا: هذا شاعر المصر، فقال له: أنشدني، فأنشده ابن مناذر، فلما فرغ، قال له أبو حيّة: /أ لم أقل لك: أنشدني؟فقالوا له: أنشدنا أنت يا أبا حيّة، فأنشدهم قوله: ألا حيّ من أجل الحبيب المغانيا[4] # لبسن البلى ممّا لبسن اللّياليا

إذا ما تقاضى المرء[5]يوم و ليلة # تقاضاه شيء لا يملّ التّقاضيا

فلما فرغ، قال له ابن مناذر: ما أرى في شعرك شيئا يستحسن، فقال له: ما في شعري شيء يعاب إلا استماعك إياه، فكادا أن يتواثبا، ثم افترقا.

هجا خالد بن طليق و عيسى بن سليمان

أخبرني عمّي، قال: حدّثني الكرانيّ، عن ابن/عائشة قال:

ولي خالد بن طليق القضاء بالبصرة، و عيسى بن سليمان الإمارة بها، فقال محمد بن مناذر يهجوهما بقوله: الحمد للّه على ما أرى # خالد القاضي و عيسى أمير

لكنّ عيسى نوكه ساعة # و نوك هذا منجنون يدور[6]

و قال في شيرويه الزّياديّ، و شيرويه لقب، و اسمه أحمد، و سأله حاجة، فأبى أن يقضيها إلاّ على أن يمدحه: يا سميّ النّبيّ بالعربيّه # و سميّ اللّيوث بالفارسيّه

إن غضبنا فأنت عبد ثقيف # أو رضينا فأنت عبد أميّه

فغضب شيرويه و جعل يشتمه، و شاع الشّعر بالبصرة، فكان بعد ذلك إذا قيل لشيرويه: ابن مناذر عليك غضبان أو عنك راض، يشتم من يقول له ذلك.

أخبرني الحسن بن القاسم الكوكبيّ قال: حدثنا ابن أبي الدّنيا قال: سمعت محمد بن قدامة الجوهريّ يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول

لمحمد بن مناذر: كأنك بي قد متّ فرثيتني، فلما مات، قال ابن مناذر يرثيه:
[1]الذاريات 25، هود 69.

[2]في «لسان الميزان» لابن حجر 5-393 ط. الهند: فقال ابن مناذر: معنى التنزيل أبين من التأويل.

[3]ف: «عن أبي معاوية» .

[4]في ب: «المعانيا» ، تصحيف، و التصويب من هب، ف.

[5]في ب: الأمر.

[6]النوك: الحمق. و المنجنون: ما يستقى عليها.

إنّ الذي غودر بالمنحنى # هدّ من الإسلام أركانا

راحوا بسفيان على نعشه[1] # و العلم مكسوّين أكفانا

لا يبعدنك اللّه من هالك # ورّثتنا علما و أحزانا

يفسر كلمات لعبد اللّه بن مروان

أخبرنا عمّي، قال: حدثنا عبد اللّه بن أبي سعد، قال: حدّثنا عبد اللّه بن مروان بن معاوية الفزاريّ، قال: حدّثنا سفيان قال:

سمعت أعرابية تقول: من يشتري مني الحزاة؟فقلت لها: و ما الحزاة؟ قالت: تشتريها النّساء للطّشّة و الخافية و الإقلات. قال عبد اللّه بن مروان: فسألت ابن مناذر عن تفسير ذلك، فقال: الطّشّة: وجع يصيب الصّبيان في رءوسهم كالزّكام. و الخافية: ما خفي من العلل المنسوبة إلى أذى الجن[2]. و الإقلات: قلّة الولد. و أنشدني ابن مناذر بعقب ذلك: بغاث الطّير أكثرها فراخا # و أمّ الصّقر مقلات نزور[3]

أي قليلة الفراخ.

أخبرني محمّد بن الحسن بن دريد، قال: حدّثني أبو حاتم، قال: سمعت محمّد بن مناذر يقول: العذراء: البتول، و البتور و البتيل واحد، و هي المنقطعة إلى ربّها.

قال: و سأله-يعني ابن مناذر-أبو هريرة الصّيرفيّ بحضرتي فقال: كيف تقول: أمّا لا أو إمّا لا؟فقال له مستهزئا به: أمّا لا[4]، ثم التفت إليّ فقال أسمعت أعجب من هذه المسألة!.

يجيب على سؤال لم يجب عنه أبو عبيدة

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثني ابن مهرويه، قال: حدّثني العبّاس بن الفضل الرّبعيّ، قال: حدّثنا التّوّزيّ، قال: سألت أبا عبيدة عن اليوم الثاني من النّحر: ما كانت العرب تسمّيه؟قال: ليس عندي من ذلك علم. فلقيت ابن مناذر بمكّة، فأخبرته بذلك، فعجب و قال: أ يسقط هذا عن مثل أبي عبيدة!هي أربعة أيّام متواليات كلّها على الرّاء: أولها يوم النّحر، و الثّاني يوم القرّ، و الثّالث يوم النّفر، و الرّابع يوم الصدر. فحدّثته-يعني أبا عبيدة-فكتبه عن ابن/مناذر، و قد روى ابن مناذر الحديث المسند، و نقله عنه المحدّثون.

بعض روايات له

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا الكرانيّ، قال: حدّثنا الخليل بن أسد، عن محمد بن مسعدة الدّارع أبي الجهجاه، قال: [1]في «معجم الأدباء» 19-60: «... على عرشه» .

[2]في ب: «الحق» ، تحريف.

[3]البيت للعباس بن مرداس في «شرح الحماسة» 3-153 ط. حجازي ضمن قصيدة من تسعة أبيات، مطلعها: ترى الرجل النحيف فتزدريه # و في أثوابه أسد مزير

[4]الصواب: «إمّا لا» بكسر الهمزة، أي إن كنت لا تفعل غيره. ـ

حدّثني محمّد بن مناذر الشّاعر، قال: حدثني سفيان الثّوري، عن الأغرّ، عن وهب بن منبّه، قال: كان يقال: الحياء من الإيمان، و المذى-مكسور الميم مقصور-من النّفاق، فقلت: إنّ الناس يقولون: المذاء، فقال: هو كما أخبرتك، فقلت له: و ما المذاء؟قال: اللّين في أمر النساء، و منه درع ماذيّ، و عسل ماذيّ.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدّثني إبراهيم بن عبد اللّه بن الجنيد، قال: حدثني حامد بن يحيى البلخيّ، قال: حدثني محمد بن مناذر الشاعر، قال: حدّثني يحيى بن عبد اللّه بن مجالد، عن الشّعبيّ، عن مسروق، عن عبد اللّه، قال: لمّا نظر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يوم بدر إلى القتلى و هم مصرعون، قال لأبي بكر: «لو أنّ أبا طالب حيّ لعلم أنّ أسيافنا قد أخذت بالأماثل» ، يعني قول أبي طالب: كذبتم و بيت اللّه إن جدّ ما أرى # لتلتبسن أسيافنا بالأماثل[1]

/أخبرني محمد بن خلف قال: حدّثني إسحاق بن محمد النخعيّ، قال:

حدثنا ابن مناذر، قال: حدّثنا سفيان بن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: قال عليّ عليه السلام: «ما قام بي[2]من النّساء إلا الحارقة أسماء» . قال ابن مناذر: الحارقة: التي تجامع على جنب.

أخبرني محمّد بن عمران الصّيرفي قال: حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ، عن العباس بن عبد الواحد، عن محمد بن عمرو، عن محمد بن مناذر، عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن طاوس، عن أبي هريرة، قال: جاء الشيطان إلى عيسى، قال: أ لست تزعم أنك صادق؟قال: بلى، قال: فأوف على هذه الشّاهقة، فألق نفسك منها، فقال: ويلك، أ لم يقل اللّه: يا ابن آدم، لا تبلني بهلاكك، فإنّي أفعل ما أشاء.

كتب رقعة فيها شعر لغلام في مسجد البصرة

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق، عن حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، قال: نظر محمد بن مناذر إلى غلام حسن الوجه في مسجد البصرة، فكتب إليه بهذه الأبيات: وجدت في الآثار في بعض ما # حدّثنا الأشياخ في المسند

ممّا روى الأعمش عن جابر # و عامر الشّعبيّ و الأسود

و ما روى شعبة عن عاصم # و قاله حمّاد عن فرقد

وصيّة جاءت إلى كل ذي # خدّ خلا من شعر أسودِ

أن يقبلوا الرّاغب في وصلهم # فاقبل فإني فيك لم أزهد

نوّل فكم من جمرة ضمّها # قلبي من حبّيك لم تبرد

فلمّا قرأها الفتى ضحك، و قلب الرّقعة، و كتب في ظهرها: لست شاعرا/فأجيبك، و لا فاتكا فأساعدك، و أنا أعوذ باللّه ربّك من شرّك.

[1]ف: «... بالأنامل» .

[2]ف: «لي» .

رواية أخرى في خبره مع أبي العتاهية

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ، قال: حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ، قال: حدّثنا محمد بن عبد اللّه العبديّ، قال: حدّثنا عليّ بن المبارك/ الأحمر، قال: لقي أبو العتاهية ابن مناذر بمكّة، فجعل يمازحه و يضاحكه، ثم دخل على الرّشيد، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا ابن مناذر شاعر البصرة يقول قصيدة في سنة، و أنا أقول في سنة مائتي قصيدة[1]، فقال الرشيد: أدخله إليّ، فأدخله إليه و قدّر أنّه يضعه عنده، فدخل فسلّم و دعا، فقال: ما هذا الذي يحكيه عنك أبو العتاهية؟فقال ابن مناذر: و ما ذاك يا أمير المؤمنين؟قال: زعم أنك تقول قصيدة في سنة، و أنّه يقول كذا و كذا قصيدة في السّنة، فقال: يا أمير المؤمنين، لو كنت أقول كما يقول:

ألا يا عتبة السّاعة # أموت السّاعة السّاعه

لقلت منه كثيرا، و لكنّي الذي أقول:

إنّ عبد المجيد يوم تولّى # هدّ ركنا ما كان بالمهدود

ما درى نعشه و لا حاملوه # ما على النّعش من عفاف وجود

فقال له الرشيد: هاتها فأنشدنيها، فأنشده، فقال الرشيد: ما كان ينبغي أن تكون هذه القصيدة إلاّ في خليفة أو وليّ عهد، ما لها عيب إلاّ أنّك قلتها في سوقة، و أمر له بعشرة آلاف درهم، فكاد أبو العتاهية يموت غمّا و أسفا.

سئل عنه يحيى بن معين فذمّه

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا إبراهيم بن الجنيد، قال: سألت يحيى بن معين، عن محمّد بن مناذر الشاعر، فقال: لم يكن بثقة و لا مأمون، رجل سوء نفي من البصرة، و وصفه بالمجون و الخلاعة، فقلت: إنما/تكتب شعره[2]و حكايات عن الخليل بن أحمد، فقال: هذا نعم. و أما الحديث فلست أراه موضعا له.

وفاته بعد أن كف بصره

أخبرني الحسن، قال: حدّثني ابن مهرويه، قال: حدثني عليّ بن محمد النّوفليّ قال: رأيت ابن مناذر في الحجّ سنة ثمان و تسعين و مائة، قد كفّ بصره، تقوده جويرية حرّة، و هو واقف يشتري ماء قربة، فرأيته وسخ الثّوب و البدن، فلما صرنا إلى البصرة أتتنا وفاته في تلك الأيّام.

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدّثنا خلاّد الأرقط قال:

تذاكرنا ابن مناذر في حلقة يونس، فقدح فيه أكثر أهل الحلقة، حتى نسبوه إلى الزّندقة، فلما صرت في السّقيفة التي في مقدّم المسجد سمعت قراءة قريبة من حائط القبلة، فدنوت فإذا ابن مناذر قائم يصلّي، فرجعت إلى الحلقة، فقلت لأهلها: قلتم في الرجل ما قلتم، و ها هو ذا قائم يصلّي حيث لا يراه إلا اللّه عزّ و جلّ.

[1]في هب: «في سنة واحدة مائتي قصيدة» ، و في ب: «ما بين قصائد» ، تحريف.

[2]ف: «إنما يكتب عنه شعرا أو حكايات عن الخليل» .

خبره مع أبي خيرة

أخبرني محمّد بن جعفر الصّيدلانيّ النّحويّ قال: حدثنا أحمد بن القاسم البرقيّ، قال: حدّثنا أحمد بن يعقوب، قال: حدّثني أحمد بن يحيى الهذليّ التّمّار، عن عبد اللّه بن عبد الصّمد الضّبّيّ قال:

كنّا يوما جلوسا في حلقة هبيرة بن جرير الضّبّيّ[1]إذ أقبل محمّد بن مناذر في برد قد كسته إيّاه بانة بنت أبي العاصي، فسلّم عليّ وحدي، و لم يعرف منهم أحدا، ثم قام فجلس إلى أبي خيرة، فخاطبه مخاطبة خفيفة[2]، و قام مغضبا، فقال لي هبيرة: من هذا؟فقلت: محمّد بن مناذر، فقال: إنا للّه قوموا بنا، فقام إلى أبي خيرة، فقال له: ما ذا قال لك ابن مناذر؟قال: سألني عن شيء و كنت مشغولا عنه فقال[3]: /يا أبا خيرة إن العشائر تغبطنا لعلمك، و ما جعل/اللّه عندك، فنشدناك اللّه أن تكون لنا، كما كان عرادة لبني نمير، فإنه تعرّض لجرير فهجاه فعمّهم فقال:

عرادة من بقيّة قوم لوط # ألا تبّا لما فعلوا تبابا

أ تدري من كان عندك آنفا؟قال: لا، قال: ابن مناذر، و ما تعرّض لأعراض قوم قطّ إلاّ هتكها و هتكهم، فإذا جاءك يسألك عن شيء فأجبه، و لا تعتلّ عليه بالبول، و لا تطلب منه شيئا، و كلّ ما أردت من جهته ففي مالي، قال: أفعل. قال: و كان أبو خيرة إذا سأله إنسان عن شيء و لم يعطه شيئا يعتلّ عليه بالبول. فما شعرنا من غد إلا بابن مناذر و قد أقبل، فعلمنا أنه قصد أبا خيرة، فأتيناه، فلما رأى جمعنا استحيا منّا، و سلّم علينا و تبسّم، ثم قال:

يا أبا خيرة، قد قلت شعرا، و قبيح بمثلي أن يسأل عنه فلا يدري ما فيه، و إنّي ذكرت فيه إنسانا فشبّهته بالأقّار، فأيّ شيء هو؟فاحمرّ وجه أبي خيرة و اضطرب، و قال: هو التّيس الوثّاب الذي ينزو و قضيبه رخو فلا يصل، فقال:

جزيت خيرا، و وثب و هو يضحك، فقمنا إليه و قلنا: قد علمنا أنّك عنيت هذا الشيخ، فإن رأيت أن تهبه لنا فافعل؛ فإنّه شيخنا، قال: و اللّه ما عنيت غيره، و قد وهبته لكم و كرامة، و اللّه لا يسمع مني أجد ما قلت فيه، و لا أذكره إلا بخير أبدا، و إن كان قد أساء العشرة أمس.

صوت

لا زلت تنشر أعيادا و تطويها # تمضي بها لك أيّام و تمضيها[4]

الشعر لأشجع السّلميّ، و الغناء لإبراهيم الموصليّ ثاني مطلق في مجرى البنصر، و فيه لمحمد قريض[5]لحن من الثقيل الأول، و هو من مشهور غنائه و مختاره.

[1]ف: «حديد» .

[2]في ف، بيروت: خفية.

[3]و في ب، س: «فقلت: آه يا أبا خيرة» .

[4]في ب: «تقضي بها لذ أيام.. » .

[5]ف: «قريص» .

17-نسب أشجع و أخباره

نسبه

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفيّ و الحسن بن عليّ قالا: حدثنا الحسن بن عليل العنزيّ، قال: حدثني عليّ بن الفضل[1]السّلميّ، قال:

كان أشجع بن عمرو السلميّ يكنى أبا الوليد من ولد الشّريد بن مطرود السلميّ، تزوج أبوه امرأة من أهل اليمامة، فشخص معها إلى بلدها فولدت له هناك أشجع، و نشأ باليمامة، ثم مات أبوه.

كان يعد من فحول الشعراء

فقدمت به أمّه البصرة تطلب ميراث أبيه، و كان له هناك مال فماتت بها، و ربّي أشجع و نشأ بالبصرة، فكان من لا يعرفه يدفع نسبه، ثم كبر و قال الشّعر و أجاد وعدّ في الفحول، و كان الشّعر يومئذ في ربيعة و اليمن، و لم يكن لقيس شاعر معدود، فلما نجم أشجع و قال الشّعر، افتخرت به قيس و أثبتت نسبه، و كان له أخوان: أحمد و حريث ابنا عمرو، و كان أحمد شاعرا و لم يكن يقارب أشجع، و لم يكن لحريث شعر، ثم خرج أشجع إلى الرّقّة و الرّشيد بها، فنزل على بني سليم فتقبّلوه و أكرموه، و مدح البرامكة، و انقطع إلى جعفر خاصّة و أصفاه مدحه، فأعجب به و وصله إلى الرشيد، و مدحه فأعجب به أيضا، فأثرى و حسنت حاله في أيّامه و تقدّم عنده.

شخص من البصرة إلى الرقة لينشد الرشيد قصيدته

أخبرني محمد بن عمران، قال: حدّثني العنزيّ، قال: حدّثني صخر بن أسد السّلميّ، قال: حدّثني أبي أسد/بن جديلة، قال: حدّثني أشجع السّلميّ قال:

شخصت من البصرة إلى الرّقّة، فوجدت الرّشيد غازيا، و نالتني خلّة، فخرجت حتى لقيته منصرفا من الغزو، و كنت قد اتّصلت ببعض أهل داره، فصاح صائح ببابه: من كان هاهنا من الشعراء فليحضر يوم الخميس، فحضرنا سبعة و أنا ثامنهم، و أمرنا بالبكور[2]في يوم الجمعة، فبكّرنا و أدخلنا، و قدّم واحد منا ينشد على الأسنان، و كنت /أحدث القوم سنّا، و أرثّهم[3]حالا، فما بلغ إليّ حتى كادت الصلاة أن تجب، فقدّمت و الرّشيد على كرسيّ، و أصحاب الأعمدة بين يديه سماطان[4].

خاف وجوب الصلاة فبدأ إنشاد الرشيد بما جاء في قصيدته من مدح

فقال لي: أنشدني، فخفت أن أبتدئ من أوّل قصيدتي بالتّشبيب فتجب الصلاة و يفوتني ما أردت، فتركت [1]في ف: المفضل.

[2]في ب: للبكور.

[3]في «المختار» : و أرقهم.

[4]سماط القوم: صفهم.

التّشبيب و أنشدته من موضع المديح في قصيدتي التي أوّلها: تذكّر عهد البيض و هو لها ترب # و أيّام يصبي الغانيات و لا يصبو

فابتدأت قولي في المديح:

إلى ملك يستغرق المال جوده # مكارمه نثر[1]و معروفه سكب

و ما زال هارون الرّضا بن محمّد # له من مياه النّصر مشربها العذب

متى تبلغ العيس المراسيل بابه # بنا فهناك الرّحب و المنزل الرّحب

لقد جمعت فيك الظّنون و لم يكن # بغيرك ظنّ يستريح له القلب[2]

جمعت ذوي الأهواء حتى كأنّهم # على منهج بعد افتراقهم ركب

بثثت[3]على الأعداء أبناء دربة # فلم يقهم منهم حصون و لا درب

و ما زلت ترميهم بهم متفرّدا # أنيساك حزم الرّأي و الصّارم العضب

جهدت فلم أبلغ علاك بمدحة # و ليس على من كان مجتهدا عتب

فضحك الرّشيد و قال لي: خفت أن يفوت وقت الصلاة فينقطع المديح عليك، فبدأت به و تركت التّشبيب، و أمرني بأن أنشده التّشبيب فأنشدته إيّاه، فأمر لكلّ واحد من الشّعراء بعشرة آلاف درهم و أمر لي بضعفها.

أنشد الرشيد قصيدته الميمية فاستحسنها و قال: هكذا تمدح الملوك

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ، قال: حدّثنا عمر بن شبّة، قال: حدّثني أحمد بن سيّار الجرجانيّ و كان راوية شاعرا مدّاحا ليزيد بن مزيد، قال: / دخلت أنا و أشجع و التّيميّ، و ابن رزين الخراسانيّ[4]على الرشيد في قصر له بالرقّة، و كان قد ضرب أعناق قوم في تلك الساعة، فجعلنا نتخلّل الدّماء حتى وصلنا إليه، فأنشده أبو محمد التّيميّ قصيدة له يذكر فيها نقفور[5]و وقعته ببلاد الرّوم، فنثر عليه مثل الدّرّ من جودة شعره، و أنشده أشجع قوله: قصر عليه تحيّة و سلام # ألقت عليه جمالها الأيّام

قصرت[6]سقوف المزن دون سقوفه # فيه لأعلام الهدى أعلام

تثني على أيّامك الأيّام # و الشاهدان الحلّ و الإحرام

[7]أدنتك من ظل النبي وصيّة # قرابة و شجت بها الأرحام

برقت سماؤك في العدو و أمطرت # هاما لها ظلّ السيوف غمام

و إذا سيوفك صافحت هام العدى # طارت لهن عن الرءوس الهام[7]

[1]في «المختار» : فينا.

[2]أ، ب، س:

«بغيرك ما ظن يستريح له قلب»

، و هو غير مستقيم الوزن.

[3]في ب، ما: بنيت.

[4]ف: «الخزاعي» .

[5]في ب: تغفور.

[6]في ف، بيروت: قصر.

(7-7) الأبيات الثلاثة من «مختار الأغاني» .

و على عدوّك يا ابن عمّ محمّد # رصدان ضوء الصّبح و الإظلام

فإذا تنبّه رعته و إذا غفا # سلّت عليه سيوفك الأحلام

/و أنشدته أنا قولي:

زمن بأعلى الرّقمتين قصير

حتى انتهيت إلى قولي:

لا تبعد الأيّام إذ ورق الصّبا # خضل و إذ غضّ الشباب[1]نضير

فاستحسن هذا البيت، و مضيت في القصيدة حتى أتممتها، فوجّه إليّ الفضل بن الربيع: أنفذ إليّ قصيدتك، فإني أريد أن أنشدها الجواري من استحسانه إيّاها.

/قال: و ركب الرشيد يوما قبّة و سعيد بن سالم[2]معه في القبّة، فقال: أين محمد البيذق؟و كان رجلا حسن الصّوت ينشد الشعر فيطرب بحسن صوته أشدّ من إطراب الغناء، فحضر، فقال: أنشدني قصيدة الجرجانيّ، فأنشده، فقال: الشّعر في ربيعة سائر اليوم، فقال له سعيد بن سالم: يا أمير المؤمنين، استنشده قصيدة أشجع بن عمرو، فأبى، فلم يزل به حتى أجاب إلى استماعها، فلما أنشده هذين البيتين: و على عدوّك يا ابن عمّ محمّد

و الذي بعده، قال له سعيد بن سالم[2]: و اللّه يا أمير المؤمنين، لو خرس بعد هذين لكان أشعر الناس.

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف، قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني أبي، قال: بلغني أنّ أشجع لمّا أنشد الرّشيد هذين البيتين: و على عدوّك يا ابن عمّ محمّد

و الذي بعده، طرب الرشيد، و كان متّكئا فاستوى جالسا، و قال: أحسن و اللّه، هكذا تمدح الملوك.

أخبرني أحمد بن إسحاق العسكريّ، و الحسن بن عليّ، قالا: حدثنا أحمد بن سعيد بن سالم الباهليّ، عن أبيه، قال: كنت عند الرّشيد، فدخل إليه أشجع، و منصور النّمريّ، فأنشده أشجع قوله: و على عدوّك يا ابن عمّ محمّد # رصدان ضوء الصّبح و الإظلام

فإذا تنبّه رعنه و إذا غفا[3] # سلّت عليه سيوفك الأحلام

فاستحسن ذلك الرّشيد، و أومأت إلى أشجع أن يقطع الشعر، و علمت أنّه لا يأتي/بمثلهما، فلم يفعل، و لمّا أنشده ما بعدهما فتر الرّشيد و ضرب بمحضرة كانت بيده الأرض، و استنشد منصورا النّمريّ، فأنشده قوله: ما تنقضي حسرة منّي و لا جزع # إذا ذكرت شبابا ليس يرتجع

[1]في ف: غصن.

[2]ف: «سلم» .

[3]في «الشعر و الشعراء» لابن قتيبة 2-882 ط. المعارف: ... و إذا هدى.

فمرّ و اللّه في قصيدة قلّ ما تقول العرب مثلها، فجعل الرشيد يضرب بمخصرته الأرض و يقول: الشّعر في ربيعة سائر اليوم، فلما خرجنا قلت لأشجع: غمزتك أن تقطع فلم تفعل، ويلك!و لم تأت بشيء، فهلاّ متّ بعد البيتين أو خرست، فكنت تكون أشعر الناس.

اشترى جعفر بن يحيى ضيعة وردها على أصحابها فمدحه

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ، قال: حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزّيّات قال: حدّثني موسى بن عيسى، قال: اشترى جعفر بن يحيى المرغاب[1]من آل الرشيد[2]بعشرين ألف ألف درهم، و ردّه على أصحابه، فقال أشجع السّلميّ يمدحه بذلك و يقول: ردّ السّباخ ندى يديه و أهلها # منها بمنزلة السّماك الأعزل

قد أيقنوا بذهابها و هلاكهم # و الدّهر يوعدهم بيوم أعضل[3]

فافتكّها لهم و هم من دهرهم # بين الجران و بين حدّ الكلكل

ما كان يرجى غيره لفكاكها # يرجى الكريم لكل خطب معضل

أنشد جعفر بن يحيى مديحا له لوقته على وزن قصيدة لحميد بن ثور و قافيتها

/أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال: حدثني أحمد بن محمد حرّان[4]، عن قدامة بن نوح، قال: جلس جعفر بن يحيى بالصالحيّة يشرب على مستشرف له، فجاءه/أعرابيّ من بني هلال، فاشتكى و استماح بكلام فصيح و لفظ مثله يعطف المسئول[5]، فقال له جعفر بن يحيى: أ تقول الشعر يا هلاليّ؟فقال: قد كنت أقوله و أنا حدث أتملّح به، ثم تركته لمّا صرت شيخا، قال: فأنشدنا لشاعركم حميد بن ثور، فأنشده قوله: لمن الدّيار بجانب الحمس # كمحطّ ذي الحاجات بالنّفس

حتى أتى على آخرها، فاندفع أشجع، فأنشده مديحا له فيه قاله لوقته على وزنها و قافيتها، فقال: ذهبت مكارم جعفر و فعاله # في النّاس مثل مذاهب الشمس

ملك تسوس له المعالي نفسه # و العقل خير سياسة النّفس

فإذا تراءته الملوك تراجعوا # جهر الكلام بمنطق همس

ساد البرامك جعفر و هم الألى # بعد الخلائف سادة الإنس

ما ضرّ من قصد ابن يحيى راغبا # بالسّعد حلّ به أم النّحس

[1]المرغاب: ضيعة.

[2]ف: «من الرشيد» .

[3]في ف، بيروت: أعصل.

[4]ف: «أحمد بن محمد بن حدان» .

[5]ف: «فشكى و استماح بلفظ لطيف فصيح، و كلام مثله يعطف المسئول» .

طلب منه جعفر وصف مكانه شعرا فقال و أجاد

فقال له جعفر: صف موضعنا هذا، فقال:

قصور الصالحيّة كالعذارى # لبسن ثيابهنّ ليوم عرس

مطلاّت على بطن كسته # أيادي الماء وشيا نسج غرس

إذا ما الطّلّ أثّر في ثراء # تنفّس نوره من غير نفس

فتغبقه السّماء بصبغ ورس # و تصبحه بأكؤس عين شمس[1]

/فقال جعفر للأعرابي: كيف ترى صاحبنا يا هلاليّ؟فقال: أرى خاطره طوع لسانه، و بيان الناس تحت بيانه، و قد جعلت له ما تصلني به، قال: بل نقرّك[2]يا أعرابيّ و نرضيه، و أمر للأعرابيّ بمائة دينار و لأشجع بمائتين.

أنس بن أبي شيخ يعجب بشعره و يقدمه إلى جعفر بن يحيى

أخبرني عمّي قال؛ حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد، قال: حدّثني أبو عامة، قال: حدّثني أشجع السّلميّ، قال: كنت ذات يوم في مجلس بعض إخواني أتحدّث و أنشد، إذ دخل عليهم أنس بن أبي شيخ النّصريّ صاحب جعفر بن يحيى، فقام له جميع القوم غيري، و لم أعرفه فأقوم له، فنظر إليّ و قال: من هذا الرّجل؟قالوا: أشجع السّلميّ الشّاعر، قال: أنشدني بعض قولك، فأنشدته. فقال: إنّك لشاعر، فما يمنعك من جعفر بن يحيى؟فقلت: و من لي بجعفر بن يحيى؟فقال: أنا، فقل أبياتا و لا تطل فإنه يملّ الإطالة، فقلت: لست بصاحب إطالة، فقلت أبياتا على نحو ما رسم لي، و صرت إلى أنس فقال: تقدّمني إلى الباب، فتقدّمت، فلم يلبث أن جاء فدخل، و خرج أبو رمح الهمذانيّ حاجب[3]جعفر بن يحيى، فقال أشجع: فقمت، فقال: ادخل، فدخلت، فاستنشدني فأنشدته أقول: و ترى الملوك إذا رأيتهم # كلّ بعيد الصّوت و الجرس

فإذا بدا لهم ابن يحيى جعفر # رجعوا الكلام بمنطق همس

ذهبت مكارم جعفر و فعاله # في النّاس مثل مذاهب الشّمس

/قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم، قال: و كان أشجع يحبّ الثّياب، و كان يكتري الخلعة كل يوم بدرهمين، فيلبسها أياما، ثم يكتري غيرها، فيفعل بها مثل ذلك، /قال: فابتعت أثوابا كثيرة بباب الكرخ، فكسوت عيالي و عيال إخوتي حتى أنفقتها.

الفضل بن يحيى يهب له ضعف ما وهبه إياه جعفر

ثم لقيت المبارك مؤدّب الفضل بن يحيى بعد أيام، فقال لي: أنشدني ما قلته في جعفر، فأنشدته، فقال: [1]في ما:

«فتغبقه بصبغ لون ورس»

. و في ف، بيروت: «و تصبحه بكأس عين شمس» . و في «اللسان» : غبقه يغبقه غبقا: سقاء غبوقا؛ و هو الشرب بالعشي. و صبحه يصبحه: سقاه صبوحا. و الصبوح: ما أصبح عندهم من شرابهم.

[2]في مد، ما: نصلك. و في «المختار» : نبرك. و في ب: نقدك.

[3]في ب، س: أبو زنج الهمذاني صاحب جعفر.

ما يمنعك من الفضل؟فقلت: و من لي بالفضل؟فقال: أنا لك به، فأدخلني عليه، فأنشدته: و ما قدّم الفضل بن يحيى مكانه # على غيره بل قدّمته المكارم

لقد أرهب الأعداء حتى كأنما # على كل ثغر بالمنيّة قائم

فقال لي: كم أعطاك جعفر؟فقلت: عشرة آلاف درهم، فقال: أعطوه عشرين ألفا.

جعفر بن يحيى يجري عليه في كل جمعة مائة دينار

أخبرني علي بن صالح، قال: حدّثني أحمد بن أبي فنن، قال: حدثني داود بن مهلهل، قال: لما خرج جعفر بن يحيى ليصلح أمر الشام، نزل في مضربه، و أمر بإطعام الناس، فقام أشجع فأنشده قوله: فئتان باغية و طاغية # جلّت أمورهما عن الخطب

قد جاءكم بالخيل شازبة[1] # ينقلن نحوكم رحى الحرب

لم يبق إلا أن تدور بكم # قد قام هاديها على القطب

قال: فأمر له بصلة ليست بالسّنيّة، و قال له: دائم القليل خير من منقطع الكثير، فقال له: و نزره[2]أكثر من جزيل غيره، فأمر له بمثلها، قال: و كان يجري عليه في كلّ جمعة مائة دينار مدة مقامه ببابه.

إسحاق الموصلي ينشد له قصيدة في الخمر أمام الرشيد و جعفر بن يحيى

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهر المبرّد، قال: حدثني الفضل بن محمد اليزيديّ، قال: حدثنا إسحاق الموصليّ، قال: دخلت إلى الرّشيد يوما، و هو يخاطب جعفر بن يحيى بشيء لم أسمع ابتداءه، و قد علا صوته، فلما رآني مقبلا قال لجعفر بن يحيى: أ ترضى بإسحاق؟قال جعفر: و اللّه ما في علمه مطعن إن أنصف، فقال لي: أيّ شيء تروي للشعراء المحدثين[3]في الخمر؟أنشدني من أفضل ما عندك و أشدّه تقدّما، فعلمت أنهما كانا يتماريان في تقديم أبي نواس، فعدلت عنه إلى غيره؛ لئلا أخالف أحدهما، فقلت: لقد أحسن أشجع في قوله: و قد طعنت الليل في أعجازه # بالكأس بين غطارف كالأنجم[4]

يتمايلون على النعيم كأنّهم # قضب من الهنديّ لم تتثلّم

و سعى بها الظّبي العزير يزيدها # طيبا و يغشمها إذا لم تغشم[5]

و الليل منتقب بفضل ردائه # قد كاد يحسر عن أغرّ أرثم[6]

فإذا أدارتها الأكفّ رأيتها # تثني الفصيح إلى لسان الأعجم

و على بنان مديرها عقيانة # من سكبها و على فضول المعصم

[1]في ب، س: شارية. و في «المختار» : شازية. و في ما: شاربة. و ما أثبتناه من ف. و المعنى: ضامرة يابسة.

[2]في س: و نزر الوزير.

[3]في ب، س: «أي شيء تروي الشعراء المحدثون في الخمر» .

[4]الغطارف: السادة الأشراف.

[5]تغشم: تظلم.

[6]الأرثم من الخيل: ما كان في طرف أنفه بياض أو كان أبيض الشفة العليا.

تغلي إذا ما الشّعريان تلظّيا # صيفا و تسكن في طلوع المرزم[1]

و لقد فضضناها بخاتم ربّها # بكرا و ليس البكر مثل الأيّم

و لها سكون في الإناء و خلفها # شغب يطوّح بالكميّ المعلم

/تعطى على الظّلم الفتى بقيادها # قسرا و تظلمه إذا لم يظلم

الرشيد يفضل أبا نواس عليه في وصف الخمر

فقال لي الرّشيد: قد عرفت تعصّبك على أبي نواس، و إنك عدلت عنه متعمدا، و لقد أحسن أشجع، و لكنه لا يقول أبدا مثل قول أبي نواس: يا شقيق النّفس من حكم # نمت عن ليلي و لم أنم

فقلت له: ما علمت ما كنت فيه يا أمير المؤمنين، و إنما أنشدت ما حضرني، فقال: حسبك قد سمعت الجواب.

قال الفضل: و كان في إسحاق تعصّب على أبي نواس لشيء جرى بينهما.

الواثق يطرب لشعر أشجع و يستعيده

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، قال: اصطبح[2]الواثق في يوم مطير، و اتصل شربه و شربنا معه حتى سقطنا لجنوبنا صرعى، و هو معنا على حالنا، فما حرّك أحد منا عن مضجعه، و خدم الخاصة يطوفون علينا و يتفقدوننا، و بذلك أمرهم، و قال: لا تحرّكوا أحدا عن موضعه، فكان هو أول من أفاق منا، فقام و أمر بإنباهنا فأنبهنا فقمنا فتوضأنا و أصلحنا من شأننا، و جئت إليه و هو جالس و في يده كأس، و هو يروم شربها، و الخمار يمنعه، فقال لي: يا إسحاق، أنشدني في هذا المعنى شيئا، فأنشدته قول أشجع السّلميّ: و لقد طعنت الليل في أعجازه # بالكأس بين غطارف كالأنجم

يتمايلون عن النّعيم كأنّهم # قضب من الهنديّ لم تتثلّم

و سعى بها الظّبي الغرير يزيدها # طيبا و يغشمها إذا لم تغشم

و الليل منتقب بفضل ردائه # قد كاد يحسر عن أغرّ أرثم

و إذا أدارتها الأكفّ رأيتها # تثني الفصيح إلى لسان الأعجم

/و على بنان مديرها عقيانة # من لونها[3]و على فضول المعصم

تغلي إذا ما الشّعريان تلظّيا # صيفا و تسكن في طلوع المرزم

و لقد فضضناها بخاتم ربّها # بكرا و ليس البكر مثل الأيّم

و لها سكون في الإناء و خلفها # شغب يطوّح بالكميّ المعلم

[1]الشعريان و المرزم: نجوم.

[2]في ب، س: أصبح.

[3]في «المختار» : من سكبها. ـ

تعطي على الظّلم الفتى بقيادها # قسرا و تظلمه إذا لم يظلم

فطرب و قال: أحسن و اللّه أشجع، و أحسنت يا أبا محمد، أعد بحياتي، فأعدتها و شرب كأسه، و أمر لي بألف دينار.

عزّى الفضل بن الربيع في ابنه العباس فأحسن العزاء و قال شعرا يرثيه

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثنا أبو هفّان، قال:

ذكر أبو دعامة أنّ أشجع دخل على الفضل بن الرّبيع، و قد توفّي ابنه العباس و الناس يعزّونه، فعزّاه فأحسن، ثم استأذنه في إنشاد مرثية قالها فيه، فأذن له فأنشده: لا تبكينّ بعين غير جائدة # و كلّ ذي حزن يبكي كما يجد

أيّ امرئ كان عباس لنائبة # إذا تقنّع دون الوالد الولد

لم يدنه طمع من دار مخزية # و لم يعزّ له من نعمة بلد

قد كنت ذا جلد في كلّ نائبة # فبان منّي عليك الصبر و الجلد

لمّا تسامت بك الآمال و ابتهجت # بك المروءة و اعتدّت بك العدد

/و لم يكن لفتى في نفسه أمل # إلا إليك به من أرضه يفد

و حين جئت أمام السّابقين و لم # يبلل عذارك ميدان و لا أمد

وافاك يوم على نكراء مشتمل # لم ينج من مثله عاد و لا لبد

فما تكشّف إلا عن مولولة # حرّى و مكتئب أحشاؤه تقد

/قال: فبكى الفضل و بكى الناس معه، و ما انصرفوا يومئذ يتذاكرون غير أبيات أشجع.

عزّى الرشيد في ابن له فأحسن و أمر بصلته

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، قال: حدثنا الحسن بن محمد بن طالب الدّيناري، قال: حدّثني عليّ بن الجهم، قال: دخل أشجع على الرّشيد و قد مات ابن له، و الناس يعزّونه فأنشده قوله: نقص من الدّين و من أهله # نقص المنايا من بني هاشم

قدّمته-فاصبر على فقده- # إلى أبيه و أبي القاسم

فقال الرّشيد: ما عزّاني اليوم أحد أحسن من تعزية أشجع، و أمر له بصلة.

أذن له جعفر بن يحيى بالوصول إليه وحده دون سائر الناس

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا العنزيّ، قال: حدثني عبد الرّحمن بن النّعمان السّلميّ قال: كنّا بباب جعفر بن يحيى و هو عليل، فقال لنا الحاجب: إنه إذن عليه، فكتب إليه أشجع: لمّا اشتكى جعفر بن يحيى # فارقني النّوم و القرار

و مرّ عيشي عليّ حتّى # كأنّما طعمه المرار

خوفا على جعفر بن يحيى # لا حقّق الخوف و الحذار

إن يعفه اللّه لا نحاذر # ما أحدث الليل و النهار

قال: فأوصل الحاجب رقعته، ثم خرج فأمره بالوصول وحده، و انصرف سائر النّاس.

الرشيد يأمر بتعجيل صلته له

أخبرني الحسن قال: حدثنا العنزيّ، قال: حدّثني محمد بن الحسين، عن عمرو بن عليّ: أنّ أشجع السّلميّ كتب إلى الرشيد و قد أبطأ عنه شيء أمر له به: /

أبلغ أمير المؤمنين رسالة # لها عنق[1]بين الرّواة فسيح

بأنّ لسان الشعر ينطقه النّدى # و يخرسه الإبطاء و هو فصيح

فضحك الرشيد و قال له: لن يخرس لسان شعرك، و أمر بتعجيل صلته.

مدح محمد بن منصور بشعر كان أحب مدائحه إليه

أخبرني الحسن، و محمد بن يحيى الصّوليّ، قالا: حدثنا العنزيّ، قال: حدثني أحمد بن محمد بن منصور بن زياد، و كان يقال لأبيه فتى العسكر، قال: أقبل أشجع إلى باب أبي، فرأى ازدحام الناس عليه، فقال: على باب ابن منصور # علامات من البذل

جماعات و حسب البا # ب[2]نبلا كثرة الأهل

فبلغ أبي بيتاه هذان، فقال: هما و اللّه أحبّ مدائحه إليّ.

هنأ جعفر بن يحيى بولاية خراسان

أخبرني عمّي، و الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا الفضل بن محمد اليزيديّ، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ، قال: لما ولّى الرشيد جعفر بن يحيى خراسان جلس للناس فدخلوا عليه يهنّئونه ثم دخل الشعراء فأنشدوه؛ فقام أشجع آخرهم، فاستأذن في الإنشاد فأذن له، فأنشده قوله: أتصبر للبين أم تجزع # فإنّ الدّيار غدا بلقع[3]

/غدا يتفرّق أهل الهوى # و يكثر باك و مسترجع

حتى انتهى إلى قوله:

و دويّة[4]بين أقطارها # مقاطيع أرضين لا تقطع

[1]العنق: السير السريع.

[2]في ف: و حسب الدار.

[3]البلقع: الأرض القفر التي لا شيء بها.

[4]الدوية: الصحراء الواسعة.

تجاوزتها فوق عيرانة[1] # من الريح في سيرها أسرع

إلى جعفر نزعت رغبة # و أيّ فتى نحوه تنزع

فما دونه لامرئ مطمع # و لا لامرئ غيره مقنع[2]

و لا يرفع الناس من حطّه # و لا يضعون الذي يرفع

يريد الملوك مدى جعفر # و لا يصنعون كما يصنع

و ليس بأوسعهم في الغنى # و لكنّ معروفه أوسع

تلوذ الملوك بآرائه[3] # إذا نالها الحدث الأفظع

بديهته مثل تدبيره # متى رمته[4]فهو مستجمع

و كم قائل إذ رأى ثروتي[5] # و ما في فضول الغنى أصنع: غدا في ظلال ندى جعفر # يجرّ ثياب الغنى أشجع

فقل لخراسان تحيا فقد # أتاها ابن يحيى الفتى الأروع

فأقبل عليه جعفر بن يحيى ضاحكا، و استحسن شعره، و جعل يخاطبه مخاطبة الأخ أخاه، ثم أمر له بألف دينار.

يهوّن على جعفر بن يحيى عزله عن خراسان

قال: ثم بدا للرّشيد في ذلك التّدبير، فعزل جعفرا عن خراسان بعد أن أعطاه العهد و الكتب، و عقد له العقد و أمر و نهى، فوجم لذلك جعفر، فدخل عليه أشجع فأنشده يقول: أمست خراسان تعزّى بما # أخطأها من جعفر المرتجى

/كان الرّشيد المعتلى أمره # ولّى عليها المشرق الأبلجا[6]

ثم أراه رأيه أنّه # أمسى إليه منهم أحوجا

فكم به الرّحمن[7]من كربة # في مدّة تقصر قد فرّجا

فضحك جعفر ثم قال: لقد هوّنت عليّ العزل، و قمت لأمير المؤمنين بالعذر، فسلني ما شئت، فقال: قد كفاني جودك ذلّة السؤال، فأمر له بألف دينار آخر.

يمدح محمد الأمين و هو ابن أربع سنين

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد، عن أبي دعامة، عن أشجع، قال: [1]العيرانة: الناقة النشيطة. و في ب، ما: «ريحانة» .

[2]في «الشعر و الشعراء» لابن قتيبة 2-883: و ما خلفه لامرئ مطمع # و لا دونه لامرئ مقنع

[3]في ب، ما: «بأبوابه» .

[4]في «الشعر و الشعراء» لابن قتيبة 2/883: «متى هجته»

.

[5]في «الشعر و الشعراء» لابن قتيبة 2/883: «و كم قائل إذ رأى بهجتي»

.

[6]في ب، ما:

«ولى عليه»

. و في ف:

«ولى على مشرقها»

. و في «التجريد» :

«ولى على مشرقه»

.

[7]في «المختار» :

«فكم فك به الرحمن من كربة»

و لا يستقيم الوزن.

دخلت على محمد الأمين حين أجلس مجلس الأدب للتّعليم، و هو ابن أربع سنين، و كان يجلس فيه ساعة ثم يقوم فأنشدته: ملك أبوه و أمّه من نبعة # منها سراج الأمّة الوهّاج

شربت بمكة في ربا بطحائها # ماء النّبوّة ليس فيه مزاج

يعني النّبعة. قال: فأمرت له زبيدة بمائة ألف درهم، قال: و لم يملك الخلافة أحد أبوه و أمّه من بني هاشم إلا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات اللّه عليه، و محمد بن زبيدة[1].

يمدح إبراهيم بن عثمان بن نهيك

أخبرني الحسن بن عليّ، و محمد بن يحيى الصوليّ، قالا: حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ، /قال: حدثنا المهزميّ، قال: لما ولي إبراهيم بن عثمان بن نهيك الشرطة، دخل عليه أشجع، فأنشده قوله فيه: /

لمن المنازل مثل ظهر الأرقم # قدمت و عهد أنيسها لم يقدم

فتكت بها سنتان تعتورانها # بالمعصفات[2]و كلّ أسحم مرزم[3]

دمن إذا استثبتّ عينك عهدها # كرّت إليك بنظرة المتوهّم

و لقد طعنت الليل في أعجازه # بالكأس بين غطارف كالأنجم

يتمايلون على النّعيم كأنّهم # قضب من الهنديّ لم تتثلّم

و اللّيل مشتمل بفضل ردائه # قد كاد يحسر عن أغرّ أرثم[4]

لبني نهيك طاعة لو أنها # زحمت بهضب متالع لم تكلم

قوم إذا غمزوا قناة عدوّهم # حطموا جوانبها ببأس محطم

في سيف إبراهيم خوف واقع # لذوي النّفاق و فيه أمن المسلم

و يبيت يكلأ-و العيون هواجع- # مال المضيع و مهجة المستسلم[5]

ليل يواصله بضوء نهاره # يقظان ليس يذوق نوم النّوّم

شدّ الخطام بأنف كلّ مخالف # حتى استقام له الذي لم يخطم

لا يصلح السّلطان إلا شدّة # تغشى البريء بفضل ذنب المجرم

منعت مهابتك النفوس حديثها # بالشيء[6]تكرهه و إن لم تعلم

و نهجت في سبل السّياسة مسلكا # ففهمت مذهبها الذي لم يفهم

[1] «التجريد» : محمد بن الرشيد.

[2]ف: «بالمعضلات» .

[3]المرزم: المصوت.

[4]الأغر: الأبيض، و الأرثم: الفرس في طرف أنفه بياض.

[5]لم يرد هذا البيت في ف. و المضيع: من كثرت ضياعه، و هو موجود في باقي النسخ، و في «الشعر و الشعراء» لابن قتيبة 2/884.

[6]في «الشعر و الشعراء» : «بالأمر تكرهه» .

فوصله و حمله و خلع عليه.

يراجع جعفر بن يحيى في تقليل عطائه فيزيده

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ، قال: حدثنا الغلابيّ قال: حدثنا مهديّ بن سابق، قال: أعطى جعفر بن يحيى مروان بن أبي حفصة-و قد مدحه- ثلاثين ألف درهم، و أعطى أبا البصير عشرين ألفا، و أعطى أشجع-و قد أنشده معهما-ثلاثة آلاف درهم، و كان ذلك في أول اتصاله به، فكتب إليه أشجع يقول: أعطيت مروان الثّلا # ثين التي دلّت رعاته[1]

و أبا البصير و إنما # أعطيتني منهم ثلاثة

ما خانني حوك القري[2] # ض و لا اتّهمت سوى الحداثه

فأمر له بعشرين ألف درهم أخرى.

العباس بن محمد ينشد الرشيد شعرا لأشجع و يدعيه لنفسه

حدثني عليّ بن صالح بن الهيثم الأنباريّ، قال: حدثني أبو هفان، قال: حدثني سعيد بن هريم و أبو دعامة، قالا: كان انقطاع أشجع إلى العباس بن محمد بن عليّ بن عبد اللّه بن العباس، فقال الرّشيد للعباس يوما: يا عمّ، إن الشّعراء قد أكثروا في مدح محمد بسببي و بسبب أمّ جعفر، و لم يقل أحد منهم في المأمون شيئا، و أنا أحبّ أن أقع على شاعر فطن ذكيّ يقول فيه، فذكر العبّاس ذلك لأشجع، و أمره أن يقول فيه، فقال: بيعة المأمون آخذة # بعنان الحقّ في أفقه

/أحكمت مرّاتها[3]عقدا # تمنع المختال في نفقه

لن يفكّ المرء ربقتها # أو يفكّ الدّين من عنقه

/و له من وجه والده # صورة تمّت و من خلقه

قال: فأتى بها العبّاس الرّشيد، و أنشده إيّاها فاستحسنها و سأله: لمن هي؟فقال: هي لي، فقال: قد سررتني مرّتين: بإصابتك ما في نفسي، و بأنها لك، و ما كان لك فهو لي، و أمر له بثلاثين ألف دينار، فدفع إلى أشجع منها خمسة آلاف درهم، و أخذ باقيها لنفسه.

يستعجل عطاء يحيى بن خالد ثم يمدحه

أخبرني عمّي، قال: حدثنا عبد اللّه بن أبي سعد، قال: حدثنا محمد بن عبد اللّه بن مالك الخزاعيّ، قال: وعد يحيى بن خالد أشجع السّلميّ وعدا، فأخّره عنه، فقال له قوله: رأيتك لا تستلذّ المطال # و توفي إذا غدر الخائن

[1]الرعاث جمع رعثة، و هي عثنون الديك، و يريد بتدلي رعاثه أنه تكبّر و زها.

[2]ف: «حوز القريض» .

[3]المرات جمع مرة، و هي طاقة الحبل. و في ما: «مرانها» .

فما ذا تؤخّر من حاجتي # و أنت لتعجيلها ضامن!

أ لم تر أنّ احتباس النّوال # لمعروف صاحبه شائن!

فلم يتعجّل ما أراد، فكتب إليه:

رويدك إنّ عزّ الفقر أدنى # إليّ من الثّراء مع الهوان

و ما ذا تبلغ الأيّام منّي # بريب صروفها و معي لساني

فبلغ قوله جعفرا فقال له: ويلك يا أشجع!هذا تهدّد فلا تعد لمثله، ثم كلّم أباه فقضى حاجته، فقال: كفاني صروف الدّهر يحيى بن خالد # فأصبحت لا أرتاع للحدثان

كفاني-كفاه اللّه كلّ ملمّة- # طلاب فلان مرّة و فلان

فأصبحت في رغد من العيش واسع # أقلّب فيه ناظري و لساني

جعفر بن يحيى يوليه عملا ثم يصرفه عنه

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفيّ، قال: حدّثنا العنزيّ عن ابن النّطّاح، قال: /ولّى جعفر بن يحيى أشجع عملا، فرفع إليه أهله رفائع[1]كثيرة، و تظلّموا منه و شكوه، فصرفه جعفر عنهم، فلما رجع إليه من عمله مثل بين يديه، ثم أنشأ يقول: أ مفسدة سعاد عليّ ديني # و لائمتي على طول الحنين

و ما تدري سعاد إذا تخلّت # من الأشجان كيف أخو الشّجون

تنام و لا أنام لطول حزني # و أين أخو السّرور من الحزين!

لقد راعتك عند قطين سعدى # رواحل غاديات بالقطين[2]

كأنّ دموع عيني يوم بانوا # عيانا سحّ مطّرد معين[3]

لقد هزّت سنان القول منّي # رجال رفيعة لم يعرفوني

هم جازوا حجابك يا ابن يحيى # فقالوا بالذي يهوون دوني

أطافوا بي لديك و غبت عنهم # و لو أدنيتني لتجنّبوني

و قد شهدت عيونهم فمالت # عليّ و غيّبت عنهم عيوني

و لمّا أن كتبت بما أرادوا # تدرّع[4]كلّ ذي غمز دفين

/كففت عن المقاتل باديات # و قد هيّأت صخرة منجنون[5]

و لو أرسلتها دمغت رجالا # و صالت في الأخشّة و الشّئون[6]

[1]الرفائع: جمع رفيعة؛ و هي القصة المرفوعة إلى الحاكم.

[2]القطين: الخدم و الحاشية.

[3]في ف: «غياث سح مطرد معين» .

[4]في ب: «تردع» .

[5]المنجنون: الدولاب يستقى عليها.

[6]الأخشة جمع خشاش، و هو العود يجعل في عظم أنف البعير، و الشئون جمع شأن، و هو عرق الدمع.

و كنت إذا هززت حسام قول # قطعت بحجّتي علق[1]الوتين

لعلّ الدهر يطلق من لساني # لهم يوما و يبسط من يميني

فأقضي دينهم بوفاء قول # و أثقلهم لصدقي بالديون

و قد علموا جميعا أنّ قولي # قريب حين أدعوه يجيني

و كنت إذا هجوت رئيس قوم # و سمت على الذّؤابة و الجبين

بخطّ مثل حرق النّار باق # يلوح على الحواجب و العيون

أ مائلة بودّك يا ابن يحيى # رجالات ذوو ضغن كمين

يشيمون السّيوف[2]إذا رأوني # فإن ولّيت سلّت من جفون

و لو كشفت سرائرنا جميعا # علمت من البريء من الظّنين[3]

علام-و أنت تعلم نصح جنبي # و أخذي منك بالسّبب المتين

و عسفي كلّ مهمهة خلاء # إليك بكل يعملة أمون[4]

و إحيائي الدّجى لك بالقوافي # أقيم صدورهنّ على المتون-

تقرّب منك أعدائي و أنأى # و يجلس مجلسي من لا يليني!

و لو عاتبت نفسك في مكاني[5] # إذا لنزلت عندك باليمين

و لكنّ الشّكوك نأين عنّي # بودّك، و المصير إلى اليقين

فإن أنصفتني أحرقت منهم # بنضج الكيّ أثباج[6]البطون

أول ما نجم به أشجع اتصاله بجعفر بن المنصور

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ و الحسن بن عليّ، قالا: حدثنا العنزيّ، قال: حدثنا عليّ بن الفضل السّلميّ، قال: أوّل ما نجم به أشجع أنّه اتّصل بجعفر بن المنصور و هو حدث، وصله به أحمد بن يزيد السّلميّ و ابنه عوف، فقال أشجع في جعفر بن المنصور قوله: اذكروا حرمة العواتك منّا # يا بني هاشم بن عبد مناف

قد ولدناكم ثلاث ولادا # ت خلطن الأشراف بالأشراف

مهّدت هاشما نجوم قصيّ # و بنو فالح حجور عفاف

إنّ أرماح بهثة بن سليم[7] # لعجاف الأطراف غير عجاف

[1]العلق: الحبل. و في ف: «عرق» .

[2]يشيمون السيوف: يدخلونها في أغمادها.

[3]الظنين: المتهم.

[4]اليعملة: الناقة النجيبة المطبوعة على العمل. الأمون: الموفقة الخلق المأمونة الكلال.

[5]ف: «من فؤادي» .

[6]الأثباج: جمع ثبج، و هو الوسط من كل شيء.

[7]كذا في «القاموس» (بهث) . و في ف، «المختار» : «بهشة» . و في ب، ما: «بهمة من سليم» .

و لأسيافهم فرى غير لذّ # راجع في مراجع الأكتاف

معشر يطعمون من ذروة الشّو # ل و يسقون خمرة الأقحاف[1]

يضربون الجبّار في أخدعيه # و يسقونه نقيع الذّعاف[2]

فشاع شعره و بلغ البصرة، و لم يزل أمره يتراقى إلى أن وصلته زبيدة بعد وفاة أبيها بزوجها هارون الرشيد، فأسنى جوائزه، و ألحقه بالطّبقة العليا من الشّعراء.

الفضل بن الربيع يصله بالرشيد فيمدحه ثم يمدح الفضل

أخبرني عمّي، قال: حدّثني أحمد بن المرزبان، قال: حدّثني شيبة بن أحمد بن هشام، قال: حدّثني أحمد/بن العباس الرّبيعيّ: أن الذي أوصل أشجع السّلميّ إلى الرّشيد جدّه الفضل بن الربيع، و أنه أوصله له و قال له: هو أشعر شعراء اهل هذا الزّمان، و قد اقتطعته عنك البرامكة، فأمره بإحضاره و إيصاله مع الشعراء ففعل، فلمّا وصل إليه أنشده قوله: /

قصر عليه تحيّة و سلام # نثرت عليه جمالها الأيّام

فيه اجتلى الدّنيا الخليفة و التقت # للملك فيه سلامة و سلام

قصر سقوف المزن دون سقوفه # فيه لأعلام الهدى أعلام

نشرت عليه الأرض كسوتها التي # نسج الرّبيع و زخرف الإرهام[3]

أنتك من ظلّ النّبيّ وصيّة # و قرابة و شجت بها الأرحام

برقت سماؤك في العدوّ و أمطرت # هاما لها ظلّ السّيوف غمام

و إذا سيوفك صافحت هام العدا # طارت لهنّ عن الرءوس الهام

أثنى على أيّامك الأيّام # و الشّاهدان: الحلّ و الإحرام

و على عدوّك يا ابن عمّ محمّد # رصدان: ضوء الصّبح و الإظلام

فإذا تنبّه رعته، و إذا غفا # سلّت عليه سيوفك الأحلام

قال: فاستحسنها الرّشيد، و أمر له بعشرين ألف درهم، فمدح الفضل بن الرّبيع، و شكر له إيصاله إيّاه إلى الرشيد، فقال فيه قصيدته الّتي أوّلها: غلب الرّقاد على جفون المسهد # و غرقت في سهر و ليل سرمد

قد جدّ بي سهر فلم أرقد له # و النّوم يلعب في جفون الرّقّد

و لطالما سهرت لحبّي أعين # أهدى السّهاد لها و لمّا أسهد

أيّام أرعى في رياض بطالة # ورد الصّبا منها الذي لم يورد

لهو يساعده الشّباب و لم أجد # بعد الشّبيبة في الهوى من مسعد[4]

[1]الشول: الناقة. و الأقحاف جمع قحف و هو إناء من خشب مثل قحف الرأس كأنه نصف قدح. و في ب: «خمرة الإتحاف» .

[2]الأخدعان: عرقان في صفحتي العنق قد خفيا و بطنا. و الذعاف: السم.

[3]أرهمت السماء: أتت بالرهمة، و هي المطر الضعيف.

[4]أسعده: أعانه فهو مسعد.

و خفيفة الأحشاء غير خفيفة # مجدولة جدل العنان الأجرد

/غضبت على أعطافها أردافها # فالحرب بين إزارها و المجسد[1]

خالفت فيه عاذلا لي ناصحا # فرشدت حين عصيت قول المرشد

أ أقيم محتملا لضيم حوادث # مع همّة موصولة بالفرقد

و أرى مخايل ليس يخلف نوؤها # للفضل إن رعدت و إن لم ترعد

للفضل أموال أطاف بها النّدى # حتى جهدن وجوده لم يجهد

يا ابن الرّبيع حسرت شكري بالتي # أوليتني في عود أمرك و البدي[2]

أوصلتني و رفدتني و كلاهما # شرف فقأت به عيون الحسّد

و وصفتني عند الخليفة غائبا # و أذنت لي فشهدت أفخر مشهد[3]

و كفيتني[4]منن الرّجال بنائل # أغنى يدي عن أن تمدّ إلى يد

يسأل جعفر بن يحيى ابتياع غلام جميل فيجيبه

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ، قال: حدّثنا العنزيّ، قال: حدثني صخر بن أحمد السلميّ، /عن أبيه، قال: كنت أنا و أشجع بالرّقّة جلوسا، فمرّ بنا غلام أمرد روميّ جميل الوجه، فكلّمه أشجع و سأله هل يبيعه مالكه؟ فقال: نعم، فقال أشجع يمدح جعفر بن يحيى، و سأله ابتياعه له فقال: و مضطرب الوشاح لمقلتيه # علائق ما لوصلتها انقطاع

تعرّض لي بنظرة ذي دلال # يريع[5]بمقلتيه و لا يراع

لحاظ ليس تحجب عن قلوب # و أمر في الذي يهوى مطاع

و وسعي ضيّق عنه و مالي # و ضيق الأمر يتبعه اتّساع

و تعويلي على مال ابن يحيى # إليه حرّ شوقي و النّزاع

وثقت بجعفر في كلّ خطب # فلا هلك يخاف و لا ضياع

/فأمر له بخمسة آلاف درهم، و قال: اشتره بها فإن لم تكفك فازدد.

يذكر جاريته ريم في قصيدة رثى بها الرشيد

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، قال: كانت لأشجع جارية يقال لها: ريم، و كان يجد بها وجدا شديدا، فكانت تحلف له إن بقيت بعده لم تعرّض لغيره، و كان يذكرها في شعره، فمن ذلك قوله في قصيدته التي يرثي بها الرشيد: [1]المجسد: ثوب يلي الجسد.

[2]في «المختار» :

.

[3]ساقط من ف.

[4]في ب، س: «و كففتني» .

[5]ف، بيروت: «يروع» .

و ليس لأحزان النّساء تطاول # و لكنّ أحزان الرّجال تطول

فلا تبخلي بالدّمع عنّي؛ فإنّ من # يضنّ بدمع عن هوى لبخيل

فلا كنت ممن يتبع الرّيح طرفه # دبورا إذا هبّت له و قبول[1]

إذا دار فيء أتبع الفيء طرفه # يميل مع الأيّام حيث تميل

قال: و قال فيهما أيضا:

إذا غمّضت فوقي جفون حفيرة # من الأرض فابكيني بما كنت أصنع

تعزّك عنّي عند ذلك سلوة # و أن ليس فيمن وارت الأرض مطمع

إذا لم تري شخصي و تغنك ثروتي # و لم تسمعي منّي و لا منك أسمع

فحينئذ تسلين عنّي و إن يكن # بكاء فأقصى ما تبكّين أربع

قليل و ربّ البيت يا ريم ما أرى # فتاة بمن ولّى به الموت تقنع

بمن تدفعين الحادثات إذا رمى # عليك بها عام من الجدب يطلع

فحينئذ تدرين من قد رزيته # إذا جعلت أركان بيتك تنزع

أحمد أخوه يجيبه بشعر ينسبه إلى جاريته ريم

قال: فشكته ريم إلى أخيه أحمد بن عمرو، فأجابه عنها بشعر نسبه إليها، و مدح فيه الفضل أيضا فاختير شعره على شعر أخيه و هو: /

ذكرت فراقا و الفراق[2]يصدّع # و أيّ حياة بعد موتك تنفع!

إذا الزّمن الغرّار[3]فرّق بيننا # فما لي في طيب من العيش مطمع

و لا كان يوم يا ابن عمرو و ليلة # يبدّد فيها شملنا و يصدّع

و لا كان يوم فيه تثوي[4]رهينة # فتروى بجسمي الحادثات و تشبع

/و ألطم وجها كنت فيك أصونه # و أخشع مما لم أكن منه أخشع

و لو أنني غيّبت في اللّحد لم تبل # و لم تزل الراءون لي تتوجّع[5]

و هل رجل أبصرته متوجّعا # على امرأة أو عينه الدّهر تدمع!

و لكن إذا ولّت يقول لها: اذهبي # فمثلك أخرى سوف أهوى و أتبع

و لو أبصرت عيناك ما بي لأبصرت # صبابة قلب[6]غيمها ليس يقشع

إلى الفضل فارحل بالمديح فإنه # منيع الحمى معروفه ليس يمنع

وزره تزر حلما و علما و سوددا # و بأسا به أنف الحوادث يجدع

[1]الدبور: ريح تهب من المغرب، و تقابل القبول، و هي ريح الصبا.

[2]ف: «و التفرق» .

[3]ف: «الغدار» .

[4]ف: «أثوي» ، تحريف.

[5]ف: «في الترب» بدل «في اللحد» ، و في ما: «في البحر» .

[6]ف: «صبابة حزن» . ـ

و أبدع إذا ما قلت في الفضل مدحة # كما الفضل في بذل المواهب يبدع

إذا ما حياض المجد قلّت مياهها # فحوض أبي العبّاس بالجود مترع

و إن سنة ضنّت بخصب على الورى # ففي جوده مرعى خصيب و مشرع

و ما بعدت أرض بها الفضل نازل # و لا خاب من في نائل الفضل يطمع

فنعم المنادى الفضل عند ملمّة[1] # لدفع خطوب مثلها ليس يدفع

/إليك أبا العبّاس سارت نجائب # لها همم تسمو إليك و تنزع

بذكرك نحدوها إذا ما تأخّرت # فتمضي على هول المضيّ و تسرع

و ما للسان المدح دونك مشرع # و لا للمطايا دون بابك مفزع

إليك أبا العبّاس أحمل مدحة # مطيّتها-حتى توافيك-أشجع

فزعت إلى جدواك فيها و إنما # إلى مفزع الأملاك يلجا و يفزع

قال: فأنشدها أشجع الفضل، و حدّثه بالقصّة، فوصل أخاه و جاريته و وصله.

و قال أحمد بن الحارث: فقيل لأحمد بن عمرو أخي أشجع: ما لك لا تمدح الملوك كما يمدحهم أخوك؟ فقال: إن أخي بلاء عليّ و إن كان فخرا، لأنّي[2]لا أمدح أحدا ممّن يرضيه دون شعري و يثيب عليه بالكثير من الثّواب[3]إلا قال: أين هذا من قول أشجع؟فقد امتنعت من مدح أحد لذلك.

أحمد أخو أشجع يهجوه

قال أحمد بن الحارث: و قال أحمد بن عمرو يهجو أخاه أشجع، و قد كان أحمد مدح محمد بن جميل بشعر قاله فيه، فسأل أخاه أشجع إيصاله، و دفع القصيدة إليه فتوانى عن ذلك، فقال يهجوه-أخبرني بذلك أحمد بن محمد بن جميل-: و سائلة لي: ما أشجع؟ # فقلت: يضر و لا ينفع

قريب من الشّرّ واع له # أصمّ عن الخير ما يسمع

بطيء عن الأمر أحظى به # إلى كل ما ساءني مسرع

شرود الوداد على قربه # يفرّق منه الذي أجمع

أسبّ بأنّي شقيق له # فأنفي به أبدا أجدع

الفضل بن يحيى يطرب لشعر أشجع و يكافئ منشده

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، قال: دخلت على الفضل بن يحيى و قد بلغ الرشيد إطلاقه يحيى بن عبد اللّه/بن حسن، و قد كان أمره بقتله/فلم يظهر له أنه بلغه إطلاقه[4]، فسأله عن

خبره: هل قتلته؟فقال: لا، فقال له: فأين هو؟قال: أطلقته، قال: و لم؟ [1]ف: «فنعم المنادى عند كل ملمة»

.

[2]ف: «على أني لا أمدح... » .

[3]ف، بيروت: «من النوال» .

[4]كذا في ف، و في باقي الأصول: «أنه قتله» .

قال: لأنه سألني بحقّ اللّه و بحقّ رسوله و قرابته منه و منك، و حلف لي أنّه لا يحدث حدثا، و أنه يجيبني متى طلبته.

فأطرق ساعة، ثم قال: امض بنفسك في طلبه حتى تجيئني به و اخرج الساعة، فخرج. قال: فدخلت عليه مهنّئا بالسّلامة فقلت له: ما رأيت أثبت من جنانك و لا أصحّ من رأيك فيما جرى، . و أنت و اللّه كما قال أشجع: بديهته و فكرته سواء # إذا ما نابه الخطب الكبير

و أحزم ما يكون الدّهر رأيا # إذا عيّ المشاور و المشير

و صدر فيه للهمّ اتّساع # إذا ضاقت بما تحوي الصّدور

فقال الفضل: انظروا كم أخذ أشجع على هذه القصيدة، فاحملوا إلى أبي محمد مثله. قال: فوجده قد أخذ ثلاثين ألف درهم، فحملت إليّ.

يرثي صديقا له من بغداد

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ إجازة، قال: حدثني محمد بن عجلان، قال: حدّثنا ابن خلاّد، عن حسين الجعفيّ، قال: كان أشجع إذا قدم بغداد ينزل على صديق له من أهلها، فقدمها مرّة فوجده قد مات، و النوح و البكاء في داره، فجزع لذلك و بكى، و أنشأ يقول: ويحها هل درت على من تنوح # أ سقيم فؤادها أم صحيح!

قمر أطبقوا عليه ببغدا # د ضريحا، ما ذا أجنّ الضّريح!

رحم اللّه صاحبي و نديمي # رحمة تغتدي و أخرى تروح

و هذه القصيدة التي فيها الأبيات المذكورة و الغناء فيها، من قصيدة يمدح بها أشجع الرّشيد و يهنّئه بفتح هرقلة، و قد مدحه بذلك و هنّأه جماعة من الشّعراء و غنّي في جميعها، فذكرت خبر فتح هرقلة لذكر ذلك.

سبب غزاة الرشيد هرقلة

أخبرني بخبره عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدّثنا محمد بن يزيد، قال: كان من خبر غزاة الرّشيد هرقلة أن الرّوم كانت قد ملّكت امرأة، لأنه لم يكن بقي في أهل زمانها من أهل بيتها[1]-بيت المملكة-غيرها، و كانت تكتب إلى المهديّ و الهادي و الرّشيد أوّل خلافته بالتّعظيم و التّبجيل، و تدرّ عليه الهدايا، حتى بلغ ابن لها فحاز الملك دونها، و عاث و أفسد، و فاسد الرّشيد، فخافت على ملك الرّوم أن يذهب، و على بلادهم أن تعطب؛ لعلمها بالرّشيد و خوفها من سطوته، فاحتالت لابنها فسملت عينيه[2]، فبطل منه

الملك و عاد إليها، فاستنكر ذلك أهل المملكة و أبغضوها من أجله، فخرج عليها نقفور و كان كاتبها، فأعانوه و عضّدوه، و قام بأمر الملك و ضبط أمر الرّوم، فلمّا قوي على أمره و تمكّن من ملكه كتب إلى الرّشيد:

كتاب نقفور إلى الرشيد

«من نقفور ملك الرّوم إلى الرّشيد ملك العرب، أما بعد؛ فإنّ هذه المرأة كانت وضعتك و أباك و أخاك موضع [1]ف: «... بقي في زمانها من أهل بيتها... الخ» .

[2]سملت عينيه: فقأتهما بحديدة محماة.

الملوك، و وضعت نفسها موضع السّوقة، و إني واضعك بغير ذلك الموضع، و عامل على تطرّق[1]بلادك و الهجوم على أمصارك، أو تؤدّي إليّ ما كانت المرأة تؤدّي إليك، و السّلام» .

رد الرشيد عليه

فلمّا ورد كتابه على الرّشيد كتب إليه: «بسم اللّه الرحمن الرحيم-من عبد اللّه هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الرّوم، /أما بعد، فقد فهمت كتابك، و جوابك عندي ما تراه عيانا لا ما تسمعه» . ثم شخص من شهره ذلك يؤمّ بلاد الرّوم في جمع لم يسمع بمثله، و قوّاد لا يجارون نجدة و رأيا، فلما بلغ ذلك نقفور ضاقت عليه الأرض بما رحبت، و شاور في أمره.

أبو العتاهية يذكر هزيمة نقفور و يمدح الرشيد

و جدّ الرّشيد يتوغّل في بلاد الروم فيقتل و يغنم و يسبي، و يخرّب الحصون و يعفّي الآثار حتى صار إلى طرق متضايقة دون قسطنطينيّة، فلما بلغها وجدها و قد أمر نقفور بالشّجر فقطع و رمي به في تلك الطّرق، و ألقيت فيه النّار، فكان أوّل من لبس ثياب النفّاطين محمد بن يزيد بن مزيد، فخاضها، ثم اتّبعه الناس، فبعث إليه نقفور بالهدايا و خضع له أشدّ الخضوع، و أدّى إليه الجزية عن رأسه فضلا عن أصحابه فقال في ذلك أبو العتاهية:

إمام الهدى أصبحت بالدّين معنيّا # و أصبحت تسقي كلّ مستمطر ريّا

لك اسمان شقّا من رشاد و من هدى # فأنت الذي تدعى رشيدا و مهديّا

إذا ما سخطت الشيء كان مسخطا # و إن ترض شيئا كان في النّاس مرضيّا

بسطت لنا شرقا و غربا يد العلا # فأوسعت شرقيّا و أوسعت غربيّا

و وشّيت وجه الأرض بالجود و النّدى # فأصبح وجه الأرض بالجود موشيّا

و أنت-أمير المؤمنين-فتى التقى # نشرت من الإ «حسان ما كان مطويّا

قضى اللّه أن يبقى لهارون ملكه # و كان قضاء اللّه في الخلق مقضيّا

تجلّلت الدّنيا لهارون ذي الرّضا[2] # و أصبح نقفور لهارون ذمّيّا

شاعر من أهل جدّة يعلم الرشيد بغدر نقفور

فرجع الرشيد-لمّا أعطاه نقفور ما أعطاه-إلى الرّقّة، فلما سقط الثّلج و أمن نقفور أن يغزى اغترّ بالمهلة، و نقض ما بينه و بين الرشيد، و رجع إلى حالته الأولى، فلم يجتزئ يحيى بن خالد-فضلا عن غيره-على إخبار الرّشيد بغدر نقفور، فبذل هو و بنوه الأموال للشّعراء على أن يقولوا أشعارا في إعلام الرّشيد بذلك، فكلّهم كعّ[3] و أشفق إلا شاعرا من أهل جدّة كان

يكنى أبا محمد، /و كان مجيدا قويّ النّفس قويّ الشّعر، و كان ذو اليمينين اختصّه في أيّام المأمون و رفع قدره جدّا، فإنّه أخذ من يحيى و بنيه مائة ألف درهم، و دخل على الرّشيد فأنشده: [1]و عامل على تطرق بلادك، أي على السير إليها.

[2]في «التجريد» :

«تحليت للدنيا و للدين بالرضا»

.

[3]كع: جبن.

نقض الذي أعطاكه[1]نقفور # فعليه دائرة البوار تدور

أبشر أمير المؤمنين فإنّه # فتح أتاك به الإله كبير

فلقد تباشرت الرّعيّة أن أتى # بالنّقض[2]عنه وافد و بشير

و رجت بيمنك[3]أن تعجّل غزوة # تشفي النّفوس نكالها مذكور

أعطاك جزيته و طأطأ خدّه # حذر الصّوارم و الرّدى محذور

فأجرته من وقعها و كأنّها # بأكفّنا شعل الضّرام تطير

و صرفت في[4]طول العساكر قافلا # عنه و جارك آمن مسرور

نقفور إنّك حين تغدر أن نأى # عنك الإمام لجاهل مغرور

أ ظننت حين غدرت أنك مفلت # هبلتك أمّك ما ظننت غرور

/ألقاك حينك في زواخر بحره # فطمت عليك من الإمام بحور

إنّ الإمام على اقتسارك قادر # قربت ديارك أو نأت بك دور

ليس الإمام و إن غفلنا غافلا # عما يسوس بحزمه و يدير

ملك تجرّد للجهاد بنفسه # فعدوّه أبدا به مقهور

يا من يريد رضا الإله بسعيه # و اللّه لا يخفى عليه ضمير

لا نصح ينفع من يغشّ إمامه # و النّصح من نصحائه مشكور

/نصح الإمام على الأنام فريضة # و لأهله كفّارة و طهور

فتح هرقلة

قال: فلما أنشده، قال الرّشيد: أو قد فعل!و علم أن الوزراء احتالوا في إعلامه ذلك فغزاه في بقيّة من الثلج، فاقتتح هرقلة في ذلك الوقت، فقال أبو العتاهية في فتحه إياها: أ لا نادت هرقلة بالخراب # من الملك الموفّق للصّواب[5]

غدا هارون يرعد بالمنايا # و يبرق بالمذكّرة القضاب[6]

و رايات يحلّ النّصر فيها # تمرّ كأنّها قطع السّحاب

أمير المؤمنين ظفرت فاسلم # و أبشر بالغنيمة و الإياب

قال محمد[7]: و جعل الرشيد قبل وصوله إلى هرقلة يفتح المدن و الحصون و يخرّبها، حتى أناخ على هرقلة و هي أوثق حصن و أعزّه جانبا و أمنعه ركنا، فتحصّن أهلها، و كان بابها يطل على واد، و لها خندق يطيف بها،

[1]ف: «أعطيته» .

[2]ب: «بالنقد» .

[3]ب، «التجريد» : «و رجت يمينك» .

[4]ف: «من طول» .

[5]في «التجريد» : «الموثق بالصواب» .

[6]المذكرة القضاب: الداهية الشديدة القاطعة.

[7]ف: «قال محمد بن يزيد» .

فحدّثني شيخ من مشايخ المطّوّعة و ملازمي الثّغور يقال له عليّ بن عبد اللّه، قال: حدّثني جماعة أنّ الرّشيد لما حصر أهل هرقلة و غمهم و ألحّ بالمجانيق و السهام و العرّادات[1]فتح الباب[2]فاستشرف المسلمون لذلك[2]فإذا برجل من أهلها كأكمل[3]الرّجال قد خرج في أكمل السلاح، فنادى: قد طالت مواقعتكم إيانا فليبرز إليّ منكم رجلان، ثم لم يزل يزيد حتى بلغ عشرين رجلا، فلم يجبه أحد، فدخل و أغلق باب الحصن و كان الرّشيد نائما فلم يعلم بخبره، إلا بعد انصرافه، فغضب و لام خدمه و غلمانه على تركهم إنباهه، و تأسف لفوته، فقيل له: إنّ امتناع الناس منه سيغويه و يطغيه، و أحر به أن يخرج في غد فيطلب مثل/ما طلب، فطالت على الرّشيد ليلته و أصبح كالمنتظر له، ثم إذا هو بالباب قد فتح و خرج طالبا للمبارزة، و ذلك في يوم شديد الحرّ، و جعل يدعو بأنه يثبت لعشرين منهم، فقال الرّشيد: من له؟فابتدره جلّة القوّاد كهرثمة، و يزيد بن مزيد، و عبد اللّه بن مالك، و خزيمة بن حازم، و أخيه عبد اللّه، و داود بن يزيد، و أخيه، فعزم على إخراج بعضهم، فضجّت المطّوّعة حتى سمع ضجيجهم، فأذن لعشرين منهم، فاستأذنوه في المشورة فأذن لهم، فقال قائلهم: يا أمير المؤمنين، قوّادك مشهورون بالبأس و النّجدة و علوّ الصوت و مداوسة[4]الحروب، و متى خرج واحد منهم فقتل هذا العلج[5]لم يكبر ذلك، و إن قتله العلج كانت وضيعة[6]على العسكر عجيبة و ثلمة لا تسدّ، و نحن عامّة لم يرتفع لأحد منا صوت إلا كما يصلح للعامّة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يخلّينا نختار رجلا فنخرجه إليه، فإن ظفر علم أهل الحصن/أنّ أمير المؤمنين قد ظفر بأعزّهم على يد رجل من العامّة، و من أفناء الناس ليس ممن يوهن قتله و لا يؤثّر، و إن قتل الرّجل فإنما استشهد رجل و لم يؤثّر ذهابه في العسكر و لم يثلمه، و خرج إليه رجل بعده مثله حتى يقضي اللّه ما شاء[7]، قال الرّشيد: قد استصوبت رأيكم هذا. فاختاروا رجلا منهم يعرف بابن الجزريّ، و كان معروفا في الثّغر بالبأس و النجدة، فقال الرشيد: أ تخرج؟قال: نعم، و أستعين اللّه، فقال: أعطوه فرسا و رمحا و سيفا و ترسا، فقال: يا أمير المؤمنين!أنا بفرسي أوثق، و رمحي بيدي أشدّ[8]، و لكني قد قبلت السيف و التّرس، فلبس سلاحه و استدناه الرّشيد فودّعه، و استتبعه[9]الدّعاء، و خرج معه عشرون رجلا من المطّوّعة، فلما انقضّ في الوادي قال لهم العلج و هو يعدّهم واحدا واحدا: إنما كان الشّرط عشرين و قد زدتم رجلا، و لكن لا بأس، فنادوه: ليس يخرج إليك منا إلا رجل واحد، فلما فصل/منهم ابن الجزريّ تأمّله الرّوميّ و قد أشرف أكثر الرّوم من

الحصن يتأمّلون صاحبهم و القرن حتى ظنّوا أنه لم يبق في الحصن أحد إلا أشرف، فقال الرّوميّ: أ تصدقني، عما أستخبرك[10]؟قال: نعم، فقال: أنت باللّه ابن الجزري؟قال: اللهم نعم، فكفّر له[11]، ثم أخذ في شأنهما فاطّعنا حتى طال الأمر بينهما، و كاد [1]العرادات: جمع عرادة، و هي آلة من آلات الحرب؛ منجنيق صغير.

(2-2) زيادة من ف.

[3]ف: «كأجمل الرجال» .

[4]مداوسة الحروب: المران عليها و تذليلها. و في ف: «مدارسة» .

[5]العلج: الرجل الضخم من كفار العجم.

[6]الوضيعة: الحطيطة. و في ف: «كانت وصمة على العسكر قبيحة» .

[7]ب: «يمضي إليه ما شاء» .

[8]ف: «أسد» .

[9]ف: «و أتبعه» .

[10]في مد: «فيما أستخبرك» . و في ب: «عم استنخبوك» .

[11]كفر له: انحنى و وضع يده على صدره و طأطأ رأسه كالركوع تعظيما له.

الفرسان أن يقوما[1]و ليس يخدش واحد منهما صاحبه، ثم تحاجزا[2]بشيء، فزجّ كلّ واحد منهما برمحه، و أصلت سيفه، فتجالدا مليّا، و اشتدّ الحرّ عليهما، و تبلّد الفرسان، و جعل ابن الجزريّ يضرب الرّوميّ الضربة التي يرى أنه قد بلغ فيها فيتقيها الروميّ، و كان ترسه حديدا؛ فيسمع لذلك صوت منكر، و يضربه الرّوميّ ضرب معذّر؛ لأن ترس ابن الجزريّ كان درقة، فكان العلج يخاف أن يعضّ بالسّيف فيعطب، فلما يئس من وصول كل واحد منهما إلى صاحبه انهزم ابن الجزريّ؛ فدخلت المسلمين كآبة لم يكتئبوا مثلها قطّ، و عطعط[3]المشركون اختيالا و تطاولا، و إنما كانت هزيمته حيلة منه؛ فأتبعه العلج، و تمكّن منه ابن الجزريّ فرماه بوهق[4]فوقع في عنقه و ما أخطأه، و ركض فاستلّه عن فرسه، ثم عطف عليه فما وصل إلى الأرض حيّا حتى فارقه رأسه، فكبّر المسلمون أعلى تكبير، و انخذل المشركون و بادروا الباب يغلقونه، و اتصل الخبر بالرّشيد فصاحب القوّاد: اجعلوا النار في المجانيق و ارموها فليس عند القوم دفع، ففعلوا و جعلوا الكتّان و النّفط على الحجارة و أضرموا فيها النار و رموا بها السور، فكانت النار تلصق به و تأخذ الحجارة، و قد تصدّع فتهافتت، فلما أحاطت بها النيران فتحوا الباب مستأمنين و مستقبلين، فقال الشاعر المكّيّ الذي كان ينزل جدّة:

صوت

هوت هرقلة لمّا أن رأت عجبا # حوائما[5]ترتمي بالنّفط و النّار

كأنّ نيراننا في جنب قلعتهم # مصبّغات على أرسان قصّار

في هذين البيتين لابن جامع لحن من الثقيل الأوّل بالبنصر.

قال محمد بن يزيد: و هذا كلام ضعيف لين، و لكنّ قدره عظيم في ذلك الموضع و الوقت، و غنّى فيه المغنّون بعد ذلك. /و أعظم الرّشيد الجائزة للجدّيّ الشاعر، و صبّت الأموال على ابن الجزريّ و قوّد، فلم يقبل النّقويد إلا بغير رزق و لا عوض، و سأل أن يعفى و ينزل بمكانه من الثّغر، فلم يزل به طول عمره.

ابن جامع يغني الرشيد بهرقلة

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا عبد اللّه بن أبي سعد، قال: حدّثنا أحمد بن عليّ بن أبي نعيم المروزيّ قال: خرج الرّشيد غازيا بلاد الرّوم

فنزل بهرقلة، فدخل عليه ابن جامع فغنّاه: هوت هرقلة لمّا أن رأت عجبا # حوائما ترتمي بالنّفط و النّار

فنظر الرشيد إلى ماشية قد جيء بها، فظنّ أن الطاغية قد أتاه، فخرج يركض على فرس له و في يده الرّمح، و تبعه الناس، فلما تبيّن له أنها ماشية رجعوا، فغنّاه ابن جامع: [1]ف: «و كاد الفرسان يقومان» .

[2]ف: «ثم تحاورا بشيء» .

[3]العطعطة: تتابع الأصوات و اختلاطها.

[4]الوهق: الحبل في طرفيه أنشوطة يطرح في عنق الدابة و الإنسان.

[5]في «التجريد» : «جواثما» .

صوت

رأى في السّما رهجا[1]فيمم نحوه # يجرّ رديّا و للرّهج يستقري

تناولت أطراف البلاد بقدرة # كأنّك فيها تقتفي أثر الخضر

/الغناء لابن جامع ثاني ثقيل عن بذل و ابن المكّيّ.

أشجع يهنئ الرشيد بفتح هرقلة

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعيّ، قال: حدثني الفضل بن محمد اليزيديّ، عن إسحاق الموصليّ، قال: لما انصرف الرشيد من غزاة هرقلة قدم الرّقّة في آخر شهر رمضان، فلما عيّد جلس للشعراء، فدخلوا عليه و فيهم أشجع، فبدرهم و أنشأ يقول: لا زلت تنشر أعيادا و تطويها # تمضي بها لك أيام و تثنيها

مستقبلا زينة الدّنيا و بهجتها # أيامنا لك لا تفنى و تفنيها[2]

و لا تقصّت بك الدّنيا و لا برحت # يطوي لك الدّهر أياما و تطويها

و ليهنك الفتح و الأيّام مقبلة # إليك بالنصر معقودا نواصيها[3]

أمست هرقلة تهوي[4]من جوانبها # و ناصر اللّه و الإسلام يرميها

ملّكتها و قتلت النّاكثين بها # بنصر من يملك الدّنيا و ما فيها

ما روعي الدّين و الدّنيا على قدم # بمثل هارون راعيه و راعيها

قال: فأمر له بألف دينار، و قال: لا ينشدني أحد بعده، فقال أشجع: و اللّه لآمره بألاّ ينشده أحد بعدي أحبّ إليّ من صلته.

حدثني أحمد بن وصيف، و محمد بن يحيى الصّوليّ، قالا: حدثنا محمد بن موسى بن حماد، قال: حدّثني عبد اللّه بن عمرو الوراق، قال: حدّثني أحمد بن محمد بن منصور بن زياد، عن أبيه، قال: /دخل أشجع على الرّشيد ثاني يوم الفطر فأنشده:

صوت

استقبل العيد بعمر جديد # مدّت لك الأيّام حبل الخلود

[1]الرهج: الغبار أو ما أثير منه.

[2]جاء في ف بيتان مكان هذا البيت و هما:

مستقبلا بهجة و زينتها # أيامها لك نظم في لياليها

العيد و العيد و الأيام بينهما # موصولة لك لا تفنى و تقنيها

و البيتان أيضا في «الشعر و الشعراء» لابن قتيبة 2/884 مع خلاف في بعض الألفاظ.

[3]في «الشعر و الشعراء» 2/884:

«و ليهنك النصر... # إليك بالفتح... »

.

[4] «التجريد» :

«ترمي من جوانبها»

.

مصعّدا في درجات العلا # نجمك مقرون بسعد السّعود

و اطو رداء الشّمس ما أطلعت # نورا جديدا كلّ يوم جديد

تمضي لك الأيام ذا غبطة # إذا أتى عيد طوى عمر عيد

/فوصله بعشرة آلاف درهم، و أمر أن يغنّى في هذه الأبيات.

يصف فتح طبرستان و يمدح الرشيد

أخبرني محمد بن جعفر النّحويّ، قال: حدثنا محمد بن موسى بن حمّاد، قال: حدثني أبو عبد اللّه النّخعيّ، قال: دخل أشجع على الرشيد فأنشده قوله:

أبت طبرستان غير الذي # صدعت به بين أعضائها

ضممت مناكبها ضمّة # رمتك بما بين أحشائها

سموت إليها بمثل السّماء # تدلّى الضّواعق في مائها

فلمّا نظرت إلى جرحها # وضعت الدّواء على دائها

فرشت الجهاد ظهور الجياد[1] # بأبنائه و بأبنائها

بنفسك ترميهم و الخيول # كرمي العقاب بأفلائها[2]

نظرت برأيك لمّا همـ # ت دون الرّجال و آرائها

قال: فأمر له بألف دينار.

يمدح الرشيد بعد قدومه من الحج و قد مطر الناس

أخبرني محمد بن جعفر، قال: حدّثنا محمد بن موسى، قال: حدثني أبو عمرو الباهليّ البصريّ قال: دخل أشجع بن عمرو السّلميّ على هارون الرّشيد حين قدم من الحجّ، و قد مطر الناس يوم قدومه، فأنشده يقول: إنّ يمن الإمام لمّا أتانا # جلب الغيث من متون الغمام

فابتسام الثّبات في أثر الغيـ # ث بنوّاره كسرج[3]الظّلام

ملك من مخافة اللّه مغض # و هو مغضى له من الإعظام

ألف الحجّ و الجهاد فما ينـ # فكّ من سفرتين في كلّ عام

سفر للجهاد نحو عدوّ # و المطايا لسفرة الإحرام

طلب اللّه فهو يسعى إليه # بالمطايا و بالجياد السّوامي

فيداه يد بمكّة تدعو # ه و أخرى في دعوة[4]الإسلام

[1]في الأساس: فرشته أمري: بسطته له كله.

[2]الفلاة: الصحراء الواسعة، و جمعها فلى، و جمع الجمع أفلاء. و في ف: «بأفنائها» بدل «بأفلائها» .

[3]السرج: جمع سراج: المصباح.

[4]في ف، بيروت: «غزوة» .

يذكر حفر نهر و يمدح الرشيد

أخبرني محمد بن جعفر، قال: حدثني محمد بن موسى بن حمّاد، قال: أخبرني أبو عبد اللّه النّخعيّ، قال: أمر الرّشيد بحفر نهر لبعض أهل السّواد، و قد كان خرب و بطل ما عليه، فقال أشجع السّلميّ يمدحه: أجرى الإمام الرّشيد نهرا # عاش بعمرانه الموات

جاد عليه بريق فيه # و سرّ مكنونه الفرات

ألقمه درّة لقوحا # يرضع أخلافها النّبات[1]

حلم الرشيد حلما مزعجا و مات بعده فرثاه أشجع

أخبرني جحظة، قال: حدّثني ميمون بن هارون، قال:

/رأى الرّشيد فيما يرى النّائم كأنّ امرأة وقفت عليه و أخذت كفّ تراب ثم قالت له: هذه تربتك عن قليل، فأصبح فزعا، و قصّ رؤياه، فقال له أصحابه: و ما هذا؟قد يرى النّاس أكثر ممّا رأيت و أغلظ ثم لا يضرّ. فركب و قال: و اللّه إنّي لأرى الأمر قد قرب، فبينا هو يسير إذ نظر إلى امرأة واقفة من وراء شبّاك حديد تنظر إليه، فقال: هذه و اللّه المرأة التي رأيتها، و لو رأيتها بين ألف امرأة[2]ما خفيت عليّ، /ثم أمرها أن تأخذ كفّ تراب فتدفعه إليه، فضربت بيدها إلى الأرض التي كانت عليها فأعطته منها كفّ تراب، فبكى ثم قال: هذه و اللّه التّربة التي أريتها، و هذه المرأة بعينها. ثم مات بعد مدّة، فدفن في ذلك الموضع بعينه، اشتري له و دفن فيه، و أتى نعيه بغداد، فقال أشجع يرثيه: غربت بالمشرق الشّمس فقل للعين تدمع

ما رأينا قطّ شمسا # غربت من حيق تطلع

يتغزل في جارية حرب الثقفي و يذمه

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا محمد بن موسى، قال: حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن عبد اللّه بن مالك، قال: كان حرب بن عمرو الثّقفيّ نخّاسا، و كانت له جارية مغنّية، و كان الشعراء و الكتّاب و أهل الأدب ببغداد يختلفون إليها يسمعونها، و ينفقون في منزله النّفقات الواسعة، و يبرّونه و يهدون إليه، فقال أشجع: جارية تهتزّ أرادفها # مشبعة الخلخال و القلب[3]

أشكو الذي لاقيت من حبّها # و بغض مولاها إلى الرّبّ

من بغض مولاها و من حبّها # سقمت بين البغض و الحبّ

/فاختلجا في الصدر حتى استوى # أمرهما فاقتسما قلبي

ّ

[1]في ب، مد: «أخلافه» . و الدّرّة: اللّبن أو كثرته، و الأخلاف جمع خلف: حلمة ضرع الناقة.

[2]في ب، مد، ما: «و لو رأيتها ألف مرة ما خفيت» !.

[3]القلب: سوار المرأة. ـ

[1]قال مؤلف هذا الكتاب: فأخذ هذا المعنى بعض المحدثين من أهل عصرنا، فقال في مغنّية تعرف بالشّاة: بحبّ الشّاة ذبت ضنى # و طال لزوجها مقتي

فلو أنّي ملكتهما # لأسعد في الهوى بختي

فأدخل في استها أيري # و لحية زوجها في استي[1]

يهنئ يحيى بن خالد بسلامته من المرض

أخبرني أبو الحسن الأسديّ، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثني صالح بن سليمان، قال: اعتلّ يحيى بن خالد ثم عوفي، فدخل النّاس يهنّئونه بالسّلامة، و دخل أشجع فأنشده: لقد قرعت شكاة أبي عليّ # قلوب معاشر كانوا صحاحا[2]

فإن يدفع لنا الرّحمن عنه # صروف الدّهر و الأجل المتاحا

فقد أمسى صلاح أبي عليّ # لأهل الدّين و الدّنيا صلاحا[3]

إذا ما الموت أخطأه فلسنا # نبالي الموت حيث غدا و راحا

قال: فما أذن يومئذ لأحد سواه في الإنشاء لاختصاص البرامكة إيّاه.

يعود علي بن شبرمة في مرضه

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثنا محمد بن عمران[4]الضّبّيّ، قال: سمعت محمد بن أبي مالك الغنويّ، يقول: /دخل أشجع السّلميّ على عليّ بن شبرمة يعوده، فأنشأ يقول: إذا مرض القاضي مرضنا بأسرنا # و إن صحّ لم يسمع لنا بمريض

/فأصبحت-لمّا اعتلّ يوما-كطائر # سما بجناح للنهوض مهيض

قال: فشكره ابن شبرمة و حمله على بغلة كانت له.

منعه حاجب أبان بن الوليد من الدخول عليه فهجاه

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدّثني محمد بن عمران، قال: سمعت محمد بن أبي مالك يقول: جاء أشجع ليدخل على أبان بن الوليد البجليّ، فمنعه حاجبه، و انتهره غلمانه، فقال فيه: ألا أيّها المشلي[5]عليّ كلابه # و لي-غير أن لم أشلهنّ-كلاب

رويدك لا تعجل عليّ فقد جرى # بخزيك[6]ظبي أعضب و غراب

(1-1) ساقط من ف.

[2]في «الشعر و الشعراء» :

«... كانت صحاحا»

.

[3]في «الشعر و الشعراء» :

«لأهل الأرض كلهم صلاحا»

.

[4]ب: «عبدان» .

[5]المشلي: المغري.

[6]ب، مد: «بجريك» ، و ظبي أعضب: انكسر قرنه.

علام تسدّ الباب و السّرّ قد فشا # و قد كنت محجوبا و مالك باب

فلو كنت ممّن يشرب الخمر سادرا # إذا لم يكن دوني عليك حجاب

و لكنّه يمضي لي الحول كاملا # و ما لي إلاّ الأبيضين[1]شراب

من الماء أو من شخب دهماء ثرّة[2] # لها حالب لا يشتكي و حلاب

مر بقبري الوليد بن عقبة و أبي زبيد الطائي فقال شعرا

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة، قال: حدّثني ميمون بن هارون، قال: حدّثنا عليّ بن الجهم، قال: حدثني ابن أشجع السّلميّ، قال: لما مرّ أبي و عمّاي أحمد و يزيد-و قد شربوا حتى انتشوا-بقبر الوليد بن عقبة و إلى جانبه قبر أبي زبيد الطّائيّ -و كان نصرانيّا-و القبران مختلفان كلّ واحد منهما متوجّه إلى قبلة ملّته، و كان أبو زبيد أوصى لمّا احتضر أن يدفن إلى جنب/ الوليد بالبليخ قال: فوقفوا على القبرين، و جعلوا يتحدّثون بأخبارهما و يتذاكرون أحاديثهما، فأنشأ أبي يقول: مررت على عظام أبي زبيد # و قد لاحت ببلقعة صلود

و كان له الوليد نديم صدق # فنادم قبره قبر الوليد

أنيسا ألفة ذهبت فأمست # عظامهما تآنس[3]بالصّعيد

و ما أدري بمن تبدا المنايا # بأحمد أو بأشجع أو يزيد

قال: فماتوا و اللّه كما رتّبهم في الشّعر، أولهم أحمد، ثم أشجع، ثم يزيد.

صوت

حيّ ذا الزّور و انهه أن يعودا # إنّ بالباب حارسين قعودا

من أساوير ما ينون[4]قياما # و خلاخيل تذهل المولودا

لا ذعرت السّوام في فلق الصّبح مغيرا و لا دعيت يزيدا

يوم أعطي مخافة الموت ضيما[5] # و المنايا يرصدنني أن أحيدا

الشّعر ليزيد بن ربيعة بن مفرّغ الحميريّ، و الغناء لسياط خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق، و ذكر أحمد بن المكيّ أنه لأبيه يحيى، و ذكر الهشاميّ أنّه لفليح. قال: و من هذا الصوت سرق لحن: تلك عرسي تلومني في التّصابي

[1]الأبيضان: اللبن و الماء.

[2]الثرة: الغزيرة. و شخب اللبن: حلبه. و الدهماء: الخالصة الحمرة.

[3]في ف: «تأنس» .

[4]ب:

«ماكثات قياما»

.

[5] «التجريد» :

«يوم أعطى مخافة الموت ظلما»

. و في «الشعر و الشعراء» :

«يوم أعطى من المخافة ضيما»

.

18-أخبار ابن مفرغ و نسبه

نسبه و سبب تلقيب جده مفرغا

هو يزيد بن ربيعة بن مفرّغ[1]، و لقّب جدّه مفرّغا لأنه راهن على سقاء لبن أن يشربه كلّه فشربه كله/حتّى فرّغه، فلقب مفرّغا، و يكنى أبا عثمان، و هو من حمير فيما يزعم أهله، و ذكر ابن الكلبيّ و أبو عبيدة أن مفرّغا كان شعّابا بتبالة[2]، فادّعى أنّه من حمير. و قال عليّ بن محمد النّوفليّ: ليس أحد بالبصرة من حمير إلاّ آل الحجّاج بن ناب الحميريّ و بيتا آخر ذكره، و دفع بيت ابن مفرّغ.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: أخبرني أحمد بن الهيثم القرشيّ[3]، قال: أخبرني العمريّ، عن لقيط بن بكر المحاربيّ، قال:

هو يزيد بن ربيعة بن مفرّغ الحميريّ حليف قريش، ثم حليف آل خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أميّة بن عبد شمس. قال العمريّ: و كان ابن المكيّ يقول: كان مفرّغ عبدا للضّحاك بن عبد عوف الهلاليّ فأنعم عليه.

قال محمد بن خلف: أخبرني محمد بن عبد الرّحمن الأسديّ، عن محمّد بن رزين، قال: قال الأخفش:

كان ربيعة بن مفرّغ شعّابا بالمدينة و كان ينسب إلى حمير، و إنما سمّي مفرّغا لتفريغه العسّ[4]و كان شاعرا غزلا محسنا، و السيّد[5]من ولده.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدّثني أبو العيناء قال:

/سئل الأصمعيّ عن شعر تبّع و قصّته و من وضعهما، فقال: ابن مفرّغ؛ و ذلك أنّ يزيد بن معاوية لمّا سيّره إلى الشّام و تخلّصه من عبّاد بن زياد أنزله الجزيرة، و كان مقيما برأس عين، و زعم أنّه من حمير، و وضع سيرة تبّع و أشعاره، و كان النّمر بن قاسط يدّعي أنّه منهم.

و قال الهيثم بن عديّ: هو يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرّغ اليحصبيّ، من حمير، يحصب بن مالك بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عديّ بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم[6]بن عبد

[1]في «معجم الأدباء» 20/43: «يزيد بن زياد بن ربيعة المعروف بابن مفرغ» بضم الميم و كسر الراء من غير تشديد.

و جاء في كتاب «الوفيات» 5/384: «و أكثر العلماء يقولون: يزيد بن ربيعة بن مفرغ و يسقطون زيادا» . و في «الخزانة» 2/212:

و «مفرغ بكسر الراء المشدودة لقب جده» .

[2]الشعاب: من يصلح الصدوع. و تبالة: موضع ببلاد اليمن. و في «الوفيات» أن مفرغا كان حدادا.

[3]ب: «القرظي» .

[4]ف: «و إنما سمي مفرغا لأنه خاطر على عس لبن فشربه، فسمي مفرغا لتفريغه العس» .

[5]يريد السيد الحميري الشاعر.

[6]ب: «خيثم» .

شمس بن وائل بن الغوث بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

أخبرني بخبره جماعة من مشايخنا، منهم أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، عن عمر بن شبّة و محمد بن خلف بن المرزبان، عن جماعة من أصحابه، و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، عن عليّ بن محمد النّوفليّ، عن أبيه، فما اتّفقت رواياتهم من خبره جمعتها في ذكره، و ما اختلفت أفردت كلّ منفرد منهم بروايته.

سفره مع عباد بن زياد و وصية سعيد بن عثمان

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدّثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، عن مسلمة بن محارب، و أخبرني الجوهريّ، قال: حدّثنا عمر بن شبّة، و أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ، قال: قرأت على محمد بن الحسن بن دريد[1]عن ابن الأعرابيّ، و أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدّثنا أحمد بن الهيثم قال: حدثنا العمريّ، عن لقيط بن بكير، قالوا جميعا:

/لمّا ولي سعيد بن عثمان بن عفان خراسان، استصحب يزيد بن ربيعة بن مفرّغ، و اجتهد به أن يصحبه، فأبى عليه و صحب عبّاد بن زياد، فقال له سعيد بن عثمان: أما إذ أبيت أن تصحبني و آثرت عبّادا فاحفظ ما أوصيك به، إن عبّادا رجل لئيم، فإيّاك و الدّالّة[2]عليه، و إن دعاك إليها من نفسه فإنها خدعة منه لك عن نفسك، و أقلل زيارته، فإنّه طرف[3]ملول، و لا تفاخره و إن فاخرك، فإنّه لا يحتمل لك ما كنت أحتمله. ثمّ دعا سعيد بمال فدفعه إلى ابن مفرّغ، و قال: استعن به على سفرك، فإن صلح لك مكانك من عبّاد و إلا فمكانك عندي ممهّد فائتني، ثم سار سعيد إلى خراسان، و تخلّف ابن مفرّغ عنه، و خرج مع عبّاد.

قال ابن دريد في خبره، /عن مسلمة[4]بن محارب:

فلما بلغ عبيد اللّه بن زياد صحبة ابن مفرّغ أخاه عبّادا شق عليه، فلما سار أخوه عبّاد شيّعه و شيّع الناس معه، و جعلوا يودّعونه و يودّع الخارجون مع عبّاد عبيد اللّه بن زياد، فلما أراد عبيد اللّه أن يودع أخاه دعا ابن مفرّغ، فقال له:

إنك سألت عبّادا أن تصحبه و أجابك إلى ذلك، و قد شقّ عليّ، فقال له ابن مفرّغ: و لم أصلحك اللّه؟قال:

لأن الشاعر لا يقنعه من الناس ما يقنع بعضهم من بعض؛ لأنه يظن فيجعل الظنّ يقينا، و لا يعذر في موضع العذر، و إن عبّادا يقدم على أرض حرب فيشتغل بحروبه و خراجه عنك، فلا تعذره أنت، و تكسبنا شرّا و عارا، فقال له:

/لست كما ظنّ الأمير، و إنّ لمعروفه عندي لشكرا كثيرا، و إنّ عندي- إن أغفل أمري-عذرا ممهّدا، قال:

لا، و لكن تضمن لي إن أبطأ عنك ما تحبّه إلاّ تعجل عليه حتى تكتب إليّ، قال: نعم، قال: امض إذا على الطائر الميمون. قال: فقدم عبّاد خراسان، و اشتغل بحربه و خراجه، فاستبطأه ابن مفرّغ و لم يكتب إلى عبيد اللّه بن زياد يشكوه كما ضمن له، و لكنه بسط لسانه فذمّه و هجاه.

يهجو عبادا ببيت من الشعر

و كان عبّاد عظيم اللّحية كأنها جوالق، فسار يزيد بن مفرّغ يوما مع عبّاد، فدخلت الريح فنفشتها، فضحك [1]ف: «محمد بن الحسن الأحون» .

[2]ب: «الدلالة» .

[3]الطرف: من لا يثبت على صاحب.

[4]ف: «عن مسلم بن محارب» .

ابن مفرّغ، و قال لرجل من لخم كان إلى جنبه قوله: ألا ليت اللّحى كانت حشيشا # فنعلفها خيول المسلمينا[1]

فسعى به اللّخميّ إلى عبّاد، فغضب من ذلك غضبا شديدا، و قال: لا يجمل بي عقوبته في هذه الساعة[2]مع الصحبة لي، و ما أؤخّرها إلا لأشفي نفسي منه لأنه كان يقوم فيشتم أبي في عدّة مواطن، و بلغ الخبر ابن مفرّغ فقال: إني لأجد ريح الموت من عبّاد.

يطلب من عباد الإذن في الرجوع

ثم دخل عليه فقال له: أيّها الأمير، إني كنت مع سعيد بن عثمان، و قد بلغك رأيه فيّ، و رأيت جميل أثره عليّ، و إنّي اخترتك عليه، فلم أحظ منك بطائل[3]، و أريد أن تأذن لي في الرّجوع، فلا حاجة لي في صحبتك، فقال له: أمّا اختيارك إيّاي فإني اخترتك كما اخترتني، و استصحبتك حين سألتني، و قد أعجلتني عن/بلوغ محبّتي فيك، و قد طلبت الإذن[4]لترجع إلى قومك، فتفضحني فيهم[5]، و أنت على الإذن قادر بعد أن أقضي حقّك، فأقام. و بلغ عبّادا أنه يسبّه و يذكره و ينال من عرضه، و أجرى عبّاد الخيل فجاء سابقا، فقال ابن مفرّغ: سبق عبّاد و صلّت[6]لحيته

عباد يحبسه بدين عليه و يبيعه الأراكة و بردا

و طلب عليه العلل، و دسّ إلى قوم كان لهم عليه دين، فأمرهم أن يقدموه إليه، ففعلوا، فحبسه و أضرّ به، فبعث إليه أن بعني الأراكة و بردا، و كانت الأراكة قينة لابن مفرّغ. و برد غلامه، ربّاهما و كان شديد الضّنّ بهما، فبعث إليه ابن مفرّغ مع الرّسول: أ يبيع المرء نفسه أو ولده؟فأضرّ به عبّاد حتى أخذهما منه. هذه رواية مسلمة.

و أمّا لقيط و عمر بن شبّة فإنهما ذكرا أنه باعهما عليه، فاشتراهما رجل من أهل خراسان. قال لقيط: فلمّا دخلا منزله قال له برد، و كان داهية أريبا: أ تدري ما اشتريت؟قال: نعم، اشتريتك و هذه الجارية. قال: لا و اللّه ما اشتريت إلاّ العار و الدّمار و الفضيحة أبدا ما حييت، فجزع الرجل و قال له: كيف ذلك؟ويلك!قال: نحن ليزيد بن ربيعة بن مفرّغ، و اللّه ما أصاره إلى هذه الحال إلا لسانه و شرّه، أ فتراه يهجو/ابن زياد-و هو أمير خراسان، و أخوه أمير العراقين، و عمّه الخليفة-في أن استبطأه و يمسك عنك، و قد ابتعتني و ابتعت هذه الجارية و هي نفسه التي بين جنبيه؟و اللّه ما أرى أحدا أدخل بيته أشأم على نفسه و أهله مما أدخلته منزلك، فقال: فاشهد أنّك و

إيّاها له، فإن شئتما أن تمضيا إليه فامضيا، على أنّي أخاف على نفسي إن بلغ ذلك ابن زياد، و إن شئتما أن تكونا له عندي فافعلا، قال: فاكتب إليه بذلك. فكتب الرجل إلى ابن مفرّغ في الحبس بما فعله، فكتب إليه يشكر فعله، و سأله أن يكونا عنده حتى يفرّج اللّه عنه.

[1]في «الشعر و الشعراء» لابن قتيبة 1/319، ف: «فنعلفها دواب المسلمينا»

.

[2]ب، مد: «في هذه السرعة» .

[3]ب: «فلم أحل منك بطائل» .

[4]ب، س: «الآن» .

[5]ف: «ففضحني قبلهم» .

[6]صلت: جاءت تالية.

/قال: و قال عبّاد لحاجبه: ما أرى هذا-يعني ابن مفرّغ-يبالي بالمقام في الحبس، فبع فرسه و سلاحه و أثاثه، و اقسم ثمنها بين غرمائه، ففعل ذلك و قسم الثّمن بينهم، و بقيت عليه بقيّة حبسه بها. فقال ابن مفرّغ يذكر غلامه بردا و جاريته الأراكة و بيعهما: شريت بردا و لو ملّكت صفقته # لما تطلّبت في بيع له رشدا

لو لا الدّعيّ و لو لا ما تعرّض لي # من الحوادث ما فارقته أبدا

يا برد ما مسّنا برد[1]أضرّ بنا # من قبل هذا و لا بعنا له ولدا[2]

أمّا الأراك فكانت من محارمنا # عيشا لذيذا و كانت جنّة رغدا

كانت لنا جنّة كنّا نعيش بها # نغنى بها إن خشينا الأزل و النّكدا[3]

يا ليتني قبل ما ناب الزّمان به # أهلي لقيت على عدوانه الأسدا[4]

قد خاننا زمن لم نخش عثرته[5] # من يأمن اليوم أم من ذا يعيش غدا!

لامتني النّفس في برد فقلت لها # لا تهلكي إثر برد هكذا كمدا

كم من نعيم أصبنا من لذاذته # قلنا له إذ تولّى ليته خلدا

خروجه من السجن و هروبه إلى البصرة

قالوا: و علم ابن مفرّغ أنه إن أقام على ذمّ عبّاد و هجائه و هو في محبسه زاد نفسه شرّا؛ فكان يقول للنّاس إذا سألوه عن حبسه ما سببه: رجل أدّبه أميره ليقوّم من أوده، أو يكفّ من غربه[6]، و هذا لعمري خير من جرّ الأمير ذيله على مداهنة لصاحبه، فلما بلغ عبّادا قوله[7]رقّ له و أخرجه من السّجن، /فهرب حتى أتى البصرة، ثم خرج منها إلى الشّام و جعل ينتقل في مدنها هاربا و يهجو زيادا و ولده.

و قال المدائنيّ في خبره:

لمّا بلغ عبّاد بن زياد أنّ ابن المفرّغ قال: سبق عبّاد و صلّت لحيته

هجاء في ابن مفرغ ينشده ابنه في مجلس عباد

دعا ابنه و المجلس حافل فقال له: أنشدني هجاء أبيك الذي هجي به، فقال: أيّها الأمير، ما كلّف أحد قطّ ما كلّفتني، فأمر غلاما له أعجميّا و قال له: قم على رأسه، فإن أنشد ما أمرته به و إلا فصبّ السّوط على رأسه أبدا أو ينشده، فأنشده أبياتا هجي بها أبوه أولها: [1]ف، و «رغبة الآمل» 2/70: «دهر» .

[2]ف: «و لا بعنا لنا ولدا» .

[3]الأزل: الضيق و الشدة.

[4]ف:

«لقيت أهل على عدوانه الأسدا»

.

[5]ف: «عبرته» .

[6]ف: «و يكف من غربه» .

[7]ب: «فلما بلغ ذلك عبادا من قوله» .

قبح الإله و لا يقبّح غيره # وجه الحمار ربيعة بن مفرّغ

و جعل عبّاد يتضاحك به، فخرج ابن ابن مفرّغ من عنده و هو يقول: و اللّه لا يذهب شتم شيخي باطلا، و قال يهجوه بقوله: أصرمت حبلك من أمامه # من بعد أيّام برامه

/فالرّيح تبكي شجوها # و البرق يضحك في الغمامة

لهفي على الأمر الذي # كانت عواقبه ندامه

تركي سعيدا ذا النّدى # و البيت ترفعه الدّعامه

فتحت سمرقند له # و بنى بعرصتها خيامه

و تبعت عبد بني علا # ج[1]، تلك أشراط القيامه!

جاءت به حبشيّة # سكّاء[2]تحسبها نعامه

/و شريت بردا ليتني # من بعد برد كنت هامه

أو بومة[3]تدعو صدى # بين المشقّر و اليمامه

فالهول يركبه الفتى # حذر المخازي و السّآمه

و العبد يقرع بالعصا # و الحرّ تكفيه الملامة

قال[4]: ثم لجّ في هجاء بني زياد حتى تغنّى أهل البصرة في أشعاره، فطلبه عبيد اللّه طلبا شديدا حتى كاد يؤخذ، فلحق بالشام.

و اختلفت الرّواة فيمن ردّه إلى ابن زياد، فقال بعضهم: معاوية، و قال بعضهم: يزيد، و الصّحيح أنه يزيد؛ لأن عبّاد بن زياد إنما ولي سجستان في أيام يزيد. و قال بعضهم: بل الذي ولاّه معاوية، و هو الذي ولّى سعيد بن عثمان خراسان.

سعيد بن عثمان يعاتب معاوية لأنه جعل البيعة لابنه يزيد

أخبرني محمّد بن العبّاس اليزيديّ، و عبيد اللّه بن محمد الرازيّ[5]، قالا: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائنيّ قال: دخل سعيد بن عثمان على معاوية بن أبي سفيان فقال: علام جعلت يزيد وليّ عهدك دوني؟فو اللّه لأبي خير من أبيه، و أمّي خير من أمه، و أنا خير منه، و قد ولّيناك فما عزلناك، و بنا نلت ما نلت، فقال له معاوية: أمّا قولك: إنّ أباك خير من أبيه فقد صدقت لعمر اللّه؛ إن عثمان لخير منّي، و أما قولك: إن أمك خير من أمّه، فحسب المرأة أن تكون في بيت قومها و أن يرضاها بعلها و أن ينجب

ولدها. و أما قولك: إنّك خير من يزيد، فو اللّه يا بنيّ ما يسرّني [1]بنو علاج: بطن من ثقيف.

[2]سكاء: صغيرة الأذنين.

[3]ب: «فهامة» . و في «المختار» : «هتافة» بدل «أو بومة» . و في مد، ف: «هي هامة» .

[4]ف: «قالوا» .

[5]ف: «عبد اللّه بن أحمد الرازي» .

أنّ لي بيزيد ملء الغوطة مثلك. و أما قولك: إنكم ولّيتموني فما عزلتموني، فما ولّيتموني، و إنما ولاّني من هو خير منكم عمر، فأقررتموني، و ما كنت بئس الوالي لكم، لقد قمت بثأركم، و قتلت/قتلة أبيكم، و جعلت الأمر فيكم، و أغنيت فقيركم، و رفعت الوضيع منكم، فكلّمه يزيد في أمره فولاّه خراسان.

رجع الحديث إلى سياقة أخبار ابن مفرغ ينتقل في قرى الشام هاجيا بني زياد

قالوا: فلم يزل ينتقل في قرى الشام و نواحيها، و يهجو بني زياد[1]، و أشعاره فيهم ترد البصرة و تنتشر و تبلغهم، فكتب عبيد اللّه بن زياد إلى معاوية، و قال الآخرون: إنه كتب إلى يزيد و هو الصحيح، يقول له: إن ابن مفرّغ هجا زيادا و بنى زياد بما هتكه في قبره، و فضح بنيه طول الدهر، و تعدّى ذلك إلى أبي سفيان، فقذفه بالزنا و سبّ ولده، فهرب من خراسان إلى البصرة، و طلبته حتى لفظته الأرض، فلجأ إلى الشام يتمضّغ لحومنا بها، و يهتك أعراضنا، و قد بعثت إليك بما هجانا به لتنتصف لنا منه. ثم بعث بجميع ما قاله ابن مفرّغ/فيهم.

فأمر يزيد بطلبه، فجعل ينتقل من بلد إلى بلد، فإذا شاع خبره انتقل حتى لفظته الشام، فأتى البصرة و نزل على الأحنف بن قيس، فالتجأ به و استجار، فقال له الأحنف: إني لا أجير على ابن سميّة[2]فأعزل، و إنما يجير الرجل على عشيرته، فأما على سلطانه فلا، فإن شئت أجرتك من بني سعد و شعرائهم، فلا يريبك أحد منهم، فقال له ابن مفرّغ: بأستاه بني سعد[3]و ما عساهم أن يقولوا فيّ؟هذا ما لا حاجة لي فيه.

ثم أتى خالد بن عبد اللّه بن خالد بن أسيد فاستجار به، فأبى أن يجيره، فأتى عمر بن عبيد اللّه بن معمر فوعده، و أتى طلحة الطّلحات فوعده، و أتى المنذر بن الجارود العبديّ فأجاره؛ و كانت بحريّة بنت المنذر تحت عبيد اللّه.

المنذر بن الجارود العبدي يجيره

و كان المنذر من أكرم النّاس عليه، فاغترّ بذلك و أدلّ بموضعه منه، و طلبه عبيد اللّه و قد بلغه وروده البصرة فقيل له: أجاره المنذر بن الجارود، فبعث عبيد اللّه إلى المنذر فأتاه، فلما دخل عليه بعث عبيد اللّه بالشرط، فكبسوا داره[4]و أتوه بابن مفرّغ، فلم يشعر المنذر إلا بابن مفرّغ قد أقيم

على رأسه، فقام المنذر إلى عبيد اللّه بالشرط، فكبسوا داره[4]و أتوه بابن مفرّغ، فلم يشعر المنذر إلا بابن مفرّغ قد أقيم على رأسه، فقام المنذر إلى عبيد اللّه فكلّمه فيه فقال: أذكّرك اللّه-أيّها الأمير-أن تخفر[5]جواري فإني قد أجرته، فقال عبيد اللّه: يا منذر ليمدحنّ أباك و ليمدحنّك، و لقد هجاني و هجا أبي ثم تجيره عليّ، لا ها اللّه[6]لا يكون ذلك أبدا، و لا أغفرها له، فغضب المنذر، فقال له: لعلك تدلّ بكريمتك عندي، إن شئت و اللّه لأبينّها بتطليق البتّة، فخرج المنذر من عنده، و أقبل عبيد اللّه على ابن مفرّغ فقال له: بئسما صحبت به عبّادا. قال: بئسما صحبني به عبّاد، اخترته على سعيد و أنفقت [1]ف: «و يهجو ابني زياد» .

[2]ف: «بني سمية» .

[3]ب، مد، ما: «يا أستاذ بنو سعد» .

[4]كبسوا داره: هجموا عليه فجأة و احتاطوها.

[5]ب: «ألاّ تخفر» . يقال: خفره: أجاره و حماه، و حفره أيضا: نقض عهده و غدر به.

[6]لاها اللّه، أي لا و اللّه.

على صحبته كلّ ما أفدته و كلّ ما أملكه، [1]و ظننت أنه لا يخلو من عقل زياد و حلم معاوية و سماحة قريش، فعدل عن ظنّي كله[1]. ثم عاملني بكل قبيح، و تناولني بكلّ مكروه، من حبس و غرم و شتم و ضرب، فكنت كمن شام برقا خلّبا في سحاب جهام، فأراق ماءه طمعا فيه فمات عطشا، و ما هربت من أخيك إلا لمّا خفت من أن يجري فيّ إلى ما يندم عليه، و قد صرت الآن في يدك، فشأنك فاصنع بي ما أحببت، فأمر بحبسه.

عبيد اللّه يستأذن يزيد بن معاوية في قتله

و كتب إلى يزيد بن معاوية يسأله أن يأذن له في قتله، فكتب إليه: إيّاك و قتله، و لكن عاقبه بما ينكّله و يشدّ سلطانك، و لا تبلغ نفسه، فإنّ له عشيرة هي جندي و بطانتي، و لا ترضى بقتله منّي، و لا تقنع إلا بالقود / منك، فاحذر ذلك، و اعلم أنّه الجدّ منهم و مني، و أنك مرتهن بنفسه، و لك في دون تلفها مندوحة تشفي من الغيظ. فورد الكتاب على عبيد اللّه بن زياد، فأمر بابن مفرّغ فسقي نبيذا حلوا قد خلط معه الشّبرم[2]فأسهل بطنه، و طيف به و هو في تلك الحال، و قرن بهرّة و خنزيرة، فجعل يسلح و الصبيان يتبعونه و يقولون له بالفارسية: اين چيست؟فيقول:

آبست نبيذ است # عصارات زبيبست

سميّة روسبيد است[3]

:

و جعل كلما جرّ الخنزيرة ضجت، فجعل يقول: ضجّت سميّة لما لزّها[4]قرني # لا تجزعي إنّ شرّ الشّيمة الجزع

فجعل يطاف به في أسواق البصرة و الصّبيان خلفه يصيحون به، و ألح عليه ما يخرج منه حتى أضعفه فسقط، فعرف ابن زياد ذلك، فقيل: إنه لما به لا نأمن أن يموت، فأمر به أن يغسل، ففعلوا ذلك به، فلما اغتسل قال: /

يغسل الماء ما فعلت و قولي # راسخ منك في العظام البوالي

عبد اللّه يرده إلى الحبس

فردّه عبيد اللّه إلى الحبس، و أمر بأن يسلم محجما و قدّموا له علوجا، و أمر بأن يحجمهم، فكان يأخذ المشارط فيقطع بها رقابهم فيتوارون[5]منه، فتركه و ردّه إلى محبسه، و قامت الشّرط على رأسه تصبّ عليه السياط و يقولون له: احجمهم، فقال: /

و ما كنت حجّاما و لكني أحلّني # بمنزلة الحجّام نأيي عن الأهل[6]

(1-1) التكملة من «المختار» ، ف.

[2]الشبرم: نبات له حب كالعدس مسهل.

[3]هذه أبيات بالفارسية وردت في «الطبري» 6/177 و قد كثر فيها التحريف. و المعنى: الأولاد يسألون: ما هذا؟و يجيبهم ابن مفرغ: هذا ماء نبيذ، هذه عصارة نبيذ، هذه سمية البغي.

[4]لزها قرني: شدها و ألزمها إياه.

[5]ف: «فيهربون» .

[6] «المختار» : «عن الأصل» .

عباد بن زياد يجمع ما هجاه به و يرسله إلى معاوية

و قال عمر بن شبّة في خبره: جمع عبّاد بن زياد كلّ شيء هجاه به ابن مفرّغ، و كتب به إلى أخيه عبيد اللّه و هو يومئذ وافد على معاوية، فكان فيما كتب إليه قوله: إذا أودى معاوية بن حرب # فبشّر شعب قعبك[1]بانصداع

فأشهد أن أمّك لم تباشر # أبا سفيان واضعة القناع

و لكن كان أمر فيه لبس # على وجل شديد و امتناع[2]

و قوله:

ألا أبلغ معاوية بن حرب # مغلغلة من الرّجل اليماني

أ تغضب أن يقال أبوك عفّ # و ترضى أن يقال أبوك زاني

فأشهد أنّ رحمك[3]من زياد # كرحم الفيل من ولد الأتان

و أشهد أنها ولدت زيادا[4] # و صخر من سميّة غير داني

فدخل عبيد اللّه بن زياد على معاوية، فأنشده هذه الأشعار، و استأذنه في قتله فلم يأذن له و قال: أدّبه أدبا وجيعا منكّلا، و لا تتجاوز ذلك إلى القتل، و ذكر باقي الحديث كما ذكره من تقدم.

قالوا جميعا: و قال ابن مفرّغ يذكر جوار المنذر بن الجارود إيّاه و أمانه: تركت قريشا أن أجاور فيهم # و جاورت عبد القيس أهل المشقّر

/أناس أجارونا فكان جوارهم # أعاصير من قسو العراق المبذّر[5]

فأصبح جاري من خزيمة[6]قائما # و لا يمنع الجيران غير المشمّر[7]

يذكر ما فعله ابن زياد و يستشير قومه

و قال أيضا في ذلك:

أصبحت لا من بني قيس فتنصرني # قيس العراق و لم تغضب لنا مضر

و لم تكلّم قريش في حليفهم # إذ غاب ناصره بالشّام و احتضروا[8]

و اللّه يعلم ما تخفي النّفوس و ما # سرّى أميّة أو ما قال لي عمر

و قال لي خالد قولا قنعت به # لو كنت أعلم أنّى يطلع القمر

[1]ب، «المختار» : «قلبك» . و الشعب: الإصلاح و الالتئام. و القعب: القدح الضخم الغليظ.

[2] «المختار» :

«و ارتياع»

. و في «معجم الأدباء» 20/46:

«على عجل شديد و ارتياع»

.

[3]الرحم: القرابة. و روى في «الشعر و الشعراء» : و أشهد أنّ إلّك من زياد # كإلّ الفيل من ولد الأتان

[4]في «الشعر و الشعراء» :

«و أشهد أنها حملت زيادا»

.

[5]ف: «المشذر» ، و القسو: الغلظ و الصلابة.

[6]ب: «جزيمة» .

[7]المشمر: الجاد المصمم.

[8]احتضروا: جاءوا.

لو أنّني شهدتني حمير غضبت # دوني فكان لهم فيما رأوا عبر

أو كنت جار بني هند[1]تداركني # عوف بن نعمان أو عمران أو مطر

و قال أيضا يذكر ذلك و ما فعل به ابن زياد: دار سلمى بالخبث ذي الأطلال # كيف نوم الأسير في الأغلال

أين منّي السّلام من بعد نأي # فارجعي لي تحيّتي و سؤالي

أين منّي نجائبي و جيادي # و غزالي، سقى الإله غزالي

/أين لا أين جنّتي و سلاحي # و مطايا سيّرتها[2]لارتحالي

هدم الدّهر عرشنا فتداعى # فبلينا إذ كلّ عيش[3]بالي

إذ دعانا زواله فأجبنا # كلّ دنيا و نعمة لزوال

/أم قضينا حاجاتنا فإلى المو # ت مصير الملوك و الأقيال

لا و صومي لربّنا و زكاتي # و صلاتي أدعو بها و ابتهالي

ما أتيت الغداة أمرا دنيّا # و لدى اللّه كابر الأعمال[4]

أيّها المالك المرهّب بالقتل بلغت النّكال كلّ النّكال

فاخش نارا تشوي الوجوه و يوما # يقذف الناس بالدّواهي الثّقال

قد تعدّيت في القصاص و أدر # كت ذحولا لمعشر أقتال[5]

و كسرت السّنّ الصّحيحة منّي # لا تذلّن فمنكر إذلالي

و قرنتم مع الخنازير هرّا # و يميني مغلولة و شمالي

و كلابا ينهشنني من ورائي # عجب النّاس ما لهنّ و ما لي!

و أطلتم مع العقوبة سجنا # فكم السّجن أو متى إرسالي!

يغسل الماء ما صنعت و قولي # راسخ منك في العظام البوالي

لو قبلت الفداء أو رمت مالي # قلت: خذه فداء نفسي مالي[6]

لو بغيري من معشري لعب الدّهر لما ذمّ نصرتي و احتيالي

كم بكاني من صاحب و خليل # حافظ الغيب حامد للخصال[7]

ليت أنّي كنت الحليف للخم # و جذام أو طيّىء الأجمال[8]

بدلا من عصابة من قريش # أسلموني للخصم عند النّضال

[1]ب، ما، مد: «نهد» .

[2]ف: «يسرتها» .

[3]ف: «كل شيء» .

[4]ف: «كانت الأعمال» .

[5]الذحل: الثأر أو العداوة و الحقد، و الجمع ذحول. و الأقتال جمع قتل «بكسر القاف» و هو الشجاع أو المقاتل.

[6]ف: «فدى لنفسي مالي» .

[7]ف: «حامد لخصالي» .

[8]ف: «و طيئ الأجيال» .

البهاليل من بني عبد شمس # فضلوا النّاس بالعلا و الفعال

/و بنو التّيم تيم مرّة لمّا # لمع الموت في ظلال العوالي

منعوا البيت بيت مكّة ذا الحجر إذ الطّير عكّف في الظّلال[1]

و البهاليل خالد و سعيد # شمس دجن و وضّح كالهلال[2]

في الأرومات و الذّرى من بني العيص قروم إذا تعدّ المعالي

كنت منهم، ما حرّموا فحرام # لم يراموا، و حلّهم من حلال[3]

و ذوو المجد من خزاعة كانوا # أهل ودّي في الخصب و الإمحال

خذلوني و هم لذاك دعوني # ليس حامي الذّمار بالخذّال

لا تدعني فداك أهلي و مالي # إنّ حبليك من متين الحبال[4]

حسرتا إذ أطعت أمر غواتي[5] # و عصيت النّصيح ضلّ ضلالي

يهجو عبادا و يذكر سعيد بن عثمان

و قال يهجو عبّاد بن زياد و يذكر سعيد بن عثمان: أيها الشاتم جهلا سعيدا # و سعيد في الحوادث ناب

/ما أبوكم مشبها لأبيه # فاسألوا الناس بذاكم تجابوا

ساد عبّاد و ملّك[6]جيشا # سبّحت من ذاك صمّ صلاب

إنّ عاما صرت فيه أميرا # تملك النّاس لعام عجاب

يمحو ما كتبه من هجاء على الحيطان بأظافره

قال: و اتصل هجاؤه زيادا و ولده و هو في الحبس، فردّه عبيد اللّه إلى أخيه عبّاد بسجستان، و وكّل به رجالا و وجههم معه، و كان لما هرب من عبّاد يهجوه/و يكتب كلّ ما هجاه به على حيطان الخانات، و أمر عبيد اللّه الموكّلين به أن يأخذوه بمحو ما كتبه على الحيطان بأظافيره، و أمرهم ألاّ يتركوه يصلّي إلا إلى قبلة النصارى إلى المشرق، فكانوا إذا دخلوا بعض الخانات التي نزلها فرأوا فيها شيئا مما كتبه من الهجاء، أخذوه بأن يمحوه بأظافره، فكان يفعل ذلك و يحكّه حتى ذهبت أظافره، فكان يمحوه بعظام أصابعه و دمه، حتى سلّموه إلى عبّاد فحبسه و ضيّق عليه. قال عمر بن شبّة في خبره: فقال ابن مفرّغ: سرت تحت أقطاع من اللّيل زينب # سلام عليكم هل لما فات مطلب!

و يروى:

[1]ف: «كالظلال» .

[2]ف:

«و الكريمان خالد و سعيد»

...

«و واضح كالهلال»

.

[3]ف:

«و حلهم بحلالي»

.

[4]ف: «متان الحبال» .

[5]ف:

«إذ أطعت فيك غواتي»

.

[6]ب: «و مالأ جيشا» .

ألا طرقتنا آخر اللّيل زينب # أصاب عذابي[1]اللون فاللّون شاحب

كما الرأس من هول المنيّة أشيب # قرنت بخنزير و هرّ و كلبة

زمانا و شان الجلد ضرب مشذّب # و جرّعتها صهباء من غير لذّة

تصعّد في الجثمان ثم تصوّب # و أطعمت ما إن لا يحلّ لآكل[2]

و صلّيت شرقا بيت مكّة مغرب # من الطّفّ مجنوبا[3]إلى أرض كابل

فملّوا و ما ملّ الأسير المعذّب # فلو أنّ لحمي إذ هوى لعبت به

كرام الملوك أو أسود و أذؤب # لهوّن وجدي أو لزادت بصيرتي

و لكنما أودت بلحمي أكلب # أ عبّاد ما للّؤم عنك محوّل

و لا لك أمّ في قريش و لا أب # سينصرني من ليس تنفع عنده

رقاك و قرم من أميّة مصعب[4] # /و قل لعبيد اللّه: ما لك والد

بحقّ و لا يدري امرؤ كيف تنسب!

في أول هذا الشعر غناء نسبته.

صوت

ألا طرقتنا آخر اللّيل زينب # سلام عليكم هل لما فات مطلب!

و قالت: تجنّبنا و لا تقربنّنا # فكيف و أنتم حاجتي أتجنّب!

الغناء لسياط ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ.

استثارته قومه ببيتين يقرءان على المصلين بجامع دمشق

و قالوا جميعا: فلما طال مقام ابن مفرّغ في السجن استأجر رسولا إلى دمشق، و قال له: إذا كان يوم الجمعة فقف على درج جامع[5]دمشق، ثم اقرأ هذين البيتين بأرفع ما يمكنك من صوتك، و كتبهما في رقعة، و هما: أبلغ لديك بني قحطان قاطبة # عصّت بأير أبيها سادة اليمن

أضحى دعيّ زياد فقع قرقرة[6] # -يا للعجائب-يلهو بابن ذي يزن!

ففعل الرسول ما أمره به، فحميت اليمانية و غضبوا له، و دخلوا على معاوية فسألوه فيه/فدفعهم[7]عنه، فقاموا غضابا، و عرف معاوية ذلك في وجوههم، فردّهم و وهبه لهم، و وجّه رجلا من بني أسد يقال له خمخام

[1]ما، مد: «عداتي» .

[2]ما، مد، ب:

«و أطعمت مالا إن يحل لآكل»

.

[3]ب: «مجلوبا» ، و مجنوبا أي مقودا إلى جنب فرس.

[4]القرم: السيد. و المصعب: الفحل.

[5]ف: «مسجد» .

[6]يقال للذليل: هو أذل من فقع بقرقرة أو بقرقر، أي أذل من كمأة في أرض منخفضة؛ لأنه لا يمتنع على من جناه، أو لأنه يداس بالأرجل. و في مد، ما: «فوق قرقرة» . و في ب: «نقع قرقرة» ، تحريف.

[7]ف: «فدافعهم عنه» .

-و يقال: جهثام-بريدا إلى عبّاد، و كتب له عهدا، و أمره بأن يبدأ بالحبس فيخرج ابن مفرّغ منه و يطلقه، قبل أن يعلم عبّاد فيم قدم فيغتاله، ففعل ذلك به، فلما خرج من الحبس قرّبت إليه بغلة من بغال البريد فركبها، فلما استوى على ظهرها قال: عدس[1]ما لعبّاد عليك إمارة # نجوت و هذا تحملين طليق

/فإن الّذي نجّى من الكرب بعد ما # تلاحم في درب عليك مضيق

أتاك بخمخام فأنجاك فالحقي # بأهلك[2]لا تحبس عليك طريق

لعمري لقد أنجاك من هوّة الرّدى # إمام و حبل للأنام وثيق

سأشكر ما أوليت من حسن نعمة # و مثلي بشكر المنعمين حقيق[3]

معاوية يعفو عنه

قال عمر بن شبّة في خبره، و وافقه لقيط بن بكير: فلما أدخل على معاوية بكى و قال: ركب مني ما لم يركب من مسلم قطّ، على غير حدث في الإسلام و لا خلع يد من طاعة و لا جرم، فقال: أ لست القائل: ألا أبلغ معاوية بن حرب # مغلغلة من الرّجل اليماني

أ تغضب أن يقال أبوك عفّ # و ترضى أن يقال أبوك زان!

فأشهد أنّ رحمك من زياد # كرحم الفيل من ولد الأتان[4]

و أشهد أنّها ولدت زيادا[5] # و صخر من سميّة غير دان

فقال: لا و الذي عظّم حقّك يا أمير المؤمنين ما قلته، و لقد بلغني أنّ عبد الرحمن بن الحكم قاله و نسبه إليّ.

قال: أ فلم تقل:

شهدت بأنّ أمّك لم تباشر # أبا سفيان واضعة القناع

و لكن كان أمر فيه لبس # على وجل شديد و ارتياع

أ و لست القائل:

إنّ زيادا و نافعا و أبا # بكرة عندي من أعجب العجب

/إنّ رجالا ثلاثة خلقوا # في رحم أنثى ما كلهم لأب

ذا قرشيّ كما يقول، و ذا # مولى، و هذا بزعمه عربي

في أشعار كثيرة قلتها في هجاء زياد و بنيه، اذهب فقد عفوت عن جرمك، و لو إيّانا تعامل لم يكن شيء مما كان، فاسكن أيّ أرض شئت[6].

‴

فاختار الموصل فنزلها، ثمّ ارتاح إلى البصرة فقدمها، فدخل على عبيد اللّه بن [1]عدس: اسم البغلة، أو كلمة زجر للبغال.

[2]ب: «بأرضك» . و في ف: «فنجاك فالحقن» .

[3] «التجريد» ، ف: «خليق» .

[4]انظر الحاشية رقم 4 ص 265.

[5]انظر الحاشية رقم 5 ص 265.

[6]ف: «أحببت» .

زياد، و اعتذر إليه و سأله الصّفح و الأمان، فأمّنه و أقام بها مدّة، ثمّ دخل عليه بعد أن أمّنه فقال: أصلح اللّه الأمير، إني قد ظننت أنّ نفسك لا تطيب لي بخير أبدا، و لي أعداء لا آمن سعيهم عليّ بالباطل، و قد رأيت أن أتباعد، فقال له: إلى أين شئت؟فقال: كرمان، فكتب له إلى شريك بن الأعور و هو عليها بجائزة و قطيعة/و كسوة، فشخص فأقام بها حتى هرب عبيد اللّه من البصرة، فعاد إليها. هذه رواية عمر بن شبّة.

رواية أخرى في سبب إنقاذه من ابني زياد

و قال محمد بن خلف في روايته، عن أحمد بن الهيثم، عن المدائنيّ، و عن العمريّ، عن لقيط: أنّ ابن مفرّغ لمّا طال حبسه و بلاؤه، ركب طلحة الطّلحات إلى الحجاز، و لقي قريشا-و كان ابن مفرّغ حليفا لبني أميّة-فقال لهم طلحة: يا معشر قريش، إنّ أخاكم و حليفكم ابن مفرّغ قد ابتلي بهذه الأعبد من بني زياد، و هو عديدكم و حليفكم و رجل منكم، و و اللّه ما أحب أن يجري اللّه عافيته على يدي دونكم، و لا أفوز بالمكرمة في أمره و تخلوا منها، فانهضوا معي بجماعتكم إلى يزيد بن معاوية، فإنّ أهل اليمن قد تحرّكوا بالشّام، فركب خالد بن عبد اللّه بن خالد[1]بن أسيد، و أمية بن عبد اللّه أخوه، و عمر بن عبيد اللّه بن معمر، و وجوه خزاعة[2]و كنانة /و خرجوا إلى يزيد، فبينا هم يسيرون ذات ليلة إذ سمعوا راكبا يتغنّى في سواد الليل بقول ابن مفرّغ و يقول: إنّ تركي ندى سعيد بن عثما # ن بن عفّان[3]ناصري و عديدي

و اتّباعي أخا الصّراعة و اللّؤ # م لنقص و فوت شأو بعيد

قلت و اللّيل مطبق بعراه: # ليتني متّ قبل ترك سعيد

ليتني متّ قبل تركي أخا النّجـ # دة و الحزم و الفعال السّديد

عبشميّ أبوه عبد مناف # فاز منها بتاجها المعقود

ثمّ جود لو قيل: هل من مزيد[4] # قلت للسائلين: ما من مزيد

قل لقومي لدى الأباطح من آ # ل لؤيّ بن غالب ذي الجود: سامني بعدكم دعيّ زياد # خطّة الغادر[5]اللئيم الرّهيد

كان ما كان في الأراكة و اجتـ # بّ ببرد سنام عيسى و جيدي

أوغل العبد في العقوبة و الشّتـ # م و أودى بطارفي و تليدي

فارحلوا في حليفكم و أخيكم # نحو غوث المستصرخين يزيد

فاطلبوا النّصف[6]من دعيّ زياد # و سلوني بما ادّعيت شهودي

قال: فدعا القوم بالراكب فقالوا له: ما هذا الذي سمعناه منك تغنّي به؟فقال: هذا قول رجل و اللّه إنّ أمره لعجب، رجل ضائع بين قريش و اليمن، و هو رجل الناس، قالوا: و من هو؟قال: ابن مفرّغ، قالوا: /و اللّه ما رحلنا [1]ب: «إلى خالد بن أسيد» .

[2]ب: «في وجوه خزاعة» .

[3]في «الشعر و الشعراء» :

«... سعيد بن عثمان # فتى الجود... »

.

[4]ب: «لو قيل فيه مزيد» .

[5]ف:

«خطة العار و اللئيم الزهيد»

.

[6]النصف: الإنصاف.

إلا فيه، و انتسبوا له، فضحك و قال: أ فلا أسمعكم من قوله أيضا؟ قالوا: بلى، فأنشدهم قوله: لعمري لو كان الأسير ابن معمر # و صاحبه أو شكله ابن أسيد

و لو أنّهم نالوا أميّة أرقلت[1] # براكبها الوجناء نحو يزيد

فأبلغت عذرا في لؤيّ بن غالب # و أتلفت فيهم طارفي و تليدي

فإن لم يغيّرها الإمام بحقّها # عدلت إلى شمّ شوامخ صيد

فناديت فيهم دعوة يمنيّة # كما كان آبائي دعوا و جدودي

/و دافعت حتّى أبلغ الجهد عنهم # دفاع امرئ في الخير غير زهيد

فإن لم تكونوا عند ظنّي بنصركم # فليس لها غير الأغرّ سعيد

بنفسي و أهلي ذاك حيّا و ميّتا # نضار و عود المرء أكرم عود

فكم من مقام في قريش كفيته # و يوم يشيب الكاعبات شديد

و خصم تحاماه لؤيّ بن غالب # شببت له ناري فهاب وقودي

و خير كثير قد أفأت عليكم # و أنتم رقود أو شبيه رقود

قال: فاسترجع القوم لقوله و قالوا: و اللّه لا نغسل رءوسنا في العرب إن لم نغسلها[2]بفكّه. فأغذّ القوم السّير حتى قدموا الشّأم.

وفد اليمانية يذهب إلى يزيد بن معاوية

و بعث ابن مفرّغ[3]رجلا من بني الحارث بن كعب، فقام على سور حمص، فنادى بأعلى صوته الحصين[4] ابن نمير-و كان والي حمص-بهذه الأبيات و كان عظيم الجبهة: /

أبلغ لديك بني قحطان قاطبة # عضّت بأير أبيها سادة اليمن

أمسى دعيّ زياد فقع قرقرة # يا للعجائب يلهو بابن ذي يزن!

و الحميريّ طريح وسط مزبلة # هذا لعمركم غبن من الغبن

و الأجبه ابن نمير فوق مفرشه # يدنو إلى أحور العينين ذي غنن[5]

قوموا فقولوا: أمير المؤمنين لنا # حقّ عليك و منّ ليس كالمنن

فاكفف دعيّ زياد عن أكارمنا # ما ذا يريد على الأحقاد و الإحن[6]

فاجتمعت اليمانية إلى حصين، فعيّروه بما قاله ابن مفرّغ، فقال الحصين: ليس لي رأي دون يزيد بن أسد، و مخرمة بن شرحبيل، فأرسل إليهما، فاجتمعوا في منزل الحصين، فقال لهما الحصين: اسمعا ما أهدى إليّ

شاعركم و قاله لكم في أخيكم-يعني نفسه-و أنشدهم، فقال يزيد بن أسد: قد جئتكم بأعظم من هذا، و هو قوله: [1]أرقلت: أسرعت، من الإرقال و هو ضرب من الخبب.

[2]مد: «إن لم يغتسلها» . و في ما: «إن لم نغتسلها» . و في ف: «إن لم نستقلها» .

[3]ب: «و بعث إلى ابن مفرغ رجلا... » تحريف.

[4]ف: «الحصن بن نمير» .

[5]الأجبه: العظيم الجبهة. و الغنن جمع غنة، و هو صوت من اللهاة و الأنف.

[6]ب، ما، مد:

«ما ذا تريد إلى الأحقاد و الإحن»

.

و ما كنت حجّاما و لكن أحلّني # بمنزلة الحجّام نأيي عن الأصل[1]

فقال الحصين: و اللّه لقد أساء إلينا أمير المؤمنين في صاحبنا مرّتين، إحداهما أنه هرب إليه فلم يجره، و أخرى أنّه أمر بعذابه غير مراقب لنا فيه، و قال يزيد بن أسد: إنّي لأظن أنّ طاعتنا ستفسد و يمحوها ما فعل[2] بابن مفرّغ، و لقد تطلّع من نفسي شيء، للموت أحبّ إليّ منه. و قال مخرمة بن شرحبيل: أيها الرّجلان، اعقلا فإنه لا معاوية لكما[3]، و اعرفا أنّ صاحبكما لا تقدح فيه الغلظة، فاقصدا التّضرّع، فركب القوم إلى دمشق/و قدموا على يزيد بن معاوية، و قد سبقهم الرّجل، فنادى بذلك الشّعر يوم الجمعة على درج مسجد دمشق، فثارت اليمانية و تكلّموا، و مشى بعضهم إلى بعض، و قدم وفد القرشيّين في أمره مع طلحة الطّلحات، فسبقوا القرشيّين، و دخلوا على يزيد بن معاوية، فتكلم الحصين بن نمير، فذكر بلاءه و بلاء قومه و طاعتهم، و قال: يا أمير المؤمنين، إنّ الذي أتاه ابن زياد إلى صاحبنا، لا قرار عليه، و قد سامنا عبيد اللّه و عبّاد خطّة خسف، و قلّدانا قلادة عار، فأنصف /كريمنا من صاحبه، فو اللّه لئن قدرنا لنعفونّ، و لئن ظلمنا لننتصرنّ. و قال يزيد بن أسد: يا أمير المؤمنين، إنّا لو رضينا بمثلة ابن زياد بصاحبنا و عظيم ما انتهك منه، لم يرض اللّه عزّ ذكره بذلك[4]و لئن تقرّبنا إليك بما يسخط اللّه ليباعدنّنا اللّه منك، و إن يمانيّتك قد نفرت لصاحبها نفرة طار غرابها، و ما أدري متى يقع، و كلّ نائرة[5]تقدح في الملك و إن صغرت لم يؤمن أن تكبر، و إطفاؤها خير من إضرامها لا سيما إذا كانت في أنف لا يجدع، و يد لا تقطع، فأنصفنا من ابني زياد[6].

و قال مخرمة بن شرحبيل، و كان متألّها عظيم الطاعة في أهل اليمن: إنه لا يد تحجزك[7]عن هواك، و لو مثّلت بأخينا و تولّيت ذلك منه بنفسك لم يقم فيه قائم و لم يعاتبك فيه معاتب، و لكنّ ابني زياد استخفّانا[8]بما يثقل عليك من حقّنا، /و تهاونا بما تكرمه منّا، و أنت بيننا و بين اللّه، [9]و نحن بينك و بين الناس[9]، فأنصفنا من صاحبيك، و لينفعنا بلاؤنا عندك.

فقال يزيد: إنّ صاحبكم أتى عظيما؛ نفى زيادا من أبي سفيان، و نفى عبّادا و عبيد اللّه من زياد، و قلّدهم طوق الحمامة، و ما شجّعه على ذلك إلا نسبه فيكم، و حلفه في قريش، فأمّا إذ بلغ الأمر ما أرى، و أشفى بكم على ما أشفى، فهو لكم، و عليّ رضاكم.

وفد القرشيين يقابل يزيد بن معاوية

قال: و انتهى القرشيّون إلى الحاجب فاستأذن لهم، و قال لليمانيّين: قد أتتكم برى الذهب من أهل العراق، [1]ف: «الأهل» .

[2]ف: «ما صنع» .

[3]يشير إلى حلم معاوية الذي مات، و غضب يزيد.

[4]ف: «لم يرض اللّه عمّن رضي بذلك» .

[5]النائرة: العداوة و الشحناء.

[6]ف: «ابن زياد» .

[7]في ب، مد: «إنه لا يدع تحجزك عن هواك دون اللّه و لو مثلت... الخ» .

[8]ف: «استخفا بما يثقل عليك من حقنا» .

(9-9) التكملة من ف.

فدخلوا و سلّموا و الغضب يتبيّن[1]في وجوههم، فظنّ يزيد الظنون، و قال لهم: ما لكم؟انفتق فتق أو حدث حدث فيكم؟قالوا: لا، فسكن.

فقال طلحة الطّلحات:

يا أمير المؤمنين، أ ما كفى العرب ما لقيت من زياد، حتى استعملت عليها ولده يستكثرون لك أحقادها، و يبغّضونك إليها، إنّ عبيد اللّه و أخاه أتيا إلى ابن مفرّغ ما قد بلغك، فأنصفنا منهما إنصافا تعلم العرب أنّ لنا منك خلفا من أبيك، فو اللّه، لقد خبأ لك فعلهما خبئا عند أهل اليمن لا تحمده لك، و لا تحمده لنفسك.

و تكلّم خالد بن عبد اللّه بن خالد بن أسيد فقال:

يا أمير المؤمنين، إنّ زيادا ربّي في شرّ حجر، و نشأ في أخبث نشء، فأثبتّم نصابه في قريش، و حملتموه[2] على رقاب الناس، فوثب ابناه على أخينا و حليفنا/و حليفك، ففعلا به الأفاعيل التي بلغتك، و قد غضبت له قريش الحجاز و يمن الشّأم ممّن لا أحبّ و اللّه لك غضبه، فأنصفنا من ابني زياد.

و تكلم أخوه أميّة بنحو ممّا تكلم أخوه و قال:

و اللّه يا أمير المؤمنين لا أحطّ رحلي، و لا أخلع ثياب سفري، أو تنصفنا من ابني زياد، أو تعلم العرب أنك قد قطعت أرحامنا، و وصلت ابني زياد بقطعنا، و حكمت بغير الحقّ لهما علينا.

و قال ابن معمر: يا أمير المؤمنين، إنّ ابن مفرّغ طالما ناضل عن عرضك و عرض أبيك و أعراض قومك، و رمى عن جمرة أهلك، و قد أتى بنو زياد فيه ما لو كان معاوية حيّا لم يرض به، و هذا رجل له شرف في قومه، و قد نفروا له نفرة لها ما بعدها، فأعتبهم و أنصف الرجل[3]و لا تؤثر مرضاة ابني زياد على مرضاة اللّه عزّ و جلّ.

يزيد يرحب بالوفدين و يرسل من يطلق ابن مفرغ

فقال يزيد: مرحبا بكم و أهلا، و اللّه لو أصابه خالد ابني بما ذكرتم لأنصفته منه، و لو رحلتم في جميع ما تحيط به العراق لوهبته لكم، و ما عندي إلا إنصاف المظلوم، و لكنّ صاحبكم/أسرف على القوم. و كتب يزيد ببناء داره، و ردّ ماله و تخلية سبيله، و ألاّ إمرة لأحد من بني زياد عليه، و قال: لو لا أنّ في القود بعد ما جرى منه فسادا في الملك لأقدته من عبّاد.

و سرّح يزيد رجلا من حمير يقال له خمخام، و كتب معه إلى عبّاد بن زياد: نفسك نفسك و أن تسقط من ابن مفرّغ شعرة فأقيدك و اللّه به، و لا سلطان لك و لا لأخيك و لا لأحد غيري عليه، فجاء خمخام حتى انتزعه جهارا من الحبس[4]بمحضر الناس و أخرجه.

دخوله على يزيد و ما دار بينهما

قالوا: فلما دخل على يزيد قال له: يا أمير المؤمنين، اختر منّي خصلة من ثلاث خصال، في كلّها لي فرج، [1]ف: «بيّن» .

[2]ب، مد، ما: «فأثبتهم نصابه في قريش و حملت... الخ» .

[3]ف: «فأعنهم و أنصفهم من الرجل» .

[4]ب، ما، مد: «من المجلس» . ـ

إما أن تقيدني من ابن زياد، و إما أن تخلّي بيني و بينه، و إما أن تقدّمني فتضرب عنقي.

فقال له يزيد: قبّح اللّه ما اخترته و خيّرتنيه[1]؛ أما القود من ابن زياد فما كنت لأقيدك من عامل كان عليك، ظلمته و شتمت عرضه و عرضي معه، و أما التّخلية بينك و بينه فلا، و لا كرامة، ما كنت لأخلّي بينك و بين أهلي تقطع أعراضهم، و أما ضرب عنقك، فما كنت لأضرب عنق مسلم من غير أن يستحقّ ذلك، و لكني أفعل ما هو خير لك مما اخترته لنفسك؛ أعطيك ديتك، فإنهم قد عرّضوك للقتل، و اكفف عن ولد زياد، فلا يبلغني أنك ذكرتهم، و انزل أيّ البلاد شئت، و أمر له بعشرة آلاف درهم.

اعتذاره لعبيد اللّه بن زياد

فخرج حتى أتى الموصل و أقام بها ما شاء اللّه، ثم خرج ذات يوم يتصيّد، فلقي دهقانا على حمار له، فقال: من أين أقبلت؟قال: من العراق، قال: من أيّها؟قال: من البصرة، ثم من الأهواز[2]، قال: فما فعل المسرقان[3]؟قال: على حاله، قال: أ فتعرف أناهيد بنت أعنق؟قال: نعم، قال: ما فعلت؟قال: على أحسن ما عهدت.

قال: فضرب برذونه و سار حتى أتى الأهواز، و لم يعلم أهله و لا غيرهم بمسيره.

ثم أتى عبيد اللّه بن زياد، فدخل عليه و اعتذر إليه، و سأله الأمان فأمّنه، ثم سأله أن يكتب له إلى شريك بن الأعور، فكتب له و وصله.

عودته إلى البصرة و هجاؤه بني زياد

و خرج فأقام بكرمان حتى غلب ابن الزّبير على العراق، و هرب ابن زياد/و كان أهل البصرة قد أجمعوا على قتله، فخرج عن البصرة هاربا، فعاد ابن مفرّغ إلى البصرة، و عاود هجاء بني زياد، فقال يذكر هرب عبيد اللّه و تركه[4]أمّه بقوله: أ عبيد هلاّ كنت أوّل فارس # يوم الهياج دعا بحتفك داع

أسلمت أمّك و الرّماح تنوشها # يا ليتني لك ليلة الإفزاع

إذ تستغيث و ما لنفسك مانع # عبد تردّده بدار ضياع

هلاّ عجوزك إذ تمدّ بثديها # و تصيح ألاّ تنزعنّ قناعي

أنقذت من أيدي العلوج كأنها # رداء مجفلة ببطن القاع[5]

فركبت رأسك ثم قلت: أرى العدا # كثروا و أخلف موعدي أشياعي[6]

فانجي بنفسك و ابتغى نفقا فما # لي طاقة[7]بك و السلام و داعي

[1]ف: «و خيرته» .

[2]ب، ما، مد: «من الإيوان» .

[3]المشرقان: نهر بخوزستان عليه عدة قرى («معجم البلدان») .

[4]ف: «و يذكر أمه» .

[5] «المختار» ، ف: «من أيدي العبيد» . و الربداء: السوداء الضاربة إلى الغبرة. يشبهها بالنعامة. و في ف: «ربداء مخلفة» .

[6]ب: «و أخلف موعد الأشياع» .

[7]ف، «المختار» : «لي حيلة» .

ليس الكريم بمن يخلّف أمّه # و فتاته في المنزل الجعجاع[1]

حذر المنيّة و الرّماح تنوشه # لم يرم دون نسائه بكراع[2]

متأبّطا سيفا عليه يلمق[3] # مثل الحمار أثرته بيفاع

/لا خير في هذر يهزّ[4]لسانه # بكلامه و القلب غير شجاع

لابن الزّبير غداة يذمر[5]منذرا # أولى بغاية كلّ يوم وقاع

و أحقّ بالصبر الجميل من امرئ # كزّ أنامله قصير الباع

جعد اليدين عن السّماحة[6]و النّدى # و عن الضّريبة فاحش منّاع

/كم يا عبيد اللّه[7]عندك من دم # يسعى ليدركه بقتلك ساع

و معاشر أنف أبحت حريمهم # فرّقتهم من بعد طول جماع

اذكر حسينا و ابن عروة هانئا # و ابني عقيل فارس المرباع

و قال أيضا يذكر هربه:

أقرّ بعيني أنّه عقّ أمّه[8] # دعته فولاّها استه و هو يهرب

و قال: عليك الصبر كوني سبيّة # كما كنت أو موتي؛ فذلك أقرب

و قد هتفت هند: بما ذا أمرتني؟ # أبن لي و حدّثني إلى أين أذهب؟

فقال: اقصدي للأزد في عرصاتها[9] # و بكر فما إن عنهم متجنّب

أخاف تميما و المسالح[10]دونها # و نيران أعدائي عليّ تلهّب

و ولّى و ماء العين يغسل وجهها[11] # كأن لم يكن و الدّهر بالناس قلّب

بما قدّمت كفّاك لا لك مهرب # إلى أيّ قوم و الدّماء تصبّب

فكم من كريم قد جررت جريرة # عليه فمقبور و عان يعذّب

و من حرّة زهراء قامت بسحرة # تبكّي قتيلا أو صدى يتأوّب[12]

فصبرا عبيد بن العبيد فإنما # يقاسي الأمور المستعدّ المجرّب

و ذق كالذي قد ذاق منك معاشر # لعبت بهم إذ أنت بالنّاس تلعب

[1]الجعجاع: الضيق الخشن الغليظ.

[2]الكراع: الخيل. و يقال: فلان ما ينضح الكراع أي ضعيف الدفاع.

[3]اليلمق: القباء.

[4]ف: «يهد لسانه» .

[5]يذمر: يهدد.

[6]ب، ف: «على السماحة» .

[7]ف: «يا عدي اللّه» .

[8]ب: «أفر عبيد و السيوف عن أمه» .

[9]العرصة: ساحة الدار، و هي البقعة الواسعة بين الدور التي ليس فيها بناء.

[10]المسالح جمع مسلحة و هي موضع السلاح أو القوم ذوو السلاح.

[11]ف: «يغسل جفنها» .

[12]ف: «و كم حرّة زهراء» . و في ب، ما: «أو فتى يتأوب» . و يتأوب: يرجع.

فلو كنت حرّا أو حفظت وصيّة # عطفت على هند و هند تسحّب

/و قاتلت حتى لا تري لك مطمعا[1] # بسيفك في القوم الذين تحزّبوا

و قلت لأمّ العبد أمّك: إنني # و إن كثر الأعداء حام مذبّب[2]

و لكن أبى قلب أطيرت بناته[3] # و عرق لكم في آل ميسان يضرب

و قال في ذلك أيضا:

ألا أبلغ عبيد اللّه عنّي # عبيد اللّؤم عبد بني علاج

عليّ لكم قلائد باقيات # يثرن عليكم نقع العجاج

تدعّيت الخضارم من قريش # فما في الدّين بعدك من حجاج[4]

أبن لي هل بيثرب زندورد # قرى آبائك النّبط العجاج![5]

و قال فيه أيضا:

عبيد اللّه عبد بني علاج # كذاك نسبته و كذاك كانا

أعبد الحارث الكنديّ ألا # جعلت لإست أمّك ديدبانا[6]

/فتستر عورة كانت قديما # و تمنع أمّك النّبط البطانا

و قال يهجو عبيد اللّه و عبّادا، أنشدناه جماعة، منهم هاشم بن محمد الخزاعيّ، عن دماذ، عن أبي عبيدة، و هذا من قصيدة له طويلة أوّلها: جرت أمّ الظّباء ببين ليلى # و كلّ وصال حبل لانقطاع

/يقول فيها:

و ما لاقيت من أيّام بؤس[7] # و لا أمر يضيق به ذراعي

و لم تك شيمتي عجزا و لؤما # و لم أك بالمضلّل في المساعي

سوى يوم الهجين و من يصاحب # لئام الناس يغض على القذاع[8]

حلفت بربّ مكّة لو سلاحي # بكفي[9]إذ تنازعني متاعي

لباشر أمّ رأسك مشرفيّ # كذاك دواؤنا وجع الصّداع

[1]ف: «مطعما» .

[2]مذبب: مدافع.

[3]ب: «ثيابه» .

[4]ف: «خلاج» . و الخضارم جمع خضرم، و هو السيد الحمول أو الجواد المعطاء.

[5]ما، مد:

«بربي إيليا النبط العجاج»

. و في ب، س:

«فربي إيليا... »

. و زندورد: بلد قرب واسط، و العجاج: رعاع الناس («قاموس») .

[6]الديدبان: الرقيب.

[7]ف: «شرّ» .

[8]القذاع: الفحش و المشاتمة.

[9]ف: «لو بكفي سلاحي» .

أ في أحسابنا تزري علينا # هبلت و أنت زائدة الكراع[1]

تبغّيت الذّنوب عليّ جهلا # جنونا ما جننت ابن اللّكاع[2]

فما أسفي على تركي سعيدا # و إسحاق بن طلحة و اتّباعي

ثنايا الوبر عبد بني علاج # عبيدة[3]فقع قرقرة بقاع

إذا ما راية رفعت لمجد # و ودّع أهلها خير الوداع

فأير في است أمّك من أمير # كذاك يقال للحمق اليراع[4]

و لا بلّت سماؤك من أمير # فبئس معرّس الرّكب الجياع[5]

أ لم تر إذ تحالف حلف حرب # عليك غدوت[6]من سقط المتاع

و كدت تموت أن صاح ابن آوى # و مثلك مات من صوت السّباع

و يوم فتحت سيفك من بعيد # أضعت و كلّ أمرك للضّياع

إذا أودى معاوية بن حرب # فبشّر شعب قعبك[7]بانصداع/

فأشهد أنّ أمّك لم تباشر # أبا سفيان واضعة القناع

و لكن كان أمرا فيه لبس # على عجل شديد و ارتياع

قال: و كان عبّاد في بعض حروبه ذات ليلة نائما في عسكره، فصاحت بنات آوى، فثارت الكلاب إليها، و نفر بعض الدّوابّ ففزع عبّاد و ظنها كبسة من العدوّ، فركب فرسه و دهش، فقال: افتحوا سيفي، فعيّره بذلك ابن مفرّغ.

و مما قاله ابن مفرّغ في هجاء بني زياد و غنّي فيه:

صوت

كم بالدّروب و أرض الهند من[8]قدم # و من جماجم قتلى ما هم قبروا

و من سرابيل أبطال مضرّجة # ساروا إلى الموت ما خاموا[9]و لا ذعروا

بقندهار[10]و من تحتم منيّته # بقندهار يرجّم دونه الخبر

غنّى في هذه الأبيات ابن جامع:

أجدّ أهلك، لا يأتيهم خبر # منّا و لا منهم عين و لا أثر

و لم تكلّم قريش في حليفهم # إذ غاب أنصاره بالشّام و احتضروا/

[1]ف: «و أنت هبلت زائدة الكراع» . و الكراع من كل شيء: طرفه.

[2]امرأة لكاع: لئيمة، و لم يرد هذا البيت في ف.

[3]ف: «عبيدا» . و الوبر: حيوان في حجم الأرنب.

[4]اليراع: الجبان. و جاء هذا البيت في ف مكان الذي قبله.

[5] «و لا بلت سماؤك» : يدعو عليه بالجدب. و المعرّس: مكان التعريس أي النزول.

[6]ف: «عددت» .

[7]القعب: القدح الضخم. و في «المختار» : «شعب قلبك» .

[8]ب، ما، مد:

«... و أرض الروم من قرم»

. و في «معجم ياقوت» :

«كم بالجروم... »

.

[9]خاموا: جبنوا. و في ف: «ما خافوا» .

[10]في «معجم ياقوت» : قندهار: مدينة من بلاد السند أو الهند، سار إليها عباد بن زياد و فتحها.

لو أنّني شهدتني حمير غضبت # إذا فكان لها فيما جرى غير

رهط الأغرّ شراحيل بن ذي كلع # و رهط ذي فائش ما فوقهم بشر[1]

قولا لطلحة ما أغنت صحيفتكم # و هل لجارك إذ أوردته صدر!

/فمن لنا بشقيق أو بأسرته # و من لنا ببني ذهل إذا خطروا!

هم الذين سموا و الخيل عابسة # و الناس عند زياد كلهم حذر

لولاهم كان سلاّم بمنزلتي # أولى لهم ثمّ أولى بعد ما ظفروا

أخبرني محمد بن خلف، عن أبي بكر العامريّ، عن إسحاق بن محمد، عن القحذميّ[2]قال: هجا سلام الرّافعيّ مقاتل[3]بن مسمع فقال فيه: أبى لك يا ذا المجد أنّ مقاتلا # زنى و استحلّ الفارسيّ المشعشعا[4]

في أبيات هجاه بها فحبسه مقاتل بالعربة[5]فركب شقيق بن ثور في جماعة من بني ذهل إلى الحبس فأخرجه؛ فضرب به ابن مفرّغ المثل في الشّعر الماضي.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدّثني أبو عبد اللّه اليمانيّ، قال: حدّثنا الأصمعيّ، عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد قال: قال لي عبيد اللّه بن زياد: ما هجيت بشيء أشدّ عليّ من قول ابن مفرّغ: فكّر؛ ففي ذاك إن فكّرت معتبر # هل نلت مكرمة إلا بتأمير!

عاشت سميّة ما تدري و قد عمرت # أنّ ابنها من قريش في الجماهير

و روى[6]اليزيديّ في روايته عن الأحول: قال أبو عبيدة:

كان زياد يزعم أنّ أمّه سميّة بنت الأعور من بني عبد شمس بن زيد مناة بن تميم، فقال ابن مفرّغ يردّ ذلك عليه: فأقسم ما زياد من قريش # و لا كانت سميّة من تميم

و لكن نسل عبد من بغيّ # عريق الأصل في النّسب اللّئيم

يتابع هجاء ابن زياد و يرميه بالأبنة

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثنا أبو غسّان دماذ قال: أنشدني أبو عبيدة لابن مفرّغ يهجو ابن زياد و يرميه بالأبنة: أبلغ قريشا قصّها و قضيضها # أهل السّماحة و الحلوم الرّاجحه

[1]ب: «ذي قابس» . و في ما: «ما مثلهم بشر» .

[2]ما، مد، ب: الفخذمي «تصحيف» . و القحذمي هو الوليد بن هشام القحذمي.

[3]ف: «مهلهل بن مسمع» .

[4]ب، مد: «أ ما لك... » . و استحل الفارسيّ المشعشعا يريد الخمر.

[5]العربة: موضع. و في مد: «بالغربة» ، تصحيف. و في ب: «بالغرفة» ، تحريف.

[6]ف: «و قال اليزيدي» .

أنّي ابتليت بحيّة ساورته[1] # بيد لعمري لم تكن لي رابحه

صفق المبخّل صفقة ملعونة # جرّت عليه من البلايا فادحه[2]

شتّان من بطحاء مكّة داره # و بنو المضاف إلى السّباخ المالحة

جعدت أنامله و لام نجاره # و بذاك تخبرنا الظّباء السانحه

فإذا أميّة صلصلت أحسابها # فبنو زياد في الكلاب النّابحه

قالوا: يناك، فقلت: في جوف استه # و بذاك خبّرني الصّدوق الفاضحه

لم يبق أير أسود أو أبيض # إلاّ له استك في الخلاء مصافحه

مقتل عبيد اللّه و شعر ابن مفرغ في ذلك

و أخبرني إبراهيم بن السريّ بن يحيى، قال: حدّثني أبي، عن شعيب، عن سيف، قال: لما قتل/عبيد اللّه بن زياد يوم الزّاب، قتله أصحاب المختار بن أبي عبيد و يقال: إن إبراهيم بن الأشتر حمل على كتيبته فانهزموا، و لقي عبيد اللّه فضربه فقتله، و جاءه إلى أصحابه فقال: إنّي ضربت رجلا فقددته نصفين فشرّقت يداه و غرّبت رجلاه، و فاح منه المسك، و أظنّه ابن مرجانة، و أومأ لهم إلى موضعه، فجاءوا إليه و فتّشوا عليه، فوجدوه كما ذكر، و إذا هو ابن زياد، فقال ابن مفرّغ يهجوه: إنّ الّذي عاش ختّارا[3]بذمّته # و عاش عبدا قتيل اللّه بالزّاب

العبد للعبد لا أصل و لا طرف[4] # ألوت به ذات أظفار و أنياب

إن المنايا إذا ما زرن[5]طاغية # هتكن عنه ستورا بين أبواب

/هلاّ جموع نزار إذا لقيتهم # كنت امرأ من نزار[6]غير مرتاب

لا أنت زاحمت عن ملك فتمنعه # و لا مددت إلى قوم بأسباب[7]

ما شقّ جيب و لا ناحتك نائحة # و لا بكتك جياد عند أسلاب

لا يترك اللّه أنفا تعطسون بها # بني العبيد شهودا غير غيّاب

أقول بعدا و سحقا عند مصرعه # لابن الخبيثة و ابن الكودن الكابي[8]

الحسين بن علي يتمثل بالبيتين الأخيرين من هذه القصيدة

و القصيدة المذكورة بها غناء فيه منها، و قال: حيّ ذا الزّور و انهه أن يعودا # إنّ بالباب حارسين قعودا

[1]ب: «ساورتهم» . و الحية: الأفعى (تذكر و تؤنث) فيقال: هو الحية و هي الحية.

[2]لم يرد هذا البيت و الذي بعده في ف.

[3]الختّار: الغادر.

[4]الطرف: الشريف.

[5]ب: «رزن» .

[6]ف، «التجريد» : «من قريش» .

[7] «التجريد» ، ف: «بأحساب» .

[8]الكودن: البرذون الهجين أو البغل. و الكابي: المنكب على وجهه.

من أساوير ما ينون قياما # و خلاخيل تذهل المولودا

[1]و طماطيم من مشايخ جون[2] # ألبسوني مع الصّباح قيودا

أيّ بلوى معيشة قد بلونا # فنعمنا و ما رجونا خلودا

و دهور لقيننا موجعات # و زمان يكسّر الجلمودا

فصبرنا على مواطن ضيق # و خطوب تصيّر البيض سودا

ظلّ فيها النصيح يرسل سرّا # لا تهالنّ إن سمعت الوعيدا

أ فإنس ما هكذا صبر إنس # أم من الجنّ أم خلقت حديدا

لا ذعرت السّوام في فلق الصـ # ـبح مغيرا و لا دعيت يزيدا[3]

يوم أعطي مخافة الموت ضيما # و المنايا يرصدنني أن أحيدا[1]

قال: و هي قصيدة طويلة

.

و تمثّل الحسين بن عليّ صلوات اللّه عليه بهذين البيتين لمّا خرج من المدينة إلى مكة عند بيعة يزيد: لا ذعرت السّوام في فلق الصّ # بح مغيرا و لا دعيت يزيدا

يوم أعطي مخافة الموت ضيما # و المنايا يرصدنني أن أحيدا

حدّثني أحمد بن عيسى أبو موسى العجليّ العطّار بالكوفة قال: حدّثني الحسين[4]بن نصر بن مزاحم المنقريّ، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثنا عمر بن سعد، عن أبي مخنف، قال: حدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق، عن أبي سعيد المقبريّ قال: و اللّه لرأيت حسينا عليه السلام و هو يمشي بين رجلين، يعتمد على هذا مرّة، و على هذا مرة، حتى دخل المسجد و هو يقول: لا ذعرت السّوام..... البيتين.

قال: فقلت عند ذلك إنّه لا يلبث إلا قليلا حتى يخرج، فما لبث أن خرج فلحق بمكة، فلما خرج من المدينة قال: **فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ: رَبِّ نَجِّنِي مِنَ اَلْقَوْمِ اَلظَّالِمِينَ** [5]. و لما توجّه نحو مكة قال: **وَ لَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسىَ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ اَلسَّبِيلِ** [6].

مروان بن الحكم يعطيه و يكسوه

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد، قال: حدّثني عليّ بن الصبّاح، عن ابن الكلبيّ قال: لما قدم ابن مفرّغ إلى معاوية مع

خمخام الذي وجّهه إليه، فانتزعه من عبّاد بن زياد، نزل على مروان بن (1-1) التكملة من ف.

[2] «الشعر و الشعراء» 1-322:

«و طماطيم من سبابيج غتم»

. و الطماطيم: الأعاجم في لسانهم طمطمة أي عجمة لا يفصحون.

[3]مد، ما: «لا دعوت» . و في «الشعر و الشعراء» 1-322: «لا ذعرت السوام في غلس الليل»

.

[4]ب، مد، ما: «الحسن بن نصر» .

[5]القصص/21.

[6]القصص/22.

الحكم و هو يومئذ عند معاوية، فأعطاه و كساه، و قام بأمره و استرفد له كلّ من قدر عليه من بني أبي العاص[1]/بن أمية، فقال ابن مفرّغ يمدحه من قصيدته: /

و أقمتم سوق الثّناء و لم تكن # سوق الثّناء تقام في الأسواق[2]

فكأنما جعل الإله إليكم # قبض النّفوس و قسمة الأرزاق

كان يهوى أناهيد بنت الأعنق

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدّثنا أبو غسّان دماذ، عن أبي عبيدة قال: كان ابن مفرّغ يهوى أناهيد بنت الأعنق، و كان الأعنق دهقانا من الأهواز، له ما بين الأهواز و سرّق و مناذر و السّوس، و كان لها أخوات يقال لهنّ أسماء و الجمانة، و أخرى قد سقط عن دماذ، فكان يذكرهن جميعا في شعره، فمن ذلك قوله في صاحبته أناهيد من أبيات: سيري أناهيد بالعيرين آمنة # قد سلّم اللّه من قوم بهم طبع[3]

[4]لا بارك اللّه فيهم معشرا جبنا # و لا سقى دارهم قطرا و لا ربعوا

السارقين إذا جاعوا نزيلهم # و الأخبثين بطونا كلما شبعوا

لا تأمننّ حزاميّا نزلت به # قوم لديهم تناهى اللّؤم و الصّرع

جاور بني خلف تحمد جوراهم # الأعظمين دفاعا كلما دفعوا

و المطعمين إذا ما شتوة أزمت # فالناس شتّى إلى أبوابهم شرع[5]

هم خير قومهم إن حدّثوا صدقوا # أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

المانعين من المخزاة جارهم # و الرّافعين من الأذنين ما صنعوا

انزل بطلحة يوما إنّ منزله # سهل المباءة بالعلياء مرتفع[4]

و في أسماء أختها يقول:

/

تعلّق من أسماء ما قد تعلّقا # و مثل الذي لاقى من الحبّ[6]أرّقا

و حسبك من أسماء نأي و أنها # إذا ذكرت هاجت فؤادا معلّقا

سقى هزم الإرعاد منبجس العرى # منازلها بالمسرقان فسرّقا[7]

و تستر[8]لا زالت خصيبا جنابها # إلى مدفع السّلّان من بطن دورقا

[1]ف: «من بني العاص بن أمية» .

[2]ف:

.

[3]الطبع: الشّين و العيب.

(4-4) التكملة من ف.

[5]يقال: الناس في هذا شرع أي سواء.

[6]ف، و «شرح نهج البلاغة» : «من الشوق» . و في «معجم البلدان» : «من الوجد» .

[7] «معجم البلدان» : «من مسرقان فسرقا» ، و مسرقان: نهر بخوزستان عليه عدة قرى. و في ف: «بالمشرقان فشرقا» تصحيف. و سرّق إحدى كنوز الأهواز. و في «شرح نهج البلاغة» : «منبعج الكلى» بدل «منبجس العرى» .

[8]تستر: أعظم مدينة بخوزستان («ياقوت») .

إلى الكوثج الأعلى إلى رامهرمز # إلى قريات الشّيح من فوق سفسقا[1]

رامهرمز: بلد من أعمال الأهواز معروف.

بلاد بنات الفارسية إنّها # سقتنا على لوح شرابا معتقا[2]

يترك زوجته عند أخواله و يذهب إلى محبوبته أناهيد

أخبرني عمّي، قال: حدثنا الكرانيّ، قال: حدثنا العمريّ، عن الهيثم بن عديّ، و أخبرنا هاشم بن محمد قال: حدثنا دماذ أبو غسّان، عن أبي عبيدة، قالا: لما فصل ابن مفرّغ من عند معاوية، نزل بالموصل على أقواله من آل ذي العشراء من حمير، قال الهيثم في روايته: فزوّجوه امرأة منهم-و لم يذكر ذلك أبو عبيدة-فلما كان اليوم الذي يكون البناء في ليلته، خرج يتصيّد و معه غلامه برد، فإذا هو بدهقان[3]على حمار يبيع عطرا و أدهانا. فقال له ابن مفرّغ: من أين أقبلت؟قال: من الأهواز، قال: ويحك!كيف خلّفت المسرقان و برد مائه؟قال: على حاله، قال: ما فعلت دهقانة يقال لها أناهيد بنت أعنق؟ قال: أ صديقة ابن مفرّغ؟قال: نعم، قال: ما تجفّ جفونها من البكاء عليه، فقال لغلامه: أي برد، أ ما تسمع؟/قال: بلى، قال: هو بالرّحمن كافر إن لم يكن هذا وجهي إليها، فقال له برد: أكرمك القوم و قاموا دونك، و زوّجوك كريمتهم، ثم تصنع هذا بهم، و تقدم على ابن زياد بعد خلاصك منه من غير أمره و لا عهد منه و لا عقد!أبق أيها الرجل على نفسك، و أقم بموضعك، و ابن بأهلك، و انظر في أمرك، فإن جدّ عزمك كنت حينئذ و ما تختاره. قال: دع ذا عنك، هو بالرحمن كافر إن عدل[4]عن الأهواز و لا عرّج على شيء غيرها، و مضى لوجهه من غير أن يعلم أهله، و قال قصيدته: سما[5]برق الجمانة فاستطارا # لعلّ البرق ذاك يحور[6]نارا

قعدت له العشاء فهاج شوقي # و ذكّرني المنازل و الدّيارا

ديار للجمانة مقفرات # بلين و هجن للقلب ادّكارا

/فلم أملك دموع العين منّي # و لا النّفس التي جاشت مرارا

بسرّق فالقرى من صهرتاج[7] # فدير الراهب الطلل القفارا

فقلت لصاحبي: عرّج قليلا # نذاكر شوقنا الدّرس البوارا

بآية ما غدوا و هم جميع # فكاد الصبّ ينتحر انتحارا

فقال: بكوا لفقدك منذ حين # زمانا ثم إنّ الحيّ سارا

بدجلة فاستمرّ بهم سفين # يشقّ صدورها اللّجج الغمارا

كأن لم أغن في العرصات منها # و لم أذعر بقاعتها صوارا[8]

[1]ف: «إلى الكرج» . و في «شرح البلاغة» :

«إلى الشرف الأعلى... # إلى قريات الشيخ من أنهر أربقا»

.

[2]ف: «نبات» بدل «بنات» ، و «شرابا مروقا» بدل «شرابا معتقا» .

[3]ب، مد، ما: «بدهان» .

[4]ف: «إن عاج عن الأهواز» .

[5]ب، ما، مد: «سقى» .

[6]يحور: يرجع.

[7]ب، ما، مد: «صهرياج» ، تصحيف، و هي موضع بالأهواز. («معجم ياقوت») .

[8]الصوّار (بالضم و يكسر) : القطيع من البقر.

و لم أسمع غناء من خليل # و صوت مقرطق خلع العذارا[1]

قال: فقدم البصرة فذكر لعبيد اللّه بن زياد مقدمه، فلم يعرض له، و أرسل/إليه أن أقم آمنا، فأقام بالبصرة أشهرا يختلف من البصرة إلى الأهواز، فيزور أناهيد، و يقيم عندها.

ثم أتى عبيد اللّه بن زياد فقال له: إني امرؤ لي أعداء، و لست آمن بعضهم أن يقول شيئا على لساني يحفظ الأمير عليّ، و أحب أن يأذن لي أن أتنحّى عنه، فقال له: حلّ حيث شئت، فخرج حتى قدم على شريك بن الأعور الحارثيّ و هو يومئذ عامل عبيد اللّه بن زياد على فارس و كرمان، فأعطاه ثلاثين ألف درهم، فقدم بها الأهواز فأعطاها أناهيد.

ذهب إلى عبيد اللّه بن أبي بكر فأعطاه و أكرمه

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار، قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثني محمد بن الحكم، عن عوانة: أنّ عبيد اللّه بن أبي بكرة كتب إلى يزيد بن مفرّغ: إني قد توجهت إلى سجستان فالحق بي، فلعلك إن قدمت عليّ ألاّ تندم و لا يذمّ رأيك. فتجهّز ابن مفرّغ و خرج حتى قدم سجستان ممسيا، فدخل عليه فشغله بالحديث، و أمر له بمنزل[2]و فرش و خدم، و جعل يطاوله حتى علم أنه قد استتمّ له ما أمر له به، ثم صرفه إلى المنزل الذي قد هيّئ له، ثم دعا به في اليوم الثاني فقال له: يا بن مفرّغ، إنّك قد تجشّمت إليّ شقّة بعيدة، و اتّسع لك الأمل فرحلت إليّ لأقضي عنك دينك و لأغنيك عن الناس، و قلت: أبو حاتم بسجستان فمن لي بالغنى[3]بعده!فقال: و اللّه ما أخطأت أيّها الأمير ما كان في نفسي، فقال عبيد اللّه: أما و اللّه لأفعلنّ و لأقلّنّ[4]لبثك عندي، و لأحسننّ صلتك، و أمر له بمائة ألف درهم، و مائة وصيفة[5]و مائة نجيبة، /و أمر له بما ينفقه إلى أن يبلغ بلده سوى المائة الألف، و بمن يكفيه الخدمة من غلمانه و أعوانه[6]، و قال له: إن من خفّة السّفر ألاّ تهتمّ بخفّ و لا حافر، و كان مقامه عنده سبعة أيّام.

ثم ارتحل و شيّعه عبيد اللّه[7]إلى قرية على أربعة فراسخ يقال لها: زالق، ثم قال له: يا ابن مفرّغ، إنه ينبغي للمودّع أن ينصرف، و للمتكلّم أن يسكت، و أنا من قد عرفت، فأبق على الأمل و حسن ظنّك بي و رجائك فيّ، و إذا بدا لك أن تعود فعد، و السلام.

قال: و سار ابن مفرّغ حتى أتى رامهرمز، فنزل بقرية[8]أبجر، فنزلت إليه بنت الأبجر فقالت: يا ابن مفرّغ، لمن هذا المال؟قال: لابنة أعنق دهقانة الأهواز، و إذا رسولها في القافلة بكتابها: إنك لو كنت على العهد الأول لتعجّلت إليّ و لم تساير ثقلك، و لكن قد علمت أن المال الذي أعطاكه عبيد اللّه قد شغلك عنّي، /قال: فأعطى رسولها مالا على أن يقول فيه خيرا، و قد قال لابنة أبجر في جواب قولها له: [1]ف: «و صوت مقصب خلع العذارا» . و المقرطق: الذي يلبس القرطق؛ و هو قباء ذو طاق واحد (معرب) .

[2]ف: «و أمر له سرّا بمنزل و فرش» .

[3]ب: «بالغناء» .

[4]ب، مد: «و لأقيمن لبثك» .

[5]ف: «و مائة و صيفة و مائة و صيف، و مائة نحيبة... » .

[6]ف: «من غلمانه و مواليه» .

[7]ف: «عبيد اللّه بن أبي بكرة» .

[8]ف: «بقلعة أبجر» .

حباني عبيد اللّه يا ابنة أبجر # بهذا، و هذا للجمانة أجمع

يقرّ بعيني أن أراها و أهلها # بأفضل حال ذاك مرأى و مسمع

و خبّرتها قالت: لقد حال بعدنا # فقد جعلت نفسي إليها تطلّع

و قلت لها لمّا أتاني رسولها # و أيّ رسول لا يضرّ و ينفع

أحبّك ما دامت بنجد وشيجة[1] # و ما رفعت يوما إلى اللّه إصبع

و إني مليء يا جمانة بالهوى # و صدق الهوى إن كان ذلك يقنع

/قال: فلما انتهت رسل عبيد اللّه بن أبي بكرة معه إلى الأهواز قالوا له: قد بلغنا حيث أمرنا، قال: أجل، ثم أمر ابنة أعنق أن تفتح الباب و قال لها: كلّ ما دخل دارك فهو لك.

يمدح عبيد اللّه بن أبي بكرة

و أقام بالأهواز، و دعا ندماء كانوا له من فتيان العرب فلم يبق ظريف و لا مغنّ إلا أتاه، و استماحه جماعة قصدوه من أهل البصرة و الكوفة و الشّام فأعطاهم، و لم يفارق أناهيد و معه شيء من المال، و جعل القوم يسألونه عن عبيد اللّه بن أبي بكرة و كيف هو و أخلاقه وجوده فقال: يسائلني أهل العراق عن النّدى # فقلت: عبيد اللّه حلف المكارم

فتى حاتميّ في سجستان رحله # و حسبك جودا أن يكون كحاتم

سما لينال المكرمات فنالها # بشدّة ضرغام و بذل الدّراهم

و حلم إذا ما سورة الحقد[2]أطلقت # حبا القوم عند الفادح المتفاقم

و إنّ له في كلّ حيّ صنيعة # يحدّثها الرّكبان أهل المواسم

دعاني إليه جوده و وفاؤه # و من دون مسراه عداة الأعاجم

فلم أبق إلا جمعة في جواره # و يومين حلاّ من أليّة آثم[3]

إلى أن دعاني زانه اللّه بالعلا # فأنبت ريشي من صميم القوادم[4]

و قال: إذا ما شئت يا بن مفرّغ # فعد عودة ليست كأضغاث حالم

فقلت له-لا يبعد اللّه داره-: # أعود إذا ما جئتكم غير حاشم

و أحمدت وردي إذ وردت حياضه # و كلّ كريم نهزة[5]للأكارم

/فأصبح لا يرجو العراق و أهله # سواه لنفع أو لدفع العظائم

و إنّ عبيد اللّه هنّا رفده # سراحا و أعطى رفده غير غانم[6]

[1]الوشيجة: عرق الشجرة.

[2]ف، «المختار» : «سورة الجهل» . و سورة الحقد: حدته و شدته.

[3]الألية: القسم. و في ف، «المختار» : «فلم أثو» بدل «فلم أبق» .

[4]ف، «المختار» : «فأنبت من ريشي مهيض القوادم» .

[5]النهزة: الفرصة.

[6]هنّأ رفده: أكثره. و في «المختار» : «غير عاتم» أي غير كافّ عنه بعد أن مضى فيه.

يخدع عمه في أناهيد

و قال الهيثم في خبره: كان عمرو بن مفرّغ، عمّ يزيد بن ربيعة بن مفرّغ، رجلا له جاه و قدر عند السّلطان، و كان ذا مال و ثروة، و ذا دين و فضل و صلاح، فكان يعنّف ابن أخيه في أمر أناهيد عشيقته، و يعذله و يعيّره بها، فلما أكثر عليه أتاه يوما فقال له: يا عمّ، جعلت فداك، إنّ لي بالأهواز حاجة، و لي على قوم بها نحو من ثلاثين ألف درهم قد خفت أن تتوى[1]عليّ، فإن رأيت أن تتجشّم العناء معي إليها حتى تطالب لي بحقي، و تعينني بجاهك على غرمائي. /و كان عمرو بن مفرّغ قد استخلفه ابن عبّاس عليها؛ إذ كان عامل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات اللّه عليه و على آله على البصرة، و كان عامل الأهواز-حين سأل ابن مفرّغ عمّه أن يخرج معه-ميمون بن عامر أخو بني قيس بن ثعلبة الذي يقال لدراهمه اليوم الميمونية[2]. فلم يزل ابن مفرّغ بعمه حتى أجابه إلى الخروج فاستأجر سفينة و توجّه إلى الأهواز، و كتب إلى أناهيد أن تهيّئي و تزيّني بأحسن زينتك، و اخرجي إليّ مع جواريك فإني موافيك، و منزلها يومئذ بين سرّق و رامهرمز.

فلما نزلوا منزلها خرجت إليهم. و جلست معهم في هيئتها و زيّها و حليّها و آلتها، فلما رآها عمّه قال له: قبّحك اللّه!أ فهلاّ إذ فعلت ما فعلت كنت علقت مثل هذه![3]فقال: يا عمّ، أو قد أعجبتك؟فقال: و من لا تعجبه هذه[3] قال: أ لجدّ هذا منك؟قال: نعم و اللّه، قال: فإنها و اللّه هذه بعينها، فقال: يا خبيث إنما أشخصتني لهذا، يا غلام ارحل بنا. فانصرف عمّه إلى البصرة/و أقام هو معها، و لم يزل يتردّد كذلك حتى مات في الطاعون في أيام مصعب بن الزبير.

لزوم غرمائه له لديون ركبته و احتياله لقضائها

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و حبيب بن نصر المهلّبيّ قالا: حدثنا عمر بن شبّة قال: حدثنا القحذميّ قال:

لزم يزيد بن مفرّغ غرماؤه بدين، فقال لهم: انطلقوا نجلس على باب الأمير، عسى أن يخرج الأشراف من عنده فيروني فيقضوا عنّي، فانطلقوا به، فكان أوّل من خرج إما عمر بن عبيد اللّه بن معمر و أما طلحة الطّلحات، فلما رآه قال: أبا عثمان، ما أقعدك هاهنا؟قال: غرمائي هؤلاء لزموني بدين لهم عليّ، قال: و كم هو؟قال:

سبعون ألفا، قال: عليّ منها عشرة آلاف درهم.

ثمّ خرج الآخر على الأثر، فسأله ما سأل صاحبه، فقال: هل خرج أحد قبلي؟قالوا: نعم، فلان، قال: فما صنع؟قالوا: ضمن عشرة آلاف درهم، قال: فعليّ مثلها.

ابن أبي بكرة يقضي دينه فيمدحه

قال: ثم جعل الناس يخرجون، فمنهم من يضمن الألف إلى أكثر من ذلك، حتى ضمنوا أربعين ألفا[4].

و كان يأمل عبيد اللّه بن أبي بكرة، فلم يخرج حتى غربت الشمس، فخرج مبادرا، فلم يره حتى كاد يبلغ بيته، [1]تتوى: تذهب و تهلك.

[2]ب: «المأمونية» .

(3-3) تكملة من ف.

[4]ف: «أربعين ألف درهم» .

فقيل له: إنك مررت بابن مفرّغ ملزوما[1]، و قد مرّ به الأشراف فضمنوا عنه، فقال: وا سوأتاه!إنّي أخاف أن يظنّ أنّي تغافلت عنه، فكرّ راجعا، فوجده قاعدا، فقال له: أبا عثمان ما يجلسك هاهنا؟قال: غرمائي هؤلاء يلزمونني، قال: /كم عليك؟قال: سبعون ألفا، قال: و كم ضمن عنك؟ قال: أربعون ألفا، قال: فاستمتع بها و عليّ دينك أجمع، فقال فيه يخاطب نفسه: لو شئت لم تعني و لم تنصبي # عشت بأسباب أبي حاتم

عشت بأسباب الجواد الذي # لا يختم الأموال بالخاتم

من كفّ بهلول له عدّة[2] # ما إن لمن عاداه من عاصم

المطعم النّاس إذ حاردت # نكباؤها في الزّمن العارم[3]

و الفاصل الخطة يوم اللّجا # للأمر عند الكربة اللاّزم

جاورته حينا فأحمدته # أثني و ما الحامد كاللاّئم

كم من عدوّ شامت كاشح # أخزيته يوما و من ظالم

/أذقته الموت على غرّة # بأبيض ذي رونق صارم

بديح يغني شعرا لابن مفرغ فيصله و يكسوه

أخبرني عمّي، قال: حدّثني أبو أيّوب المدينيّ، قال: حدّثني حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، قال: قدم بديح[4]الكوفة، فغنّى بها دهرا، و أصاب مالا كثيرا، ثمّ خرج إلى البصرة، ثمّ أتى الأهواز، ثمّ عاد إلى البصرة، فصحب ابن مفرّغ[5]في سفينة حتى إذا كان في نهر معقل تغنّى و هو لا يعرف ابن مفرّغ بقوله: /

سما برق الجمانة فاستطارا # لعلّ البرق ذاك يعود نارا[6]

قال: فطرب ابن مفرّغ و قال: يا ملاّح، كرّ بنا إلى الأهواز، فكرّ و هو يغنّيه، ثمّ كرّ راجعا إلى البصرة، و كرّوا معه، و هو يعيد هذا الصوت. قال: و وصل ابن مفرّغ بديحا[7]و كساه.

صوت

رضيت الهوى إذ حلّ بي متخيّرا # نديما و ما غيري له من ينادمه

أعاطيه كأس الصّبر بيني و بينه # يقاسمنيها مرّة و أقاسمه

يقال: إنّ الشّعر لبشّار، و الغناء للزّبير بن دحمان، هزج بالوسطى عن الهشاميّ و أحمد بن المكّيّ.

[1]لزم المال فلانا: وجب عليه، فهو ملزوم.

[2]البهلول: السيد الجامع لصفات الخير. و في ب: «له غرّة» .

[3]حاردت السنة: قلّ مطرها. و النكباء: ريح انحرفت عن مهابّ الرياح. و الزمن العارم: الشديد.

[4]ب: «بدوي» .

[5]ف: «ابن مفرغ الحميري» .

[6]ف: «يحور نارا» .

[7]ب: «بدويا» .

19-أخبار الزبير بن دحمان

قدم على الرشيد من الحجاز و المغنون حزبان

قد مضت أخبار أبيه، و نسبه و ولاؤه في متقدّم الكتاب، و كان الزّبير أحد المحسنين المتقنين الرّواة الضّرّاب، المتقدّمين في الصّنعة، و قدم على الرشيد من الحجاز، و كان المغنون في أيّامه حزبين: أحدهما في حزب إبراهيم الموصليّ و ابنه إسحاق، و الآخر في حزب ابن جامع و ابن المهديّ، و كان إبراهيم بن المهديّ أوكد أسباب هذا التّحزّب و التّعصّب لما كان بينه و بين إسحاق[1]و كان الزبير بن دحمان في حزب إسحاق، و أخوه عبيد اللّه في حزب إبراهيم بن المهديّ[1].

يغني الرشيد من غناء المتقدمين فيفضل أخاه

فأخبرني محمد بن مزيد، قال: حدّثني حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، قال:

لما قدم الزّبير بن دحمان على الرّشيد من الحجاز، قدم رجل ما شئت من رجل؛ عقلا و نبلا و دينا و أدبا و سكونا و وقارا، و كان أبوه قبله كذلك، و قدم معه أخوه عبيد اللّه[2]، فما وصلا إلى الرشيد، و جلسا معنا، تخيّلت في الزّبير الفضل فقلت لأبي: يا أبت، أخلق بالزّبير أن يكون أفضل من أخيه، فقال: هذا لا يجيء بالظّنّ و التّخيّل[3]، و الجواد إنّما يمتحن في الميدان، فقلت له: فالجواد عينه فراره[4]، فضحك، و قال: ننظر في فراستك، فلما غنّيا بان فضل الزّبير و تقدّمه، فاصطفاه أبي و اصطفيته لأنفسنا، و قرّظناه[5]و وصفناه، و صار في حيّزنا.

الرشيد يستعيده صوتا من صنعته ثلاث مرات

و غنّى الرّشيد غناء/كثيرا من غناء المتقدّمين فأجاد و أحسن، و سأله الرّشيد أن يغنّيه شيئا من صنعته، فالتوى بعض الالتواء و قال: قد سمع أمير المؤمنين غناء الحذّاق من المتقدمين و غناء من بحضرته من خدمه، و من وفد عليه من الحجازيّين، و ما عسى أن يأتي من صنعتي؟فأقسم عليه أن يغنّيه شيئا من صنعته، و جدّ به في ذلك، فكان أول صوت غنّاه منها:

(1-1) التكملة من ف.

[2]ب: «عبد اللّه» .

[3] «المختار» : «و التخمين» .

[4]المثل: «إن الجواد عينه فراره» في «مجمع الأمثال بترتيب الكرماني» -37 ط. طهران، و جاء فيه: الفرار-بالكسر-النظر إلى أسنان الدابة ليعرف قدر سنه، و هو مصدر، و منه قول الحجاج: فررت عن ذكاء، و

يروى فراره-بالضم-و هو اسم منه؛ يضرب لمن يدل ظاهره على باطنه فيغني عن الاختبار حتى لقد يقال: إن الخبيث عينه فراره.

[5]ف: «و قرّبناه» .

صوت

ارحلا صاحبيّ حان الرّحيل # و ابكياني فليس تبكي الطّلول

/قد تولّى النّهار و انقضت الشّ # مس يمينا و حان منها أفول

لحن هذا الصوت خفيف ثقيل.

قال:

فسمعت و اللّه صنعة حسنة متقنة لا مطعن عليها، فطرب الرّشيد و استعاده هذا الصّوت ثلاث مرّات، و أمر له بثلاثين ألف درهم، و لأخيه بعشرين ألف درهم. ثم لم يزل زبير معنا كواحد منا، و انحاز عبيد اللّه[1]إلى جنبة إبراهيم بن المهديّ، فكان معه. قال حمّاد: فقلت لأبي: كيف كانت صنعة عبيد اللّه[1]؟قال: أنا أجمل لك القول، لو كان زبير مملوكا لاشتريته بعشرين ألف دينار، و لو كان عبيد اللّه مملوكا ما طابت نفسي على أن أشتريه بأكثر من عشرين دينارا، فقلت: قد أجبتني بما يكفيني.

يغني الرشيد بشعر مدحه به

حدّثني رضوان بن أحمد الصّيدلانيّ، قال: حدثنا يوسف بن إبراهيم، قال: حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ، و محمد بن الحارث بن بُسخُنَّر: أنّ الرّشيد كتب في إشخاص الزّبير بن دحمان إلى مدينة السّلام[2]، فوافاها و اتّفق قدومه في وقت خروج[3]الرّشيد إلى الرّيّ لمحاربة بندار هرمز أصبهبد طبرستان، فأقام الزّبير بمدينة /السّلام إلى أن دخل الرّشيد، فلما قدم دخل عليه بالخيزرانة[4]، و هو الموضع الذي يعرف بالشّمّاسيّة[5]، فغنّاه في أول غنائه صوتا في شعر قاله هو أيضا في الرّشيد مدحه به، و ذكر خروجه إلى طبرستان و هو:

صوت

ألا إنّ حزب اللّه ليس بمعجز # و أنصاره في منعة المتحرّز

أبى اللّه أن يعصى لهارون أمره # و ذلّت له طوعا يد المتعزّز

إذا الرّاية السّوداء راحت أو اغتدت # إلى هارب منها فليس بمعجز

لطاعت لهارون العداة لدى الوغا # و كبّر للإسلام بندار هرمز[6]

لم أجد هذا الصّوت منسوبا في شيء من الكتب إلاّ في كتاب بذل، و هو فيه غير مجنس.

و ذكر إبراهيم بن المهدي أنّ الشّعر للزّبير بن دحمان، و هذا خطأ؛ الشّعر لأبي العتاهية و هو موجود في شعره من قصيدة طويلة مدح بها الرشيد.

[1]ب: «عبد اللّه» .

[2]مدينة السلام هي بغداد.

[3]ب: «يخرج الرشيد... » .

[4]ف: «الخيزرانية» .

[5]الشماسية: منسوبة إلى بعض شماسي النصارى، و هي مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد. («معجم ياقوت») .

[6]ف:

«أطاعت... لذي الوغا # ... و كفّر للإسلام»

.

قال أبو إسحاق: فاستحسن الرّشيد الشّعر و الغناء، و أمر له بألف دينار فدفعت إليه، و مكث ساعة ثم غنّى صوتا ثانيا و هو:

صوت

و أحور كالغصن يشفي السّقام # و يحكي الغزال إذا مارنا

شربت المدام على وجهه # و عاطيته الكأس حتى انثنى

و قلت مديحا أرجّي به # من الأجر حظّا و نيل الغنى

و أعني بذاك الإمام الذي # به اللّه أعطى العباد المنى

/لحن هذا الصوت ثاني ثقيل مطلق.

قال: فما فرغ من الصّوت حتى أمر له بألف دينار آخر فقبضه، و خفّ على قلبه و استظرفه، فأغناه في مدّة يسيرة من الأيّام.

يغني الرشيد بشعر يزيد ندمه على ما فعله بالبرامكة

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق، قال: حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال: حدثني أبو توبة، عن القطرانيّ، عن محمد بن حبيب قال: كان الرّشيد بعد قتله البرامكة شديد الأسف عليهم، و التّندّم/على ما فعله بهم، ففطن لذلك الزّبير بن دحمان، فكان يغنّيه في هذا المعنى و يحرّكه، فغنّاه يوما و الشعر لامرأة من بني أسد: من للخصوم إذا جد الخصام بهم # يوم النّزال و من للضّمر القود[1]

و موقف قد كفيت النّاطقين به # في مجمع من نواصي النّاس مشهود[2]

فرّجته بلسان غير ملتبس # عند الحفاظ و قول غير مردود[3]

فقال له الرّشيد: أعد، فأعاد، فقال له: ويحك!كأن قائل هذا الشّعر يصف به يحيى بن خالد، و جعفر بن يحيى، و بكى حتى جرت دموعه، و وصل الزّبير صلة سنيّة.

إسحاق يفضّل الزبير على أبيه و أخيه في الغناء

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد قال:

كان أبي يقول: ما كان دحمان يساوي على الغناء أربعمائة درهم، و أشبه خلق اللّه به غناء ابنه عبيد اللّه، و كان يفضّل الزبير بن دحمان على أبيه و أخيه[4]تفضيلا بعيدا. و في الزبير يقول إسحاق و له فيه غناء و هو:

[1]ف: «يوم الجدال» بدل «يوم النزال» . و القود جمع أقود، و هو من الخيل الذلول المنقاد، أو الشديد العنق لقلة التفاته.

[2]نواصي الناس: أشرافهم و المتقدمون منهم.

[3]ف: «بلسان غير مشتبه» . و في «المختار» ، ف: «و قلب غير مزءود» .

[4]ب: «و إخوته» .

أسعد بدمعك يا أبا العوّام # صبّا صريع هوى و نضو سقام

ذكر الأحبّة فاستجنّ و هاجه # للشوق نوح حمامة و حمام

لم يبد ما في الصّدر إلاّ أنّه # حيّا العراق و أهله بسلام

و دعاه داع للهوى فأجابه # شوقا إليه و قاده بزمام

الشّعر و الغناء لإسحاق ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، و هذا الشعر قاله إسحاق و هو بالرّقّة مع الرّشيد يتشوّق إلى العراق.

إسحاق يغني الرشيد بالرقة شعرا يحنّ فيه إلى بغداد

أخبرني عمّي قال: حدثني عليّ بن محمد بن نصر، قال: حدّثني جدّي حمدون[1]بن إسماعيل، قال: قال لي إسحاق: كنّا مع الرشيد بالرّقّة، و خرج يوما إلى ظهرها يصيد[2]، و كنت في موكبه أساير الزّبير بن دحمان فذكّرني بغداد و طيبها و أهلي و إخواني و حرمي فتشوّقت لذلك شوقا شديدا، و عرض لي همّ و فكر حتى أبكاني، فقال لي الزّبير: ما لك يا أبا محمد؟فشكوت إليه ما عرض لي، و قلت: أسعد بدمعك يا أبا العوّام # صبّا صريع هوى و نضو سقام

و ذكر باقي الأبيات، و علمت أن الخبر سينمي إلى الرشيد، فصنعت في الأبيات لحنا، فلما جلس الرّشيد للشّرب ابتدأت فغنّيته إياه، فقال لي: تشوّقت و اللّه يا إسحاق و شوّقت و بلغت ما أردت، و أمر لي بثلاثين ألف درهم، و للزّبير بعشرين ألفا، و رحل إلى بغداد بعد أيّام.

الفضل بن الربيع يغضب من إسحاق

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم، قال: أخبرني أبي، قال: قال لي إسحاق، /و أخبرني به الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا عبد اللّه بن عمرو[3]بن أبي سعد، قال: حدّثني محمد بن عبد اللّه بن مالك، عن إسحاق قال: جاءني الزّبير بن دحمان ذات يوم مسلّما، فاحتبسته فقال: قد أمرني الفضل بن الرّبيع بأن أصير إليه فقلت: أقم يا أبا العوّام ويحك نشرب # و نلهو مع اللاّهين يوما و نطرب

إذا ما رأيت اليوم قد جاء خيره # فخذه بشكر و اترك الفضل يغضب

/قال: فأقام عندي فشربنا باقي يومنا، ثم سار[4]الزّبير إلى الفضل، فسأله عن سبب تأخره عنه، فحدّثه بالحديث، و أنشده الشعر، فغضب و حوّل وجهه عنّي، و أمر عونا حاجبه ألاّ يدخلني اليوم و لا يستأذن لي عليه، و

لا يوصّل لي رقعة إليه، قال: فقلت: [1]ب: «جدي عن حمدون بن إسماعيل» .

[2]ف: «يتصيّد» .

[3]ف: «عبد اللّه بن عمر» .

[4]ف: «صار» .

حرام عليّ الكأس ما دمت غضبانا # و ما لم يعد عنّي رضاك كما كانا

فأحسن فإنّي قد أسأت و لم تزل # تعوّدني عند الإساءة إحسانا

قال: و أنشدته إياهما، فضحك و رضي عنّي، و عاد إلى ما كان عليه.

و أخبرني الحسين[1]بن يحيى، عن حمّاد، عن أبيه بهذا الخبر، فذكر نحو ما ذكره الآخران[2]و زاد فيه: و قلت في عون حاجبه:

عون يا عون ليس مثلك عون # أنت لي عدّة إذا كان كون

لك عندي و اللّه إن رضي الفضـ # ـل غلام يرضيك أو برذون

فأتى عون الفضل بالشّعرين جميعا، فلما قرأهما ضحك و قال له: ويلك إنما عرّض لك بقوله: «غلام يرضيك» بالسّوأة، فقال: قد وعدني ما سمعت، فإن شئت أن تحرمنيه فأنت أعلم، فأمره أن يرسل إليّ و أتاني رسوله، فصرت إليه و رضي عنّي.

إسحاق و الزبير يحكمان حبشيّا في غنائهما

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثني عبد اللّه بن أبي سعد، قال: حدّثني محمد بن عبد اللّه بن مالك، قال: حدّثني إسحاق، قال:

كان عندي الزّبير بن دحمان يوما، فغنّيت لحن أبي[3]: أشاقك من أرض العراق طلول # تحمّل منها جيرة و حمول!

فقال لي الزّبير: أنت الأستاذ و ابن الأستاذ السيد، و قد أخذت عن أبيك هذا الصوت و أنا أغنّيه أحسن، فقلت له: و اللّه إني لا أحبّ أن يكون ذلك كذلك[4]فغضب و قال: فأنا و اللّه أحسن غناء منك. و تلاحينا طويلا، فقلت له: هلمّ نخرج إلى صحراء الرّقّة، فيكون أكلنا و شربنا هناك، و نرضى في الحكم بأول من يطلع علينا، قال: أفعل.

فأخرجنا طعامنا و شرابنا و جلسنا نشرب على الفرات، فأقبل حبشيّ يحفر الأرض بالبال[5]، فقلت له: أ ترضى بهذا قال: نعم، فدعوناه فأطعمناه و سقيناه، و بدرني الزبير بالغناء، فغنّى الصوت، فطرب الحبشيّ و حرّك رأسه حتى طمع الزبير فيّ، ثم أخذت العود فغنيته فتأملني الحبشيّ ساعة ثم صاح، و أيّ شيطان هوه!و مدّ بها صوته، فما أذكر أنّي ضحكت مثل ضحكي يومئذ، و انخزل الزّبير.

نسبة هذا الصوت

صوت

شعر لأبي العتاهية يمدح به الفضل بن الربيع و فيه غناء

[1]ب: «الحسن بن يحيى» .

[2]ب: «الآخر» .

[3]ب: «لحن إسحاق» .

[4]ب: «و اللّه إني لأحب» .

[5]البال: ما يعتمل به في أرض الزرع. و في ب: «بالناب» .

أشاقك من أرض العراق طلول # تحمّل منها جيرة و حمول!

و كيف ألذّ العيش بعد معاشر # بهم كنت عند النّائبات أصول!

الشعر لأبي العتاهية، و الغناء لإبراهيم ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر، عن أحمد بن المكّيّ، و فيه للحسين بن محرز ثقيل أوّل بالوسطى.

و هذان البيتان من قصيدة مدح بها أبو العتاهية الفضل بن الرّبيع، قال: أنشدنيها/عبد اللّه بن الرّبيع الربيعيّ، قال: أنشدنيها/أبو سويد عبد القويّ[1]بن محمد بن أبي العتاهية لجدّه يمدح الفضل بن الربيع، و إنما ذكرت ذلك هاهنا لأنّ من الناس من ينسبهما إلى غيره، فذكرت الأبيات الأول، و فيها يقول في مدح الفضل بن الرّبيع: قبائل من أقصى و أدنى تجمّعت # فهنّ على آل الرّبيع كلول

تمرّ ركاب السّفر تثني عليهم # عليها من الخير الكثير حمول

إليك أبا العبّاس حنّت بأهلها # مغان و حنّت ألسن و عقول

و أنت جبين الملك بل أنت سمعه # و أنت لسان الملك حين تقول

و للملك ميزان يداك تقيمه # يزول مع الإحسان حيث يزول

الرشيد يرضى عن أم جعفر بعد أن سمع غناء للزبير من شعر ابن الأحنف

حدثني الصّوليّ، قال: حدثني المغيرة بن محمد المهلّبيّ، قال: حدّثنا الزّبير، قال: حدثني رجل من ثقيف، قال: غضب الرشيد على أمّ جعفر، ثم ترضّاها فأبت أن ترضى عنه، فأرق ليلته ثم قال: افرشوا لي على دجلة، ففعلوا، فقعد ينظر إلى الماء و قد رأى زيادة عجيبة، فسمع غناء في هذا الشعر:

صوت

جرى السيل فاستبكاني السّيل إذ جرى # و فاضت له من مقلتيّ غروب

و ما ذاك إلاّ حين خبّرت أنّه # يمرّ بواد أنت منه قريب

يكون أجاجا ماؤه فإذا انتهى[2] # إليكم تلقّى طيبكم فيطيب

فيا ساكني شرقيّ دجلة كلّكم # إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

/الشعر للعبّاس بن الأحنف، و الغناء للزّبير بن دحمان، خفيف رمل بالوسطى، عن الهشاميّ.

فسأل عن النّاحية التي فيها الغناء فقيل: دار ابن المسيّب، فبعث إليه أن ابعث بالمغنيّ، فإذا هو الزّبير بن دحمان، فسأله عن الشعر فقال: هو للعبّاس بن الأحنف، فأحضر و استنشده، فأنشده إياه، و جعل الزّبير يغنّيه و عبّاس ينشده، و هو يستعيدهما، حتى أصبح، و قام فدخل إلى أمّ جعفر، فسألت عن سبب دخوله فعرّفته، فوجّهت إلى العبّاس بألف دينار، و إلى الزّبير بألف دينار أخرى.

[1]ف: «عبد العزيز» .

[2]ف: «يكون أجاجا دونكم فإذا انتهى» .

الرشيد يفضل لحنه على عشرين لحنا صنعها زملاؤه

أخبرني عمّي، قال: حدّثني عليّ بن محمد، عن جدّه حمدون، قال: تشوّق الرّشيد بغداد و هو بالرّقّة، فانحدر إليها، و أقام بها مدّة، و خلّف هناك بعض جواريه، و كانت حظيّة له فيهن خلّفها لمغاضبة كانت بينه و بينها، فتشوّقها تشوّقا شديدا، و قال فيها:

صوت

سلام على النّازح المغترب # تحيّة صبّ به مكتئب

غزال مراتعه بالبليخ # إلى دير زكّى فجسر الخشب[1]

أيا من أعان على نفسه # بتخليفه طائعا من أحبّ

سأستر و السّتر من شيمتي # هوى من أحبّ لمن لا أحبّ[2]

و جمع المغنين، فحضر إبراهيم الموصليّ، و ابن جامع، و فليح، و زبير بن دحمان، و المعلّى بن طريف، و حسين بن محرز، و سليم بن سلام، و يحيى المكيّ، و ابنه، و إسحاق، و أبو زكار/الأعمى، و أعطاهم الشعر و قال: ليعمل كل واحد منكم فيه/لحنا. قال: فلقد عملوا فيه عشرين لحنا، فما أعجب منها إلا بلحن الزّبير وحده، أعجب به إعجابا شديدا، و أجازه خاصّة دون الجماعة بجائزة سنيّة.

غنّى إبراهيم في هذه الأبيات و لحنه ما خوريّ بالوسطى[3]، و لفليح فيها ثاني ثقيل بالوسطى، و لابن جامع رمل بالبنصر، و لابن المكيّ ثقيل أول بالوسطى، و للزبير بن دحمان خفيف ثقيل بالسبابة في تجرى البنصر، و للمعلّى خفيف رمل بالوسطى، و لإسحاق رمل بالوسطى، و للحسين بن محرز هزج بالوسطى.

صوت

يا ناعش الجدّ إذا الجدّ عثر # و جابر العظم إذا العظم انكسر

أنت ربيعي و الرّبيع ينتظر # و خير أنواء[4]الرّبيع ما بكر

الشعر للعمانيّ الراجز، و الغناء لشارية خفيف رمل، من كتاب ابن المعتز و روايته.

[1]ب: «بقصر الخشب» ، و في ف: «بقصر الحزب» . و البليخ: نهر بالرقة. و دير زكي: دير بالرها.

[2]ب: «هوى من أحب بمن لا أحب» .

[3]ف: «و لحنه ماخوري بالوسطى و لابن صغير العين خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر و للمعلى خفيف رمل... الخ» .

[4]ب: «أنواع» .

20-نسب العماني و خبره[1]

نسبه

اسمه محمد بن ذؤيب بن محجن بن قدامة بن بلهيّة[2]الحنظليّ ثمّ الدّارميّ صليبة، و قيل له: العمانيّ، و هو بصريّ؛ لأنه كان شديد صفرة اللون، و ليس هو و لا أبوه من أهل عمان، و كان شاعرا راجزا متوسطا، من شعراء الدولة العباسية، ليس من نظراء الشعراء الذين شاهدهم في عصره، مثل أشجع و سلم و مروان، و لكنه كان لطيفا داهيا مقبولا، فأفاد بشعره[3]أموالا جليلة.

يدخل على الرشيد و ينشده فيجزل صلته

أخبرني ابن أبي الأزهر، قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، عن جبر بن رياط الأسديّ: أنّ عبد الملك بن صالح أدخل العمانيّ على الرّشيد فأنشده: يا ناعش الجدّ إذا الجدّ عثر # و جابر العظم إذا العظم انكسر

أنت ربيعي و الربيع ينتظر # و خير أنواء الربيع ما بكر

فقال له الرشيد: إذا يبكر عليك ربيعنا، يا فضل، أعطه خمسة آلاف دينار، و خمسين ثوبا.

قال إسحاق: قال جبر: لما دخل الرّشيد الرّقّة استقبله العمانيّ، فلما بصر به ناداه: هارون يا ابن الأكرمين منصبا # لما ترحّلت فصرت كثبا

من أرض بغداد تؤمّ المغربا # طابت لنا ريح الجنوب و الصّبا

و نزل الغيث لنا حتى ربا # ما كان من نشز و ما تصوّبا[4]

فمرحبا و مرحبا و مرحبا

/فقال له الرّشيد: و بك مرحبا يا عمانيّ و أهلا، و أجزل صلته.

ينشد الرشيد أرجوزة طويلة أثناء قعوده للبيعة لابنه محمد

أخبرني محمد بن جعفر النّحويّ صهر المبرّد المعروف بابن الصّيدلانيّ[5]، قال: حدّثنا محمد بن موسى، [1]ف: «و أخباره» .

[2]ب: «باسية» .

[3]ب، ما: «بفعله» . و في مد: «فأفاد أموالا جليلة» .

[4]ف: «حيث ربا» بدل «حتى ربا» . و تصوب: انحدر، و منه قول الصنوبري: و كأنّ محمرّ الشقيـ # ق إذا تصوّب أو تصعّد

أعلام ياقوت نشر # ن على رماح من زبرجد

[5]ف: «المعروف بالصيدلاني» . ـ

عن حمّاد، قال: قال العتبيّ[1]: لما وجّه الفضل بن يحيى الوفد من خراسان إلى الرّشيد يحضّونه على البيعة لابنه محمّد قعد لهم[2]الرّشيد، و تكلم القوم على مراتبهم، و أظهروا السرور بما دعاهم إليه من البيعة لابنه، و كان فيمن حضر محمد بن ذؤيب العمانيّ، فقام بين صفوف القوّاد، ثم أنشأ يقول: لمّا أتانا خبر مشهّر # أغرّ لا يخفى على من يبصر

جاء به الكوفيّ و المبصّر # و الراكب المنجد و المغوّر

/يخبّر النّاس و ما يستخبر # قلت لأصحابي و وجهي و مسفر

و للرجال: حسبكم لا تكثروا # فاز بها محمد فأقصروا

قد كان هذا قبل هذا يذكر # في كتب العلم التي تسطّر[3]

فقل لمن كان قديما يتجر: # قد نشر العدل[4]فبيعوا و اشتروا

و شرّقوا و غرّبوا و بشّروا[5] # فقد كفى اللّه الذي يستقدر

بمنّه أفعال ما قد يحذر # و السيف عنّا مغمد ما يشهر

و قلّد الأمر الأغرّ الأزهر # نوء السّماكين الذي يستمطر

بوجهه إن كان عام أغبر # سرّت به أسرّة و منبر

و ابتهج[6]النّاس به و استبشروا # و هلّلوا لربّهم و كبّروا

/شكرا و من حقّهم أن يشكروا # إذ ثبتت أوتاد ملك يعمر

من هاشم في حيث طاب العنصر # و طاح من كان عليها يزفر

إنّ بني العبّاس لم يقصّروا # إذ نهضوا لملكهم فشمّروا

و عقدوا و نزعوا و أمّروا # و دبّروا فأحكموا ما دبّروا

و أوردوا بالحزم ثم أصدروا # و الحزم رأي مثله لا ينكر

إذا الرّجال في الرّجال خيّروا # يا أيها الخليفة المطهّر

و المؤمن المبارك الموقّر[7] # و الطّيّب الأغصان و المظفّر

ما النّاس إلا غنم تنشّر # إن لم تداركهم براع يخطر

على قواصي طرقها و يستر[8] # و يمنع الذّئب فلا ينفّر

فامنن علينا بيد لا تكفر # مشهورة ما دام زيت يعصر

[1]ف: «الفقيمي» .

[2]ب: «فعذلهم» ، تصحيف.

[3]ب: «الذي يسطر» .

[4]ف: «قد يسر العدل» .

[5]ف: «و غربوا و سيروا» .

[6]ف: «و انتجع الناس» .

[7]ف: «المؤمر» .

[8]مد:

«على قواصي طوقها و يستر»

. و في ب:

«على قلوص طرقها و يستر»

.

و انظر لنا و خلّ من لا ينظر # و اجسر كما كان أبوك يجسر

لا خير في مجمجم[1]لا يظهر # و لا كتاب بيعة لا ينشر

و قد تربّصت فليس تعذر[2] # فليت شعري ما الذي تنتظر!

أ أنت قائم به أم تسخر[3] # ما لك في محمد لا تعذر!

و ليت شعري و الحديث يؤثر # أ ترقد الليل و نحن نسهر!

خوفا على أمورنا و نضجر # و اللّه و اللّه الذي يستغفر

/لأن يموت معشر و معشر # خير لنا من فتنة تسعّر

يهلك فيها دينهم و يوزروا # و قد وفى القوم الذين انتصروا[4]

لصاحب الرّوم و ذاك أصغر # منه و هذا البحر لا يكدّر

و ذاكم العلج و هذا الجوهر # ينمي به محمد و جعفر

و الخلفاء و النّبيّ الأكبر # و نبعة من هاشم و عنصر

و اعلم و أنت المرء لا يبصّر # [5] (و اللّه يبقيك و تجبر[5]

منّا ذوي العسرة حتى يوسروا # /أنّ الرّجال إن و لوها آثروا

ذوي القرابات بها، و استأثروا # بها، و ضلّ أمرهم و استكبروا

و الملك لا رحم له فيأصر # ذا رحم و الناس قد تغيّروا

فأحكم الأمر و أنت تقدر # فمثل هذا الأمر لا يؤخّر

فلما فرغ من أرجوزته قال له الرشيد: أبشر يا عمانيّ بولاية محمد العهد، فقال: إي و اللّه يا أمير المؤمنين، بشرى الأرض المجدبة بالغيث، و المرأة النّزور بالولد، و المريض المدنف بالبرء، قال: و لم ذاك؟قال: لأنه نسيج وحده، و حامي مجده، و موري زنده. قال: فما لك في عبد اللّه[6]، قال: مرعى و لا كالسّعدان، فتبسّم الرّشيد و قال: قاتله اللّه من أعرابيّ ما أعرفه بمواضع الرغبة، و أسرعه إلى أهل البذل و العائدة، و أبعده من أهل الحزم و العزم، و الذين لا يستمنح ما لديهم بالثّناء، أما و اللّه إني لأعرف في عبد اللّه حزم المنصور و نسك المهديّ، و عزّ نفس الهادي، و لو أشاء أن أنسبه إلى الرّابعة لنسبته إليها.

يرشح القاسم لولاية العهد في أرجوزة ينشدها للرشيد

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثنا عليّ بن الحسن الشّيبانيّ، و أخبرني به محمد بن جعفر، عن

محمد بن موسى، عن حمّاد، عن أبي محمد المطبخيّ[7]، عن عليّ بن الحسن [1]جمجم الشيء في صدره: أخفاه و لم يبده فهو مجمجم.

[2]ب: «فلست تغدر» .

[3]ف: «أ نائم أنت به أم تسهر» .

[4]مد، ما: «انتظروا» . و في ف: «نصّروا» . و يوزروا: يصابوا بالوزر، و هو الذنب.

(5-5) التكملة من ف.

[6]يعني المأمون.

[7]ب: «المضهنجي» .

الشّيبانيّ، قال: أخبرني أبو خالد الطائيّ، عن جبير بن ضبينة الطائيّ، قال: أخبرني الفضل[1]، قال: حضرت الرّشيد يوما و جلس للشعراء، فدخل عليه الفضل بن الرّبيع و خلفه العمانيّ، فأدناه الرّشيد و استنشده، فأنشده أرجوزة له فيه، حتى انتهى إلى هذا الموضع: قل للإمام المقتدى بأمّه[2]: # ما قاسم دون مدى ابن أمّه

و قد رضيناه فقم فسمّه

قال: فتبسّم الرّشيد ثم قال: ويحك!أ ما رضيت أن أولّيه العهد و أنا جالس حتى أقوم على رجلي!فقال له العمانيّ: ما أردت يا أمير المؤمنين قيامك على رجليك؛ إنما أردت قيام العزم، قال: فإنا قد ولّيناه العهد، و أمر بالقاسم أن يحضر. و مرّ العمانيّ في أرجوزته يهدر حتى أتى على آخرها، و أقبل القاسم فأومأ إليه الرشيد، فجلس مع أخويه فقال له: يا قاسم، عليك جائزة هذا الشّيخ، فقد سألنا أن نولّيك العهد و قد فعلنا، فقال: حكمك يا أمير المؤمنين، فقال: و ما أنا و هذا!بل حكمك، و أمر له الرّشيد بجائزة، و أمر له القاسم بجائزة أخرى مفردة.

يمدح أبا الحرّ التميمي

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه قال: دخل محمد بن ذؤيب العمانيّ على أبي الحرّ التّميميّ بالبصرة، فأطعمه و سقاه و جلّله بكساء فقال فيه: إن أبا الحرّ لعين الحرّ # يدفع عنّا سبرات القرّ[3]

باللحم و الشّحم و خبز البرّ # و نطفة مكنونة في الجرّ[4]

يشربها أشياخنا في السّرّ # حتى نرى حديثنا كالدّرّ

و يمدح عبد الملك بن صالح فيثيبه

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدّثنا حمّاد[5]، عن أبيه، قال: قصد العمانيّ عبد الملك بن صالح/الهاشميّ متوسّلا به إلى الرشيد في الوصول إليه مع الشعراء، و مدح عبد الملك بقصيدته التي يقول فيها: نمته العرانين[6]من هاشم # إلى النّسب الأوضح الأصرح

إلى نبعة فرعها في السماء # و مغرسها سرّة الأبطح

فأدخله عبد الملك إلى الرّشيد بالرّقة فأنشده:

هارون يا ابن الأكرمين حسبا # لما ترحّلت فكنت كثبا

[1]ف: «أبو خالد عن يحيى بن صفية الطائي، قال: أخبرني الفضل» .

[2]أمّ القوم و بهم: تقدّمهم.

[3]السبرات جمع سبرة، و هي الغداة الباردة.

[4]ب: «في الحر» و الجر جمع جرّة، و هي إناء من خزف.

[5]ف: «حماد بن إسحاق» .

[6]ف: «الغرانيق» . و عرانين القوم: سادتهم و أشرافهم.

و نزل الغيث لنا حتى ربا # ما كان من نشز و ما تصوّبا[1]

فمرحبا و مرحبا و مرحبا

/فأعطاه خمسة آلاف دينار و خمسين ثوبا.

يصف طعاما قدمه له محمد بن سليمان

أخبرني عمّي و الحسين بن القاسم الكوكبيّ، قالا: حدثنا عبد اللّه بن أبي سعد، قال: حدّثنا إسحاق بن عبد اللّه الأزديّ، عن محمد بن عبد اللّه العامريّ القرشيّ، عن العمانيّ الشاعر: أنه تغدّى مع محمد بن سليمان بن عليّ، فكان أوّل ما قدّم إليهم فرنيّة[2]في لبن عليها سكر، ثم تتابع الطّعام، فقال له: قل فيما أكلت شعرا تصفه، فقال: جاءوا بفرنى لهم ملبون # بات يسقّى خالص السّمون

مصومع أكوم ذي غضون[3] # قد حشيت بالسكّر المطحون

و لوّنوا ما شئت من تلوين # من بارد الطّعام و السّخين

و من شراسيف و من طردين # و من هلام و مصوص جون[4]

و من إوزّ فائق سمين # و من دجاج قيت بالعجين[5]

فالشّحم في الظّهور و البطون # و أتبعوا ذلك بالجوزين

و بالخبيص الرّطب و اللّوزين # و فكّهوا بعنب و تين

و الرّطب الأزاذ[6]و الهيرون[7] # محمد يا سيّد البنين

/و بكر بنت المصطفى الأمين[8] # الصادق المبارك الميمون

و ابن ولاة البيت و الحجون # اسمع لنعت غير ذي تغنين

يخرج من فنّ إلى فنون # إن الحديث فيك ذو شجون

سبب تسميته العماني

أخبرنا الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني أحمد بن أبي كامل، قال: حدّثني أبو هاشم القينيّ، قال:

كان محمد بن ذؤيب العمانيّ الراجز من أهل البصرة، و يكنى أبا عبد اللّه و إنّما قيل له العمانيّ؛ لأنّه أقبل يوما [1]انظر ص 311 (الحاشية 4) .

[2]الفرنية: خبز مستدير.

[3]مصومع: مجمع عال. و في ف: «أكرم» بدل «أكوم» .

[4]الشراسيف جمع شرسوف: و هو مقط الضلع، و هو الطرف المشرف على البطن. و الطردين: طعام للأكراد. و الهلام: طعام من لحم عجلة بجلدها أو مرق السكباج المبرد المصفى من الدهن. و المصوص: طعام يطبخ و ينقع في الخلّ أو من لحم الطير خاصة.

[5]ب: «فت» .

[6]الأزاذ: نوع جيد من التمر.

[7]الهيرون: البرّيّ من التمر و الرطب.

[8]ف: «و ابن عم المصطفى الأمين» .

و قد خرج من علّة و وجهه أصفر، فقال له بعض أصحابنا: يا أبا عبد اللّه قد خرجت من هذه العلّة كأنك جمل عمانيّ، قال: و كانت جمال عمان تحمل الورس من اليمن إلى عمان فتصفرّ، قال: و هو من بني تميم، ثم من بني فقيم.

يمدح عيسى بن موسى فيصله

قال: فقدم على عيسى بن موسى، فلمّا وصل إليه أنشده مديحا له وفد إليه به، فاستحسنه و وصله و اقتطعه إليه و خصّه، و جعله في جلسائه، فقال العمانيّ فيه: /

ما كنت أدري ما رخاء العيش # و لا لبست الوشي بعد الخيش

حتى تمدّحت فتى قريش # عيسى، و عيسى عند وقت الهيش[1]

حين يخفّ غيره للطّيش[2] # زين المقيمين و عزّ الجيش

راش جناحيّ و فوق الرّيش

ينشد الرشيد قصيدة أثناء حصاره هرقلة يذكر فيها بغداد

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ، قال: حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد، قال: حدّثني أحمد بن عليّ بن أبي نعيم، قال: حدّثنا موسى بن صبيح المروزيّ، قال: /خرج الرّشيد غازيا بلاد الرّوم، فنزل بهرقلة، و نصب الحرب عليها، فدخل عليه العمانيّ و هو يذكر بغداد و طيبها و ما فيها أهلها من النّعمة، فأنشده العمانيّ قصيدة له في هذا المعنى، يذكر فيها طيب العيش ببغداد، وسعة النعم، و كثرة اللذّات، يقول فيها: ثم أتوهم بالدّجاج الدّجّج # بين قديد و شواء منضج

و بعبيط ليس بالملهوج # فدقّ دقّ الكودنيّ الدّيرج[3]

حتى ملا أعفاج[4]بطن نفّج # و قال للقينة: صبّي و امزجي

قال: فوهب له على القصيدة ثلاثين ألف درهم.

ابن جامع يغني الرشيد شعرا في ضرب هرقلة

ثم دخل إليه ابن جامع و قد أمر الرّشيد أن يوضع الكبريت و النّفط الأبيض على الحجارة، و تلفّ بالمشاقة[5]، و توقد فيها النار، ثم توضع في كفّة المنجنيق و يرمى بها السّور، ففعلوا ذلك، و كانت النار تثبت في السّور و تصدّعه حتى طلبوا الأمان حينئذ، فغنّاه ابن جامع و قال: هوت هرقلة لمّا أن رأت عجبا # حوائما[6]ترتمي بالنّفط و النّار

[1]الهيش: الفتنة.

[2]ب، مد، ما: «حين تجف عبرة للطيش» .

[3]لحم عبيط: طري. و الكودني: الفيل. و في ف: «فدق دق الكودرين الديرج» .

[4]الأعفاج جمع عفج، و هو ما ينتقل الطعام إليه بعد المعدة. و في ف: «حتى ملأ أنفاج بطن تنتجي» .

[5]المشاقة: ما سقط من الشعر و الكتان و نحوهما عند المشط.

[6]ب، مد، ما: «جواثما» .

كأنّ نيراننا في جنب قلعتهم # مصبّغات على أرسان قصّار

فأمر له بثلاثين ألف درهم أخرى.

يرتجل شعرا في فرس للمهديّ فيجيزه

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدّثني أبو هفّان، قال: حدّثني أحمد بن سليمان، قال: قال يزيد بن عقال[1]: /كنا وقوفا و المهديّ قد أجرى الخيل فسبقها فرس له يقال له الغضبان، فطلب الشّعراء فلم يحضر أحد منهم إلا أبو دلامة، فقال له: قلّده يا زند، فلم يفهم ما أراد فقلّده عمامته، فقال له المهديّ: يا بن اللّخناء، أنا أكثر عمائم منك؛ إنما أردت أن تقلّده شعرا، ثم قال: يا لهفي على العمانيّ، فلم يتكلّم بها حتى أقبل العمانيّ، فقيل له: ها هو ذا قد أقبل الساعة يا أمير المؤمنين، فقال: قدّموه، فقدّموه فقال: قلّد فرسي هذا، فقال غير متوقف: قد غضب الغضبان إذ جدّ الغضب # و جاء يحمي حسبا فوق الحسب

من إرث عبّاس بن عبد المطّلب # و جاءت الخيل به تشكو التّعب

له عليها ما لكم على العرب

فقال له المهديّ: أحسنت و اللّه، و أمر له بعشرة آلاف درهم.

صوت

لقد علمت و ما الإسراف من خلقي # أن الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى له فيعنّيني تطلّبه # و لو قعدت أتاني لا يعنّيني

الشعر لعروة بن أذينة، و الغناء لمخارق ثقيل أول بالبنصر عن عمرو.

[1]ب، ما، مد: «يزيد بن عفان» .

21-أخبار عروة بن أذينة و نسبه[1]

نسبه

هو عروة بن أذينة، و أذينة لقبه، و اسمه يحيى بن مالك[2]بن الحارث بن عمرو بن عبد اللّه بن زحل بن يعمر، و هو الشّدّاخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. و سمّي يعمر بالشّدّاخ لأنه تحمّل ديات قتلى كانت بين قريش و خزاعة، و قال: قد شدخت هذه الدّماء تحت قدميّ، فسمّي الشّدّاخ.

قال ابن الكلبيّ: الشّدّاخ، بضمّ الشّين.

شاعر و فقيه و محدّث

و يكنى عروة بن أذينة أبا عامر، و هو شاعر غزل مقدّم، من شعراء أهل المدينة، و هو معدود في الفقهاء و المحدّثين، روى عنه مالك بن أنس، و عبيد اللّه بن عمر العدويّ. أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، عن عمر بن شبّة، و روى جدّه مالك بن الحارث عن عليّ بن أبي طالب عليه السّلام.

روى قصة عن جده مالك

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن موسى، قال: حدّثنا أحمد بن الحارث، عن المدائنيّ، عن ابن دأب، عن عروة بن أذينة، عن أبيه، قال: حدّثني أبي مالك بن الحارث قال:

خرج مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام رجل من قومي كان مصطلما[3]، فخرجت في أثره و خشيت انقراض أهل بيته، فأردت أن أستأذن له من عليّ، فأدركت عليّا عليه السلام بالبصرة، و قد هزم النّاس و دخل البصرة، فجئته فقال: /مرحبا بك يا بن الفقيمة، أبدا لك فينا بداء[4]؟ قلت: و اللّه إنّ نصرتك لحقّ، و إنّي لعلى ما عهدت أحبّ العزلة، ثم ذاكرته أمر ابن عمّي ذلك، فلم يبعد عنه[5]، فكنت آتيه أتحدّث إليه. فركب يوما يطوف و ركبت معه، فإني لأسير إلى جانبه إذ مررنا بقبر طلحة، فنظر إليه نظرا شديدا، ثم أقبل عليّ فقال: أمسى و اللّه أبو محمد بهذا المكان غريبا، ثم تمثّل:

و ما تدري و إن أزمعت أمرا # بأيّ الأرض يدركك المقيل

[1]جاءت هذه الترجمة في الجزء الحادي و العشرون 105-111 بعد أن سقطت من نسخة بولاق و موضعها هنا، كما جاءت في نسخة ف و غيرها من النسخ الخطية الموثوقة.

[2] «مهذب الأغاني» : «يحيى بن مالك الليثي الكناني» .

[3]المصطلم: المقطوع.

[4]البداء، بفتح الباء: ظهور الرأي بعد أن لم يكن. و يقال: بدا لي في هذا الأمر بداء: ظهر لي فيه رأي آخر.

[5]ف: «يبعد منه» .

و اللّه إنّي لأكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب. قال: فوقع العراقيّون يشتمون طلحة و سكت عليّ و سكتّ، حتى إذا فرغوا أقبل عليّ عليه السلام عليّ فقال: إيه يا ابن الفقيمة، و اللّه إنه و إن قالوا ما سمعت لكما قال أخو جعفيّ: فتى كان يدنيه الغنى من صديقه # إذا ما هو استغنى و يبعده الفقر

ثم أردت أن أكلّمه بشيء فقلت: يا أمير المؤمنين، فقال: و ما منعك أن تقول: يا أبا الحسن[1]!فقلت: أبيت، فقال: و اللّه إنّها لأحبّهما إليّ و لو لا الحمقى، و لوددت أني خنقت بحبل حتى أموت قبل أن يفعل عثمان ما فعل، و ما أعتذر من قيام بحقّ، و لكنّ العافية مما ترى كانت خيرا.

ذهب مع أبيه لمكة و رأى حريق الكعبة

حدّثنا محمد خلف وكيع، و الحسن بن عليّ الخفّاف، قالا: حدّثنا الحارث بن أبي أسامة، قال: حدّثنا محمد بن سعد، عن الواقديّ، عن عبد اللّه بن يزيد، عن عروة بن أذينة، قال: قدمت مع أبي مكّة يوم احترقت الكعبة، فرأيت الخشب و قد خلصت إليه/النّار، و رأيت الكعبة متجرّدة، من الحريق، و رأيت الرّكن قد اسودّ و تصدّع من ثلاثة أمكنة، فقلت: ما أصاب الكعبة؟ فأشاروا إلى رجل من أصحاب ابن الزّبير فقالوا: هذا احترقت بسببه؛ أخذ قبسا في رأس رمح، فطيّرت الرّيح[2]منه شيئا، فضربت أستار الكعبة فيما بين اليمانيّ إلى الأسود.

وفد على هشام فذكّره بشعره في القناعة و لامه ثم ندم فأرسل إليه جائزة

حدّثني محمد بن جرير الطّبريّ و حفظته، و أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، و حبيب بن نصر المهلّبيّ قالوا: حدثنا عمر بن شبّة، قال: حدّثني عمر بن محروس الورّاق بن أقيصر السّلميّ، قال: حدّثنا يحيى بن عروة بن أذينة، قال: أتى أبي و جماعة من الشعراء هشام بن عبد الملك، فنسبهم، فلما عرف أبي قال له: أنت القائل: لقد علمت و ما الإسراف من خلقي # أنّ الذي هو رزقي سوف يأتيني[3]

أسعى له فيعنّيني تطلّبه # و لو جلست[4]أتاني لا يعنّيني

هذان البيتان فقط ذكرهما المهلّبيّ و الجوهريّ، و ذكر محمد بن جرير في خبره الأبيات كلها: و أنّ حظّ امرئ غيري سيبلغه # لا بدّ لا بدّ أن يحتازه[5]دوني

لا خير في طمع يدني لمنقصة # و غفّة[6]من قوام العيش تكفيني

/لا أركب الأمر تزري بي عواقبه # و لا يعاب به عرضي و لا ديني

[1]ف: «يا أبا حسن» .

[2]في «تاريخ الطبري» 5-499 ط. المعارف: «فطيرت الريح به» .

[3]في «الشعر و الشعراء» 2-579: «... فما الإسراف في طمعي» . و في اللسان (شرف) :

«و ما الإشراف في طمعي»

.

[4]ف، و «الشعر و الشعراء» 2-579، و «التجريد» : «و لو قعدت» .

[5]مج، «التجريد» : «يجتازه» .

[6]ف، «التجريد» ، س:

«و غبر من كفاف العيش»

. و في «المختار» :

«و غفة من كفاف العيش»

. و الغفة: البلغة من العيش.

كم من فقير غنيّ النّفس تعرفه # و من غنيّ فقير النّفس مسكين

و من عدوّ رماني لو قصدت له # لم يأخذ النّصف مني حين يرميني[1]

و من أخ لي طوى كشحا فقلت له: # إنّ انطواءك عني سوف يطويني

إني لأنطق فيما كان من أربي # و أكثر الصّمت فيما ليس يعنيني

لا أبتغي وصل من يبغي مفارقتي[2] # و لا ألين لمن لا يشتهي ليني

فقال له ابن أذينة: نعم أنا قائلها، قال: أ فلا قعدت في بيتك حتى يأتيك رزقك!.

و غفل عنه هشام، فخرج من وقته و ركب راحلته و مضى منصرفا، ثم افتقده هشام فعرف خبره، فأتبعه بجائزة و قال للرّسول: قل له: أردت أن تكذّبنا و تصدّق نفسك. فمضى الرسول فلحقه و قد نزل على ماء يتغذّى عليه، فأبلغه رسالته و دفع الجائزة. فقال: قل له: صدّقني ربّي و كذّبك.

قال يحيى بن عروة: و فرض له فريضتين، فكنت أنا في إحداهما.

أخبرنا وكيع قال: حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك، قال: حدّثني الزّبير بن بكّار، قال: حدّثني أبو غزيّة، قال: حدّثني أنس بن حبيب، قال: خرج ابن أذينة إلى هشام بن عبد الملك في قوم من أهل المدينة وفدوا عليه، و كان ابنه مسلمة بن هشام سنة حجّ أذن لهم في الوفود عليه، فلما دخلوا على هشام انتسبوا له و سلّموا عليه، فقال: ما جاء بك يا ابن أذينة؟ فقال: أتينا نمتّ بأرحامنا # و جئنا بإذن أبي شاكر

فإنّ الذي سار معروفه # بنجد و غار مع الغائر

/إلى خير خندف في ملكها # لباد من النّاس أو حاضر

فقال له هشام: ما أراك إلا قد أكذبت نفسك حيث تقول:

لقد علمت و ما الإسراف من خلقي # أنّ الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى له فيعنّيني تطلّبه # و لو جلست أتاني لا يعنّيني

فقال له ابن أذينة: ما أكذبت نفسي يا أمير المؤمنين، و لكني صدّقتها، و هذا من ذاك. ثم خرج من عنده فركب راحلته إلى المدينة، فلما أمر لهم هشام بجوائزهم فقده، فقال: أين ابن أدينة؟فقالوا: غضب من تقريعك له يا أمير المؤمنين، فانصرف راجعا إلى المدينة، فبعث إليه هشام بجائزته.

مرّ بغنمه و راعيه نائم فضربه و قال شعرا

أخبرنا وكيع، قال: حدّثنا هارون بن محمد، قال: حدّثنا الزّبير بن بكّار، قال: حدّثني عمّي، عن عروة بن عبيد اللّه، قال: كان عروة بن أذينة نازلا مع أبي في قصر عروة بالعقيق، و خرج أبي يوما يمشي و أنا معه و ابن أذينة، و نظر إلى [1]هذا البيت ساقط من ف. و النّصف: الإنصاف. يقال: ما جعلوا بيني و بينهم نصفا.

[2] «المختار» : «مقاطعتي» .

غنم كانت له في يدي راع يقال له كعب، و هي مهملة، و كعب نائم حجرة[1]، فجعل ابن أذينة ينزو حوله و هو يضربه و يقول: لو يعلم الذّئب بنوم كعب # إذا لأمسى عندنا ذا ذنب

اضربه و لا يقول حسبي # لا بدّ عند ضيعة من ضرب

غنّى ابن عائشة بشعره

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، و حبيب بن نصر المهلّبيّ، و إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قالوا: حدّثنا عمر بن شبّة، قال: حدّثني أبو غسّان محمد بن يحيى، عن بعض أصحابه، قال: /مرّ ابن عائشة المغنيّ بعروة بن أذينة، فقال له: قل لي أبياتا هزجا أغنّي فيها، فقال له: اجلس، فجلس، فقال:

صوت

سليمى أجمعت بينا # فأين تقولها أينا!

و قد قالت لأتراب # لها زهر تلاقينا: تعالين فقد طاب # لنا العيش تعالينا

و غاب البرم[2]الليـ # لة و العين فلا عينا

فأقبلن إليها مسـ # رعات يتهادينا

إلى مثل مهاة الرّمـ # ل تكسو المجلس الزّينا

تمنّين مناهن # فكنّا ما تمنّينا

قال أبو غسّان: فحدّثت أنّ ابن عائشة رواها، ثم ضحك لمّا سمع قوله: تمنّين مناهنّ # فكنّا ما تمنّينا

ثم قال: يا أبا عامر تمنّينك[3]لمّا أقبل بخرك و أدبر ذكرك.

ذكر عند عمر بن عبد العزيز فامتدحه

قال عمر بن شبّة: قال أبو غسّان: فحدّثني حمّاد الحسينيّ قال: ذكر ابن أذينة عند عمر بن عبد العزيز، فقال: نعم الرّجل أبو عامر، على أنه الذي يقول: و قد قالت لأتراب # لها زهر تلاقينا

/و أخبرني بهذا الخبر وكيع، قال: حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزّيات، عن الزّبير، عن محمد بن يحيى، عن إسحاق بن إبراهيم، عن قسطاس قال: [1]حجرة: ناحية.

[2]البرم: الضجر السّئوم.

[3] «المختار» : «تمنتك» .

مرّ ابن عائشة بابن أذينة، ثمّ ذكر الخبر مثل الذي قبله.

اعتراض سكينة على ادعائه العفة مع شعر قاله

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ، و الحرميّ بن أبي العلاء، قالا: حدّثنا الزّبير بن بكّار، قال: حدثني أبو معاوية عبد الجبّار بن سعيد المساحقيّ، و أخبرنا به وكيع، قال: حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ، عن الحارث بن محمد العوفيّ، قال: وقفت سكينة بنت الحسين بن عليّ عليهما السّلام على عروة بن أذينة في موكبها و معها جواريها، فقالت: يا أبا عامر، أنت الذي تزعم أن لك مروءة، و أنّ غزلك من وراء عفّة و أنّك تقيّ؟قال: نعم، قالت: أ فأنت الذي تقول:

صوت

قالت و أبثتها وجدي فبحت به: # قد كنت عندي تحبّ السّتر فاستتر

أ لست تبصر من حولي؟فقلت لها: # غطّى هواك و ما ألقى على بصري[1]

قال لها: بلى، قالت: هنّ حرائر إن كان هذا خرج من قلب سليم، أو قالت: من قلب صحيح.

في هذين البيتين لعلّوية رمل بالبنصر، و فيهما لإسحاق هزج بالوسطى، /و فيهما لمخارق ثقيل أول بالبنصر، عن الهشاميّ و عمرو بن بانة، و ذكر حبش أنّ الثقيل الأول لمعبد اليقطينيّ.

تمثل المتوكل للمنتصر بشعره

و ذكر عليّ بن محمد بن نصر البسّاميّ أن خاله أبا عبد اللّه بن حمدون بن إسماعيل قال: كنت جالسا بين يدي المتوكل، و بين يديه المنتصر، فأحضر المعتزّ و هو صبيّ صغير، فلعب فأفرط في اللّعب، و المنتصر يرمقه كالمنكر لفعله، فنظر إليه المتوكّل عدّة دفعات، ثم التفت إلى المنتصر فقال: يا محمد: قالت و أبثتها وجدي فبحت به: # قد كنت عندي تحب السّتر فاستتر

قال: فاعتذر إليه المنتصر عذرا قبله و هو مقطّب معرض. قال: و كان المنتصر أشدّ خلق اللّه بغضا للمعتز، و طعنا عليه. و لقد دخلت إليه يوما و دخل إليه أبو خالد المهلّبيّ بعد قتل المتوكل و إفضاء الخلافة إليه، و مع المهلبيّ درع كأنها فضة، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه درع المهلّب، فأخذها

و قام فلبسها، و رأى المعتزّ و عليه و شيء مثقل و ما أشبه ذلك، فتمثّل ببيت جرير: لبست سلاحي و الفرزدق لعبة # عليه وشاحا كرّج[2]و جلاجله

اعترضت امرأة على شعر قاله

أخبرني وكيع، قال: حدثني هارون بن محمد، قال: حدّثني عبد اللّه بن شعيب الزّبيريّ، قال: حدثني عبد العزيز بن أبي سلمة قال: [1]البيتان في «الشعر و الشعراء» 2-579 ط. المعارف. و في «التنبيه» -27 ط. دار الكتب.

[2]الكرّج: مهر خشبي يلعب عليه الأطفال. ـ

مرّت امرأة بابن أذينة و هو بفناء داره فقالت له: أ أنت ابن أذينة؟قال: نعم، قالت: أ أنت الذي يقول النّاس إنّك امرؤ صالح[1]، و أنت الّذي تقول:

إذا وجدت أوار الحبّ في كبدي # عمدت نحو سقاء القوم أبترد

/هبني بردت ببرد الماء ظاهره # فمن لحرّ على الأحشاء يتّقد![2]

أبو السائب المخزومي يطلب إنشاده شعرا قاله عروة

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، قال: حدّثنا الزّبير بن بكّار، قال: حدّثني عمّي، عن عروة بن عبد اللّه، و أخبرنا به وكيع، عن هارون بن الزّيّات، عن الزّبيريّ، عن عمه، عن عروة بن عبد اللّه، و ذكره حمّاد، عن أبيه، عن الزّبيريّ، عن عروة هذا قال: كان عروة بن أذينة نازلا في دار أبي بالعقيق، فسمعه ينشد:

صوت

إنّ التي زعمت فؤادك ملّها # جعلت هواك كما جعلت هوى لها

فبك الّذي[3]زعمت بها و كلاكما # يبدي لصاحبه الصّبابة كلّها

و يبيت بين جوانحي حبّ لها # لو كان تحت فراشها لأقلّها[4]

و لعمرها لو كان حبّك فوقها # يوما و قد ضحيت إذا لأظلّها

و إذا وجدت لها وساوس سلوة # شفع الفؤاد إلى الضّمير فسلّها[5]

بيضاء باكرها النّعيم فصاغها # بلباقة فأدقّها و أجلّها[6]

لما عرضت مسلّما لي حاجة # أرجو معونتها و أخشى دلّها[7]

منعت تحيّتها فقلت لصاحبي: # ما كان أكثرها لنا و أقلّها

/فدنا فقال: لعلّها معذورة # من أجل رقبتها، فقلت: لعلّها

قال: فأتاني أبو السّائب المخزوميّ و أنا في داري بالعقيق، فقلت له بعد التّرحيب: هل بدت لك حاجة؟ فقال: نعم، أبيات لعروة بن أذينة، بلغني أنّك سمعتها منه، فقلت له: و أيّة أبيات؟فقال: و هل يخفى القمر؟قوله: إنّ الّتي زعمت فؤادك ملّها

فأنشدته إيّاها، فلما بلغت إلى قوله: «فقلت: لعلّها» . قال: أحسن و اللّه، هذا و اللّه الدّائم العهد، الصادق الصبابة، لا الذي يقول: [1]ف، «التجريد» : «يقول الناس: إنك بريء و إنك صالح» .

[2]البيتان في «التنبيه» -26 ط. دار الكتب، و روي الشطر الأخير من البيت الثاني: «فمن لنار على الأحشاء تتقد»

.

[3]مج، «المختار» : «التي زعمت» .

[4]أقلها: أصابها و أتعبها. و هذا البيت ساقط من ف.

[5]في «الأمالي» 1-156:

«شفع الضمير لها إلى فسلها»

، و في «المختار» :

«شفع الضمير إلى الفؤاد فسلها»

.

[6]في «الأمالي» 1-156:

«بلبانه فأرقها و أجلها»

.

[7]س: «ذلّها» .

إن كان أهلك يمنعونك رغبة # عنّي فأهلي بي أضنّ و أرغب

اذهب لا صحبك اللّه و لا وسّع عليك-يعني قائل هذا البيت-لقد عدا الأعرابيّ طوره، و إني لأرجو أن يغفر اللّه لصاحبك-يعني عروة-لحسن ظنّه بها، و طلبه العذر لها. قال: فعرضت عليه الطّعام فقال: لا، و اللّه ما كنت لآكل بهذه الأبيات طعاما إلى اللّيل، و انصرف.

ذكر ما في هذا الخبر من الغناء

في الشّعر المذكور فيه لعروة في البيت الأول و الرّابع من الأبيات خفيف رمل بالوسطى، نسبه ابن المكّيّ إلى ابن مسجح، و قيل: إنّه من منحوله إليه، و فيهما و في البيت الثالث من شعر ابن أذينة خفيف ثقيل لابن الهربذ، و البيت: و يبيت بين جوانحي حبّ لها # لو كان تحت فراشها لأقلّها

رأي لأبي السائب في شعر قاله

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزّبير بن بكّار، قال: حدّثنا عمر بن أبي بكر المؤمّليّ، قال: أخبرنا عبد اللّه بن أبي عبيدة[1]، قال: قلت: لأبي السّائب المخزومي: ما أحسن عروة بن أذينة حيث يقول:

صوت

لبثوا ثلاث منّى بمنزل غبطة # و هم على غرض لعمرك ما هم

متجاورين بغير دار إقامة # لو قد أجدّ رحيلهم لم يندموا

و لهنّ بالبيت العتيق لبانة # و البيت يعرفهنّ لو يتكلّم[2]

لو كان حيّا قبلهنّ ظعائنا # حيّا الحطيم وجوههنّ و زمزم

و كأنّهنّ و قد حسرن لواغبا # بيض بأكناف الحطيم مركّم

في هذه الأبيات الثّلاثة لابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو.

قال: فقال: لا، و اللّه ما أحسن و لا أجمل، و لكنّه أهجر و أخطل في صفتهنّ بهذه الصفة، ثم لا يندم على رحيلهن، أ هكذا قال كثيّر حيث يقول:

صوت

تفرّق أهواء الحجيج على منّى # و صدّعهم شعب النّوى صبح أربع[3]

فريقان: منهم سالك بطن نخلة # و آخر منهم سالك بطن تضرع[4]

-في هذين البيتين للدلال ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ و حبش-.

[1]ف: «أخبرنا عبد اللّه بن عبيدة» .

[2]ف: «لا يتكلم» .

[3]في ف: «منذ أربع» . و في «معجم البلدان» 1-853:

«إلى منى # ... مشى أربع»

.

[4]في «معجم البلدان» 1-853: تضرع: جبل لكنانة قرب مكة.

فلم أر دارا مثلها غبطة # و ملقى إذا التفّ الحجيج بمجمع

أقلّ مقيما راضيا بمكانه # و أكثر جارا ظاعنا لم يودّع

انظر إليه كيف تقدّمت شهادته علمه و كبا لسانه ببيانه[1]، و هل يغتبط عاقل بمقام لا يرضى به[2]، و لكن مكره أخوك لا بطل، و العرجيّ كان أوفي بالعهد منهما و أولى بالصّواب، حين تعرّض لها نافرة من منّى، فقال لها عاتبا مستكينا: /

عوجي عليّ فسلّمي جبر # فيم الصّدود و أنتم سفر!

ما نلتقي إلاّ ثلاث منى # حتى يفرّق بيننا النّفر

في هذين البيتين غناء قد تقدّمت نسبته في أخبار ابن جامع في أوّل الكتاب[3].

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، قال: حدّثنا الزّبير بن بكّار، قال: حدّثني جعفر بن موسى اللّهبي، قال: كان عبد الملك بن مروان إذا قدم مكّة أذن للقرشيّين في السّلام عليه، فإذا أراد الخروج لم يأذن لأحد منهم و قال: أكذبنا إذا قول الملحّى-يعني كثيّرا-حيث يقول: تفرّق أهواء الحجيج على منى # و صدّعهم شعب النوى صبح أربع

و ذكر الأبيات الأربعة.

خالد صامة يغني شعره بين يدي الوليد بن يزيد

أخبرنا عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدّثنا محمد بن يزيد، قال: حدّث الزبيريّ، عن خالد صامة، و كان أحد المغنّين قال: قدمت على الوليد بن يزيد، فدخلت إليه و هو في مجلس ناهيك به، و هو على سرير، و بين يديه معبد و مالك و ابن عائشة و أبو كامل، فجعلوا يغنّون، حتى بلغت النّوبة إليّ فغنّيته:

صوت

سرى همّي و همّ المرء يسري # و غار النّجم إلا قيس فتر[4]

/أراقب في المجرّة كلّ نجم # تعرّض للمجرّة كيف يجري

لهمّ ما أزال له مديما # كأنّ القلب أضرم حرّ جمر[5]

على بكر أخي ولّى حميدا # و أيّ العيش يصفو بعد بكر!

[1]ف: «و كفى لسانه ببيانه» .

[2]ف: «و جعل يغتبط عاقل بمقام و لا يرضى به» .

[3]البيتان في الجزء الأول ص 422 (طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر) معزوان للعرجي، و هو يشبب ببجيرة المخزومية زوجة محمد بن هشام و جاء بعدهما بيت ثالث و هو: الحول بعد الحول يجمعنا # ما الدهر إلا الحول و الهشر

[4]في «رغبة الآمل» 2-238:

«و غار النجم إلا قيد فتر»

. و قيس فتر: مقداره.

[5]ف: «قديما» بدل: «مديما» . و في «رغبة الآمل» 2-238: «كأن القلب سعر حر جمر»

.

فقال لي الوليد: أعد يا صام[1]، ففعلت، فقال لي: من يقول هذا الشّعر؟قلت: عروة[2]بن أذينة يرثي أخاه بكرا. فقال لي: و أيّ العيش لا يصفو بعده هذا العيش و اللّه الذي نحن فيه على رغم أنفه، و اللّه لقد تحجّر واسعا[3].

لابن سريج في هذه الأبيات ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو و ابن المكّيّ و غيرهما و فيها رمل ينسب إلى ابن عباد الكاتب، و إلى حاجب الحرّور[4]، و إلى مسكين بن صدقة.

حدّثنا الأخفش، عن محمد بن يزيد، قال: قال الزّبيري: حدّثت أن سكينة بنت الحسين عليه السلام أنشدت هذا الشعر فقالت: من بكر هذا؟أ ليس هو الأسود الدّحداح[5]الذي كان يمرّ بنا؟قالوا: نعم، فقالت: لقد طاب كلّ شيء بعده حتى الخبز و الزّيت.

اعترض ابن أبي عتيق على شعره في رثاء أخيه فخاصمه

و أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف، قال: حدّثنا أحمد بن سعيد الدّمشقيّ، قال: حدّثنا الزّبير بن بكّار، قال: حدثني عمّي، قال:

لقي ابن أبي عتيق عروة بن أذينة فأنشده قوله: لا بكر لي إذ دعوت بكرا # و دون بكر ثرى و طين

/حتى فرغ منها، ثم أنشده: سرى همّي و همّ المرء يسري

حتى بلغ إلى قوله:

و أيّ العيش يصلح بعد بكر!

فقال له ابن أبي عتيق[6]: كلّ العيش و اللّه يصلح بعده حتى الخبز و الزيت. فغضب عروة من قوله، و قام عن مجلسه، و حلف ألاّ يكلّمه أبدا، فماتا متهاجرين.

[1]ف، مج: «يا أصم» .

[2]ف: «عمر بن أذينة» .

[3]تحجر واسعا: ضيّق على نفسه.

[4]س: «ينسب إلى أبي عباد الكلب، و إلى صاحب الحرون» .

[5]الدحداح: القصير.

[6]س، مج: «ابن عتيق» .

22-ذكر مخارق و أخباره[1]

نسبه

هو مخارق بن يحيى بن ناووس الجزّار مولى الرّشيد، و قيل: بل ناووس لقب أبيه يحيى، و يكنى أبا المهنّأ، كناه الرشيد بذلك.

و كان قبله لعاتكة بنت شهدة، و هي من المغنّيات المحسنات المتقدّمات في الضّرب، ذكر ذلك مخارق و اعترف به. و نشأ بالمدينة، و قيل: بل كان منشؤه بالكوفة.

بان طيب صوته فعلمته مولاته الغناء

و كان أبوه جزّارا مملوكا، و كان مخارق و هو صبيّ ينادي على ما يبيعه أبوه[2]من اللحم، فلما بان طيب صوته علّمته مولاته طرفا من الغناء، ثم أرادت بيعه، فاشتراه إبراهيم الموصليّ منها، و أهداه للفضل بن يحيى، فأخذه الرّشيد منه، ثم أعتقه.

اشتراه إبراهيم الموصلي ثم وهبه إلى الفضل بن يحيى ثم صار إلى الرشيد

أخبرني الحسين بن يحيى، قال: قال حمّاد: حدّثني زكريّا مولاهم، و أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ، قال: حدّثني عبيد اللّه بن محمد بن عبد الملك، قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن زكريّا مولاهم، قال:

قدمت مولاة مخارق به من الكوفة، فنزلت المخرّم[3]، و صار إبراهيم إلى جدّي الأصبغ بن سنان المقيّن[4] و سيرين[5]بن طرخان النّخّاس، فقالا له: إن/ هاهنا امرأة من أهل الكوفة قد قدمت و معها غلام يتغنّى، فأحبّ أن تنفعها فيه، قال: فوجّهني مع مولاته لأحمله، فوجدته متمرّغا في رمل الجزيرة التي بإزاء المخرّم و هو يلعب، فحملته خلفي و أتيت به إبراهيم، فتغنّى بين يديه فقال لها: كم أملك فيه؟قالت: عشرة آلاف درهم، قال: قد أخذته بها و هو خير منها. فقالت: أقلني، قال: قد فعلت، فكم أملك فيه؟ قالت: عشرون ألفا، قال: قد أخذته بها و هو خير منها. فقالت: و اللّه ما تطيب نفسي أن أمتنع[6]من عشرين ألف درهم بكبد رطبة، فهل لك فيّ خصلة تعطيني به ثلاثين ألف درهم و لا أستقيلك[7]بعدها؟فقال: قد فعلت و هو خير منها، فصفقت على يده[8]و بايعته، و أمر [1]جاءت هذه الترجمة في الجزء الحادي و العشرين 143-159، و سقطت من طبعة بولاق و موضعها هنا، كما جاءت في نسخة ف و غيرها من النسخ الخطية الموثوقة.

[2]ف: «أبو مخارق» .

[3]المخرم (بكسر الراء) : محلة كانت ببغداد بين الرصافة و نهر المعلى منسوبة إلى مخرم بن يزيد بن شريح.

[4]المقين من قيّنه تقيينا: زيّنه.

[5]في «المختار» : «شيرين بن طرخان» . و في مج: «بشر بن طرخان» ، و في ما: «ابن طرخان» .

[6]ف، «المختار» : «و اللّه ما تطيب نفسي أن أمنع كبدا رطبة عشرين ألف درهم» .

[7]ف: «و لا أستقلك» . و استقاله البيع: طلب إليه أن يفسخه.

[8]صفقت على يده: ضربت يدها على يده، و ذلك وجوب البيع.

بالمال فأحضر، و أمر بثلاثة آلاف درهم فزيدت عليه، و قال: تكون هذه لهديّة تهدينها أو كسوة تكتسينها، و لا تثلمين المال.

و راح إلى الفضل بن يحيى فقال له: ما خبر غلام بلغني أنك اشتريته؟ قال: هو ما بلغك، قال: فأرنيه، فأحضره، فلما تغنّى بين يدي الفضل قال له: ما أرى فيه الذي رأيت، قال: أنت تريد أن يكون في الغناء مثلي في ساعة واحدة، و لم يكن مثله في الدّنيا و لا يكون أبدا. فقال: بكم تبيعه؟فقال: اشتريته بثلاثة و ثلاثين ألف درهم، و هو حرّ لوجه اللّه تعالى إن بعته إلا بثلاثة و ثلاثين ألف دينار، فغضب الفضل و قال: إنما أردت أن تمنعنيه أو تجعله سببا لأن تأخذ منّي ثلاثة و ثلاثين ألف دينار، فقال له: أنا أصنع بك خصلة؛ أبيعك نصفه بنصف هذا المال، و أكون شريكك في نصفه و أعلّمه، فإن أعجبك إذا علّمته أتممت لي باقي المال. و إلا بعته بعد ذلك و كان الرّبح بيني و بينك. فقال له الفضل: إنما أردت أن تأخذ منّي المال الذي قدّمت ذكره، فلما لم تقدر على ذلك أردت أن تأخذ نصفه.

/و غضب، فقال له إبراهيم: فأنا أهبه لك، على أنه يساوي ثلاثة و ثلاثين ألف دينار، قال: قد قبلته، قال:

قد وهبته لك، و غدا إبراهيم على الرّشيد، فقال له: يا إبراهيم ما غلام بلغني أنك وهبته للفضل؟قال: فقلت: غلام يا أمير المؤمنين لم تملك العرب و لا العجم مثله، و لا يكون مثله أبدا، قال: فوجّه إلى الفضل فأمره بإحضاره، فوجّه به إليه فتغنّى بين يديه، فقال لي: كم يساوي؟قال: قلت: يساوي خراج مصر و ضياعها.

فقال لي: ويلك، أ تدري ما تقول!مبلغ هذا المال كذا و كذا، فقلت: و ما مقدار هذا المال في شيء لم يملك أحد مثله قطّ!قال: فالتفت إلى مسرور الكبير و قال:

قد عرفت يميني ألاّ أسأل أحدا من البرامكة شيئا بعد فنفنة[1]، فقال مسرور: فأنا أمضي إلى الفضل فأستوهبه منه، فإذا وهبه لي و كان عبدي فهو عبدك، فقال له: شأنك. فمضى مسرور إلى الفضل فقال له: قد عرفتم ما وقعتم فيه من أمر فنفنة[1]، و إن منعتموه هذا الغلام قامت القيامة، و استوهبه منه فوهبه له، فبلغ ما رأيت. فكان علّوية إذا غضب على مخارق يقول له-حيث يقول: أنا مولى أمير المؤمنين-متى كنت كذلك؟إنما أنت عبد الفضل بن يحيى أو مولى مسرور.

سبب تلقيب أبيه بناووس

أخبرني ابن أبي الأزهر، قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه قال:

كان مخارق بن ناووس الجزّار؛ و إنما لقّب بناووس لأنه بايع رجلا أنه يمضي إلى ناووس[2]الكوفة فيطبخ فيه قدرا بالليل حتى تنضج، فطرح رهنه بذلك، فدسّ الرجل الذي راهنه رجلا، فألقى نفسه في النّاووس[2]بين الموتى، فلمّا فرغ من الطّبيخ[3]/مدّ الرّجل يده من بين الموتى و قال له: أطعمني، فغرف ملء المغرفة من المرقة فصبّها في يد الرجل فأحرقها، و ضربها بالمغرفة و قال له: اصبر حتى نطعم الأحياء أولا ثم نتفرّغ للموتى، فلقّب بناووس لذلك، فنشأ ابنه مخارق، و كان ينادي عليه إذا باع الجزور، فخرج له صوت عجيب، فاشتراه أبي و أهداه [1] «المختار» ، «قنقنة» ، و لعله خادم أو جارية.

[2]الناووس: مقبرة النصارى.

[3]ف، «التجريد» : «فلما فرغ ناووس من طبيخه» .

للرّشيد فأمره بتعليمه فعلّمه حتى بلغ المبلغ الذي بلغه.

غنى لرشيد بعد ابن جامع ففاقه

و كان يقف بين يدي الرّشيد مع الغلمان لا يجلس، و يغنّي و هو واقف، فغنّى ابن جامع ذات يوم بين يدي الرّشيد: كأنّ نيراننا في جنب قلعتهم # مصبّغات على أرسان قصّار[1]

هوت هرقلة لمّا أن رأت عجبا # حوائما[2]ترتمي بالنّفط و النّار

فطرب الرشيد و استعاده عدّة مرّات، و هو شعر مدح به الرشيد في فتح هرقلة، و أقبل يومئذ على ابن جامع دون غيره، فغمز مخارق إبراهيم بعينه، و تقدّمه إلى الخلاء، فلما جاءه قال له: ما لي أراك منكسرا[3]؟قال: أما ترى إقبال أمير المؤمنين على ابن جامع بسبب هذا الصوت؟فقال: قد و اللّه أخذته، فقال له: ويحك إنه الرّشيد، و ابن جامع من تعلم، و لا يمكن معارضته إلا بما يزيد على غنائه، و إلا فهو الموت، و قال: دعني و خلاك ذمّ، و عرّفه أنّي أغنّي به، فإن أحسنت فإليك ينسب، و إن أسأت فإليّ يعود[4]. فقال للرّشيد: يا أمير المؤمنين، أراك متعجبا من هذا/الصوت بغير ما يستحقه و أكثر ممّا يستوجبه، فقال: لقد أحسن ابن جامع ما شاء، قال: أو لابن جامع هو؟قال: نعم، كذا ذكر، قال له: فإن عبدك مخارقا يغنّيه، فنظر إلى مخارق، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، فقال: هاته، فغنّاه و تحفّظ فيه، فأتى بالعجائب؛ فطرب الرّشيد حتى كاد يطير فرحا، و شرب، ثم أقبل على ابن جامع فقال له: ويلك، ما هذا!فابتدأ يحلف له بالطّلاق و كلّ محرجة أنّه لم يسمع ذلك الصوت قطّ إلاّ منه، و لا صنعه غيره، و أنها حيلة جرت عليه، فأقبل على إبراهيم و قال: أصدقني بحياتي، فصدقه[5]عن قصّة مخارق، فقال له: أ كذلك هو يا مخارق؟قال: نعم يا مولاي، فقال: اجلس إذن مع أصحابك، فقد تجاوزت مرتبة من يقوم، و أعتقه و وصله بثلاثة آلاف دينار، و أقطعه ضيعة و منزلا.

كان سبب عتقه و غناه لحنا غناه أمام الرشيد

أخبرني محمد بن خلف وكيع، و حدّثني محمد بن خلف بن المرزبان، قال وكيع: حدّثني هارون بن مخارق، و قال ابن المرزبان: ذكر هارون بن مخارق، قال: كان أبي إذا غنّى هذا الصوت:

يا ربع سلمى لقد هيّجت لي طربا # زدت الفؤاد على علاّته وصبا[6]

ربع تبدّل ممّن كان يسكنه # عفر الظّباء و ظلمانا به عصبا[7]

[1]المصبغات: الملونات، و الأرسان من الأرض: الحزنة. و القصار: المبيض الثياب.

[2] «المختار» : «جواثما» . و جاء البيت الثاني في «التجريد» مكان الأول.

[3]ف: «ما لي رأيتك مفكرا» .

[4] «التجريد» ، ف: «و إن أسأت فعليّ يعود» .

[5] «المختار» : «فصدق» .

[6]ف: «نصبا» .

[7]العصب: جمع عصبه، و هي الجماعة.

يبكي و يقول: أنا مولى هذا الصّوت، فقلت له: و كيف ذاك يا أبت؟ فقال: غنّيته مولاي الرّشيد فبكى و شرب عليه رطلا، ثمّ قال: أحسنت يا مخارق فسلني حاجتك، فقلت: أن تعتقني يا أمير المؤمنين أعتقك اللّه من/ النّار، فقال: أنت حرّ لوجه اللّه، فأعد الصوت، فأعدته فبكى و شرب رطلا ثم قال: أحسنت يا مخارق فسلني حاجتك، فقلت: ضيعة تقيمني غلّتها، قال: قد أمرت لك بها، أعد الصوت، فأعدته فبكى و قال: سل حاجتك، فقلت:

يا أمير المؤمنين تأمر لي بمنزل و فرش و خادم، قال: ذلك لك، أعد الصّوت، فأعدته، فبكى و قال: سل حاجتك، فقبّلت الأرض بين يديه و قلت: حاجتي أن يطيل اللّه بقاءك و يديم عزّك و يجعلني من كلّ سوء فداءك، فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاي.

المأمون يسأل إسحاق عنه و عن إبراهيم بن المهدي

[1]و ذكر محمد بن الحسن الكاتب أنّ أبان بن سعيد حدّثه:

أنّ المأمون سأل إسحاق، عن إبراهيم بن المهديّ و مخارق فقال: يا أمير المؤمنين إذا تغنّى إبراهيم بن المهديّ بعلمه فضل مخارقا، و إذا تغنّى مخارق بطبعه و فضل صوته فضل إبراهيم، فقال له: صدقت[1].

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدّثنا المبرد بهذا الخبر فقال: حدّثني بعض حاشية السلطان:

أنّ إبراهيم الموصليّ غنّى الرّشيد يوما هذا الصوت فأعجب به و طرب له و استعاده مرارا، فقال له: فكيف لو سمعته من عبدك مخارق، فإنّه أخذه عنّي و هو يفضل فيه الخلق جميعا و يفضلني، فدعا بمخارق فأمره أن يغنّيه، و ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدّم.

كناه الرشيد أبا لنهنأ لإحسانه في الغناء

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن أبي الدّنيا، عن إسحاق بن محمد النّخعيّ، عن الحسين بن الضّحّاك، عن مخارق:

أن الرّشيد قال يوما للمغنّين و هو مصطبح، من منكم يغنّي[2]:

يا ربع سلمى لقد هيّجت لي طربا

/فقمت فقلت: أنا يا أمير المؤمنين، فقال: هاته، فغنّيته، فطرب و شرب ثم قال: عليّ بهرثمة بن أعين، فقلت في نفسي: ما يريد منه؟فجاءوا بهرثمة، فأدخل إليه و هو يجرّ سيفه، فقال له: يا هرثمة، مخارق الشّاري[3]

الذي قتلناه بناحية الموصل ما كانت كنيته؟فقال: أبو المهنّأ، فقال: انصرف، فانصرف، ثم أقبل عليّ و قال: قد كنيتك أبا المهنأ لإحسانك، و أمر لي بمائة ألف درهم، فانصرفت بها و بالكنية.

الواثق يعذر غلمانه حين تركوا قصره و ذهبوا لسماع غنائه

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني عليّ بن محمد بن نصر البسّاميّ، قال: حدّثني خالي أبو عبد اللّه بن حمدون، قال:

[1]- (1) هذا الخبر ساقط من ف.

[2]ف: «يغنيني» .

[3]الشاري: من يبيع نفسه في طاعة اللّه، واحد الشراة. و الشراة: فرقة من الخوارج.

رحنا إلى الواثق و أمّه عليلة، فلمّا صلّى المغرب دخل إلى أمه، و أمر بألاّ نبرح، و كان في الصّحن حصر غير مفروشة. فقال لي مخارق: امض بنا حتى نفرش[1]حصيرا من هذه الحصر فنجلس على بعضه و نتّكئ على المدرّج منه، و كانت ليلة مقمرة، فمضينا ففرشنا بعض تلك الحصر، و استلقينا و تحدثنا، و أبطأ الواثق عند أمّه، فاندفع مخارق فغنّى:

أيا بيت ليلى إنّ ليلى عربية # براذان لا خال لديها و لا ابن عم[2]

فاجتمع علينا الغلمان و خرج الواثق فصاح: يا غلام، فلم يجبه أحد، و مشى من المجلس إلى أن توسّط الدّار، فلما رأيته بادرت إليه، فقال: /لي: ويلك، هل حدث في داري شيء؟[3]فقلت: لا يا سيّدي، فقال:

فمالي أصيح فلا أجاب![3]فقلت: مخارق يغنّي و الغلمان قد اجتمعوا عليه، فليس فيهم فضل لسماع غير ما يسمعونه منه، فقال: عذر و اللّه لهم يا ابن حمدون، و أيّ عذر!ثم جلس و جلسنا بين يديه إلى السّحر.

إبراهيم الموصلي يعرف جودة طبعه فيخصه بالتعليم

و ذكر هارون بن محمد بن عبد الملك أنّ مخارقا كان ينادي على اللّحم الذي يبيعه أبوه، فيسمع له صوت عجيب، فاشترته عاتكة بنت شهدة و علّمته شيئا من الغناء ليس بالكثير، ثم باعته من آل الزّبير، فأخذه منهم الرّشيد و سلمه إلى إبراهيم الموصليّ، فأخذ عنه، و كان إبراهيم يقدّمه و يؤثره و يخصّه بالتّعليم لما تبيّنه منه و من جودة طبعه.

كان عبدا لعاتكة بنت شهدة الحاذقة بالغناء

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب قال: حدّثني ابن خرداذبه قال:

كان مخارق بن يحيى بن ناووس الجزّار، و كان عبدا لعاتكة بنت شهدة، و كانت عاتكة أحذق الناس بالغناء، و كان ابن جامع يلوذ منها بالتّرجيع[4]الكثير، فتقول له: أين يذهب بك؟هلمّ إلى معظم الغناء و دعني من جنونك، قال: فحدّثني من حضرهما أنّ عاتكة أفرطت يوما في الردّ على ابن جامع بحضرة الرّشيد، فقال لها: أي أمّ العبّاس، أنا-يشهد اللّه- أحبّ[5]أن تحتك شعرتي بشعرتك، فقالت له: اسكت قطع اللّه لسانك، و لم تعاود بعد ذلك أذيّته، قال: و كانت شهدة أمّ عاتكة نائحة. هكذا ذكر ابن خرداذبه، و ليس الأمر في ذلك كما ذكره.

محمد بن داود يغني الرشيد بلحن أخذه عن شهدة فيفوق المغنين

حدّثني محمد بن يحيى الصّوليّ، قال: حدّثنا الغلابيّ، قال: حدّثني عليّ/ بن محمد النّوفليّ عن عبد اللّه بن [1]في س، ف: «نبسط حصيرا» .

[2]راذان «بعد الألف ذال معجمة» الأسفل، و راذان الأعلى: كورتان بسواد بغداد تشتملان على قرى كثيرة، و أورد ياقوت في «معجمه» 2-730 البيت بعد قوله: و قال مرّة بن عبد اللّه النهدي في راذان المدينة، و جاء بعده البيتان:

و يا بيت ليلى لو شهدتك أعولت # عليك رجال من فصيح و من عجم

و يا بيت ليلى لا يبست و لا تزل # بلادك يسقيها من الواكف الدّيم

و في ف: «بداران» بدل «براذان» .

(3-3) ساقط من ف.

[4]رجع صوته، و فيه: ردده في حلقه.

[5]ف: «أشتهي» . ـ

العبّاس الرّبيعيّ، أنّه كان هو و ابن جامع و إبراهيم الموصليّ و إسماعيل بن عليّ عند الرّشيد، و معهم محمد بن داود بن عليّ، فغنّى المغنّون جميعا، ثم اندفع محمد بن داود فغنّاه:

صوت

أمّ الوليد سلمتني حلمي # و قتلتني فتحلّلي إثمي[1]

باللّه يا أمّ الوليد أ ما # تخشين فيّ عواقب الظّلم!

و تركتني أبغي الطّبيب و ما # لطبيبنا بالدّاء من علم[2]

قال: فاستحسنه الرّشيد و كلّ من حضر و طروا له، فسأله الرّشيد: عمّن أخذته، فقال: أخذته عن شهدة جارية الوليد بن يزيد، قال عبد اللّه بن العبّاس، و هي أمّ عاتكة بنت شهدة.

الأبيات المذكورة التي فيها الغناء لعبيد اللّه بن قيس الرّقيّات، و تمامها: للّه درّك في ابن عمّك قد # زوّدته سقما على سقم

في وجهها ماء الشّباب و لم # تقبل بمكروه و لا جهم[3]

و الغناء فيه لابن محرز لحنان، كلاهما له، أحدهما ثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق، و الآخر خفيف ثقيل الأول بالبنصر عن/ عمرو بن بانة، و فيه لمالك ثاني ثقيل عن الهشاميّ و حبش، و فيه لسليمان خفيف رمل بالبنصر عنهما، و ثقيل أوّل للحسين بن محرز.

الواثق يوازن بين جماعة من المغنين و يذكر أثر غناء مخارق

و قال هارون بن محمد بن عبد الملك الزّيات، قال أبي:

قال الواثق أمير المؤمنين: خطأ مخارق كصواب علّوية، و خطأ إسحاق كصواب مخارق، و ما غنّاني مخارق قطّ إلا قدّرت أنّه من قلبي خلق، و لا غنّاني إسحاق إلا ظننت أنه قد زيد في ملكي ملك آخر.

قال: و كان يقول: أ تريدون أن تنظروا فضل مخارق على جميع أصحابه: انظروا إلى هؤلاء الغلمان الذين يقفون في السّماط. فكانوا يتفقّدونهم و هم وقوف، فكلهم يسمع الغناء من المغنين جميعا و هو واقف مكانه ضابط لنفسه، فإذا تغنّى مخارق خرجوا عن صورهم فتحرّكت أرجلهم و مناكبهم، و بانت أسباب الطّرب فيهم، و ازدحموا على الحبل الذي يقفون من ورائه.

يستوقف الناس بحسن صوته في الأذان

قال هارون: و حدّثت أنه خرج مرّة إلى باب الكناسة بمدينة السّلام، و النّاس يرتحلون[4]للخروج إلى مكة، [1]تحللي إثمي: أبيحيه أو اجعليه حلالا. و في «الديوان» -149 ط. بيروت: «فتحملي إثمي» ، و في ف: «فتجللي» .

[2]في «الديوان» -149:

باللّه يا أم البنين أ لم # تخشي عليك عواقب الإثم

و تركتني أدعو الطبيب و ما # لطبيبكم بالداء من علم

[3]في «الديوان» -150:

«و بوجهها ماء الشباب و لم # ... تقبل بملعون و لا جهم»

. و الجهم: الاستقبال بوجه كريه.

[4]ف، مج: «يترحلون» . و في ما: «يرحلون» .

فنظر إليهم و اجتماعهم و ازدحامهم[1]، فقال لأصحابه الذين خرجوا معه: قد جاء في الخبر أنّ ابن سريج كان يتغنّى في أيّام الحجّ، و النّاس بمنى فيستوقفهم بغنائه، و سأستوقف لكم هؤلاء الناس و أستلهيهم جميعا، لتعلموا أنه لم يكن ليفضلني إلا بصنعته دون صوته، ثم اندفع يؤدّن، فاستوقف أولئك الخلق و استلهاهم، حتى جعلت المحامل يغشى بعضها بعضا، و هو كالأعمى عنها لما خامر قلبه من الطّرب لحسن ما يسمع.

أبو العتاهية يعجب بغنائه إعجابا شديدا

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة، قال: حدثني ابن أخت الحاركيّ و أبو سعيد/الرّامهرمزيّ، و أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدّثنا محمد بن يزيد الأزديّ[2]، عن أحمد بن عيسى الجلوديّ عن محمد بن سعيد التّرمذيّ-و كان إسحاق إذا ذكر محمدا وصفه بحسن الصّوت، ثم قال: قد أفلتنا منه، فلو كان يغنّي لتقدّمنا جميعا بصوته-قالوا: جاء أبو العتاهية إلى باب مخارق فطرقه و استفتح[3]، فإذا مخارق قد خرج إليه، فقال له أبو العتاهية: يا حسّان[4]هذا الإقليم، يا حكيم أرض بابل، اصبب في أذني شيئا يفرح به قلبي، و تنعم به نفسي، فقال: انزلوا، فنزلنا، فغنّانا، قال محمد بن سعيد: فكدت أسعى على وجهي طربا. قال: و جعل أبو العتاهية يبكي، ثم قال له: يا دواء المجانين لقد رقّقت حتّى كدت أحسوك، فلو كان الغناء طعاما لكان غناؤك أدما، و لو كان شرابا لكان ماء الحياة.

أبو العتاهية يشتهي سماعه حين حضرته الوفاة

نسخت من كتاب ابن أبي الدّنيا، حدّثني بعض خدم السّلطان، قال: قال رجل لأبي العتاهية و قد حضرته الوفاة: هل في نفسك شيء تشتهيه؟قال: أن يحضر مخارق الساعة فيغنّيني: سيعرض عن ذكري و تنسى مودّتي[5] # و يحدث بعدي للخليل خليل

إذا ما انقضت عنّي من الدهر مدّتي # فإن غناء الباكيات قليل

سأل أبا العتاهية عن شعره في تبخيل الناس

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا محمد بن عليّ بن حمزة العلويّ، قال: حدّثنا علي بن الحسين بن الأعرابيّ، قال: لقي مخارق أبا العتاهية، فقال له: يا أبا إسحاق، أ أنت القائل: /

اصرف بطرفك حيث شئـ # ت فلن ترى إلاّ بخيلا

قال له: نعم. قال: بخّلت الناس جميعا، قال: فاصرف بطرفك يا أبا المهنّأ فانظر فإنّك لن ترى إلاّ بخيلا، [1]س: «فنظر إلى كثرتهم و اجتماعهم و ازدحامهم» .

[2]س: «محمد بن يزيد المبرد الأزدي» .

[3]ف: «إلى باب مخارق و استفتح» .

[4]حسن الشيء: جمل، فهو حاسن و حسن و حسين و حسّان.

[5]ف، «المختار» : «ستعرض عن ذكري و تنسى مودتي» بالبناء للفاعل.

و إلا فأكذبني بجواد واحد، فالتفت مخارق يمينا و شمالا ثم أقبل عليه فقال: صدقت يا أبا إسحاق، فقال له أبو العتاهية: فديتك، لو كنت ممّا يشرب لذررت على الماء و شربت.

غنّى بين قبرين فترك الناس أعمالهم و التفوا حوله

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ، قال: حدثنا عمر بن شبّة، قال: حدّثني بعض آل نوبخت، قال: كان أبي و عبد اللّه بن أبي سهل و جماعة من آل نوبخت و غيرهم وقوفا بكناسة الدّوابّ في الجانب الغربيّ من بغداد يتحدّثون، فإنهم لكذلك إذ أقبل مخارق على حمار أسود، و عليه قميص رقيق و رداء مسهّم[1]، قال: فيم كنتم؟فأخبروه، فقال: دعوني من وسواسكم هذا، أيّ شيء لي عليكم إن رميت بنفسي بين قبرين من هذه القبور و غطّيت وجهي و غنّيت صوتا، فلم يبق أحد بهذه الكناسة و لا في الطّريق من مشتر و لا بائع و لا صادر و لا وارد إلا ترك عمله و قرب منّي و اتّبع صوتي؟ فقال له عبد اللّه: إنّي لأحبّ أن أرى هذا، فقل ما شئت، فقال: فرسك الأشقر الذي طلبته منك فمنعتنيه، قال: هو لك إن فعلت ما قلت، ثمّ دخلها و رمى بنفسه بين قبرين و تغطّى بردائه، ثمّ اندفع يغنّي فغنّى في شعر أبي العتاهية: نادت بوشك رحيلك الأيام # أ فلست تسمع أم بك استصمام!

/قال: فرأيت الناس يتقوّضون إلى المقبرة أرسالا[2]من بين راكب و راجل و صاحب شول و صاحب جدي[3]و مارّ بالطريق، حتى لم يبق بالطريق أحد، ثم قال لنا من تحت ردائه: هل بقي أحد؟قلنا: لا، و قد وجب الرّهن، فقام فركب حماره، و عاد النّاس إلى صنائعهم، فقال لعبد اللّه: أحضر الفرس، فقال: على أن تقيم اليوم عندي، قال: نعم، فانصرفنا معهما، و سلّم الفرس إليه و برّه و أحسن إليه و أحسن رفده.

نسبة هذا الصوت

صوت

نادت بوشك رحيلك الأيّام # أ فلست تسمع أم بك استصمام!

و مضى أمامك من رأيت و أنت للـ # باقين[4]حتّى يلحقوك إمام

ما لي أراك كأنّ عينك لا ترى # عبرا[5]تمرّ كأنّهنّ سهام

تمضي الخطوب و أنت منتبه لها # فإذا مضت فكأنّها أحلام

الشّعر لأبي العتاهية، و الغناء لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى، و فيه لمخارق هزج بالوسطى، كلاهما عن عمرو، و فيه رمل يقال: إنه لعلّوية، و

يقال: إنه لمخارق عن الهشاميّ.

[1]سهّم الثوب: صور فيه سهاما؛ فهو مسهّم.

[2]يتقوضون: يجيئون و يذهبون، و في «المختار» : «ينفضون» . و الأرسال جمع رسل: الجماعة من الناس.

[3]ما، «المختار» : «و صاحب شوك و صاحب كرى» . و الشول جمع شائلة على غير قياس، و هي من الإبل: التي أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها.

[4]ف: «و أنت في الباقين» .

[5]ف: «عيرا» .

بكى أبو العتاهية حين سمع جارية تغني لحنا لمخارق في شعر له

أخبرني جحظة، قال: ذكر ابن المكّيّ المرتجل عن أبيه:

أنّ أبا العتاهية دخل يوما إلى صديق له و عنده جارية تغنّي، فقال: /أبا إسحاق إن هذه الجارية تغنّي صوتا حسنا في شعر لك، أ فتنشط إلى سماعه؟قال: هاتيه، فغنّته لحنا لعمرو بن بانة في قوله: نادت بوشك رحيلك الأيّام

فعبس و بسر و قال: لا جزى اللّه خيرا من صنع هذه الصّنعة في شعري، قال: فإنّها تغنّي فيه لحنا لمخارق، قال: فلتغنّه فغنّته، فأعجبه و طرب حتى بكى ثم قال: جزى اللّه هذا عنّي خيرا، و قام فانصرف.

و قد روى هذا الخبر هارون بن الزّيات، عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه، عن غزوان: أنه كان و عبيد اللّه بن أبي غسّان، و أبو العتاهية، و محمد بن عمرو الرّوميّ، عند ابن أبي مريم[1]و معهم مغنّية يقال لها بنت إبليس، فغنّى عبيد اللّه بن أبي غسّان في لحن مخارق: نادت بوشك رحيلك الأيّام

فلم يستحسنه أبو العتاهية، ثمّ غنّى فيه لحنا لإبراهيم بن المهديّ فأطربه، و قال: جزى اللّه عنّي هذا خيرا.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ، قال: حدّثنا عمر بن شبّة، قال: بلغني أنّ المتوكل دخل إلى جارية من جواريه و هي تغنّي:

صوت

أ من قطر النّدى نظّمـ # ت ثغرك أم من البرد!

و ريقك من سلاف الكر # م أم من صفوة الشّهد!

أيا من قد جرى منّي # كمجرى الرّوح في الجسد[2]

ضميرك شاهدي فيما # أقاسيه من الكمد

/و الغناء لمخارق رمل، فقال لها: ويحك، لمن هذا الغناء؟فقالت: أخذته من مخارق، قال: فألقيه على الجواري جميعا، ففعلت، فلما أخذنه عنها أمر بإخراجهنّ إليه، و دعا بالنّبيذ، و أمر بألاّ يغنّينه غيره ثلاثة أيام متوالية، و كان ذلك بعد وفاة مخارق.

أدخل أبا المضاء الأسدي بيته و سقاه و غنّاه و كساه فقال فيه شعرا

و أخبرنا إسماعيل بن يونس الشّيعيّ، قال: حدّثنا عمر بن شبّة، قال: قال عمر بن نوح بن جرير: سألت أبا المضاء الأسديّ أن ينشدني فقال: أنشدك من شعري شيئا، قلته لرجل لقيته على الجسر ببغداد، فأعجبه مني ما يرى من دماثتي، و أقبلت أحدّثه و هو ينصت لي، و أنشده و هو يحسن الإصغاء إلى إنشادي، و يحدّثني فيحسن الحديث، حتى بلغنا منزله، فأدخلني فغدّاني ثم لم يرم حتى كساني و سقاني فروّاني، ثم أسمعني و اللّه شيئا

[1]ف: «عند ابن أبي موسى» .

[2]ف: «في جسدي» .

ما طار في مسامعي شيء قطّ أحسن منه، فلما خرجت سألت عنه، فقال لي غلمانه: هذا أبو المهنّأ مخارق، فقلت فيه: أعاد اللّه يوم أبي المهنّأ # علينا إنّه يوم نضير[1]

تغيّب نحسه عنّا و أرخى # علينا وابل جود[2]مطير

فلمّا أن رأيت القطر فوقي # و أقداحا يحثّ بها المدير

و أسعدنا بصوت لو وعاه # وليّ العهد خفّ به السّرير[3]

تذكّرت الحبيب و أهل نجد # و روضا نبته غضّ نضير

قال: فقلت له: و لم ذكرت نجدا مع ما كنت فيه؟و كان ينبغي لك أن تنساه، قال: كلاّ، إنّ المرء إذا كان فيما يحبّ تذكّر أهله، قلت: فما غنّاك؟ قال: غنّاني: /

و ما روضة جاد الرّبيع بهطله # عليها فروّاها و رقّت غصونها

و هبّت عليها الرّيح حتى تبسّمت # و حتى بدت فوق الغصون عيونها

بأحسن منها إذ بدت وسط مجلس # و في يدها عود فصيح يزينها

و قد أنطقته و الشّمال جريّة # على عقد ما تلقي عليها يمينها[4]

قال: فلم يزل يردّده عليّ حتى قضيت و طري من لذّتي، و حفظته عنه.

غنى لإبراهيم الموصلي فجرت دموعه و نشج أحرّ نشيج

أخبرني جحظة، قال: حدّثني حمّاد بن إسحاق، عن أبيه قال:

دخلت على جدّك إبراهيم و هو جالس بين بابين له، و مخارق بين يديه يغنّيه: يا ربع بشرة إن أضرّ بك البلى # فلقد رأيتك آهلا معمورا

قال: و اللّحن الذي كان يغنّيه لمالك، و فيه عدّة ألحان مشتركة، فرأيت دموع أبي تجري عمى خدّيه من أربعة أماكن و هو ينشج أحرّ نشيج[5]، فلمّا رآني قال: يا إسحاق هذا و اللّه صاحب اللواء غدا إن مات أبوك.

رأى رؤيا فسّرها إبراهيم الموصلي بأن إبليس قد عقد له لواء صنعة الغناء

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف، قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني هارون بن مخارق، عن أبيه، قال: رأيت و أنا حدث كأنّ شيخا جالسا على سرير في روضة حسنة قد دعاني، فقال لي: غنّني يا

مخارق، فقلت: أصوتا تقترحه أم ما حضر؟فقال: ما حضر، فغنّيته بصنعتي في: [1]ف: «يوم قصير» .

[2]الجود: المطر الغزير، و قد يأتي وصفا كما ورد في البيت.

[3]في: «حف به السرور» .

[4]ف:

«ما تلقى عليه يمينها»

، و الشمال: الريح التي تهب من جهة الشمال و تقابل الجنوب. و الجرية: الوكيلة.

[5]نشج الباكي نشيجا: غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب.

صوت

دعي القلب لا يزدد خبالا مع الذي # به منك أو داوي جواه المكتّما

و ليس بتزويق اللسان و صوغه # و لكنّه قد خالط اللّحم و الدّما

/و لحن مخارق فيه ثقيل أول، و فيه لابن سريج رمل.

قال: فقال لي: أحسنت يا مخارق، ثم أخذ وترا من أوتار العود فلفّه على المضراب، و دفعه إليّ، فجعل المضراب يطول و يغلظ، و الوتر ينتشر و يعرض حتى صار المضراب كالرّمح، و الوتر كالعذبة عليه، و صار في يدي علما، ثم انتبهت فحدّثت برؤياي إبراهيم الموصليّ، فقال لي: الشّيخ، بلا شك، إبليس، و قد عقد لك لواء صنعتك، فأنت ما حييت رئيس أهلها.

قال مؤلّف هذا الكتاب: و أظنّ أنّ الشاعر الذي مدح مخارقا إنما عنى هذه الرؤيا بقوله: لقد عقد الشّيخ الذي غرّ آدما # و أخرجه من جنة و حدائق

لواءي فنون للقريض و للغناء # و أقسم لا يعطيهما غير حاذق

أرسل الواثق جواريه إلى بيته ليصحح لهن صوتا

و ذكر محمد بن الحسن الكاتب، أنّ هارون بن مخارق حدّثه فقال: كان الواثق شديد الشّغف بأبي، و كان قد اقتطعه عنّا، و أمر له بحجرة في قصره، و جعل له يوما في الأسبوع لنوبته في منزله، و كان جواريه يختلفن[1]لذلك اليوم، قال: فانصرف إلينا مرّة في نوبته فصلّى الغداة مع الفجر على أسرّة في صحن الدّار في يوم صائف و جلس يسبّح، فما راعنا إلا خدم بيض قد دخلوا فسلّموا عليه و قالوا: إن أمير المؤمنين قد دعا بنا في هذه الساعة، فأعدنا عليه الصوت الذي طرحته علينا فلم يرضه من أحد منا، و أمرنا بالمصير إليك لنصحّحه عليك، قال: فأمر غلمانه فطرحوا لهم عدّة كراسيّ فجلسوا عليها، ثم قال لهم: ردّوا الصوت، فردّوه، فلم يرضه من أحد منهم، فدعا بجاريته عميم، فردّته عليهم، فلم يرضه منها، قال: / فتحوّل إليهم ثم اندفع فردّ الصوت على الخدم، فخرج الوصائف من حجر جواريه حتى وقفن حوالي الأسرّة، و دخل غلام من غلمانه و كان يستقي الماء، فهجم على الصّحن بدلوه، و جاءت جارية على كتفها جرّة من جرار المزمّلات[2]، حتى وقفت بالقرب منه، قال: و سبقتني عيناي فما كففت دموعها[3]حتى فاضت.

ثمّ قطع الصوت حين استوفاه، فرجع الوصائف الأصاغر سعيا إلى حجر الجواري، و خرج الغلام السّقّاء يشتدّ إلى بغلة، و رجعت الجارية الحاملة الجرة المزمّلة شدّا إلى الموضع الذي خرجت منه، فتبسّم أبي و قال: ما شأنك يا هارون؟فقلت: يا أبت جعلني اللّه فداءك، ما ملكت عيني، قال: و أبوك أيضا لم يملك عينه.

نام في بيت إبراهيم بن المهدي و هو يغني ثم انتبه و أكمل الغناء

و ذكر هارون بن الزّيات عن أصحابه قال:

[1]في ما، ف: «يحتففن» .

[2]المزملات: جمع مزمّلة؛ و هي الجرة يبرد فيها الماء، و في وسطها ثقب فيه قصبة من الفضة أو الرصاص يشرب منها (عراقية) .

[3]ف: «دموعهما» .

جمع إبراهيم بن المهديّ المغنّين ذات يوم في منزله، فأقاموا، فلمّا دخلوا في الليل ثمل مخارق و سكر سكرا شديدا، فسألوه أن يغني صوتا، فغنّى هذا البيت من شعر عمر بن أبي ربيعة المخزوميّ: قال: ساروا و أمعنوا و استقلّوا # و برغمي لو استطعت سبيلا

فانتهى منه إلى قوله: و استقلوا. و انثنى نائما، فقال إبراهيم بن المهديّ: مهّدوه[1]و لا تزعجوه، فمهّدوه و نام، حتى مضى أكثر الليل، ثم استقلّ من نومه فانتبه و هو يغني تمام البيت: و برغمي لو استطعت سبيلا

[2]و هو تمام البيت من حيث قطعه و سكت عليه من صوته[2].

/قال: فجعل إبراهيم يتعجّب منه، و يعجب منه من حضره، من جودة طبعه و ذكائه و صحّة فهمه.

محمد بن الحسن بن مصعب يسأل إسحاق عنه و عن إبراهيم بن المهدي: أيهما أحذق غناء

حدثنا يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم، قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، قال: قال محمد بن الحسن بن مصعب: قلت لإسحاق يوما: أسألك باللّه إلاّ صدقتني في مخارق و إبراهيم بن المهديّ، أيهما أحذق و أحسن غناء؟ فقال لي إسحاق: أ جادّ أنت؟و اللّه ما تقاربا قطّ، و الدّليل على فضل مخارق عليه أنّ إبراهيم لا يؤدّي صوتا قديما ثقيلا جيّدا أبدا و لا يستوفيه، و إنما يغنّي الأهزاج و الغناء الخفيف، و أمّا الذي فيه عمل شديد فلا يصيبه.

طلب منه سعيد بن سلم الغناء في شعر ضعيف

أخبرني يحيى، قال: حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ، قال: حدثني بعض ولد سعيد بن سلم، قال: دخل مخارق على سعيد بن سلم فسأله حاجة، فلما خرج قيل له: أ ما تعرف هذا؟هذا مخارق، فقال: ويحكم !دخل و لم نعرفه، و خرج و لم نعرفه، ردّوه، فردّوه، فقال له: دخلت علينا و لم نعرفك، فلمّا عرفناك[3] أحببنا ألاّ تخرج حتى نسمعك، فقال له: أيّ شيء تشتهي أن أسمعك؟فقال: يا ريح ما تصنعين بالدّمن[4] # كم لك من محو منظر حسن!

فغنّاه مخارق، فلمّا خرج قال لبعض بنيه: أبوكم هذا نكس[5]يتشهّى على مثلي: يا ريح ما تصنعين بالدّمن

/أخبرنا يحيى بن عليّ، قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، قال: حدّثني عمّي محمد، قال: سمعت أبي يقول و قد غنّى مخارق: نعم الفسيلة[6]غرس إبليس في الأرض.

[1]مهدوء: مكنوه من النوم.

(2-2) التكملة من ف.

[3]ف: «عرفنا» .

[4]الدمن جمع دمنة، و هي آثار الدار.

[5]النكس: الضعيف الذي لا خير فيه.

[6]الفسيلة: جزء من النبات يفصل عنه و يغرس، أو النخلة الصغيرة تقطع من الأم أو تقلع من الأرض فتغرس.

جارية تغني صوتا له بحضرته فتحسن

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد، قال: حدّثني محمد بن محمد، قال: سمع محمد بن سعيد القارئ مهديّة جارية يعقوب بن السّاحر تغني صوتا لمخارق بحضرته، و قد كانت أخذته عنه و هو: ما لقلبي يزداد في اللهو غيّا # و الليالي قد أنضجتني كيّا

سهلت بعدك الحوادث حتّى # لست أخشى و لا أحاذر شيّا

فأحسنت فيه ما شاءت، و انصرف محمد بن سعيد، و قرأ على لحنه: **يَا يَحْيىَ خُذِ اَلْكِتَابَ بِقُوَّةٍ** [1].

قصة رجل حلف بالطلاق أن يسمعه ثلاث مرات

حدّثني عمّي، قال: حدثنا عبد اللّه، قال: حدثني محمد، قال:

كنت عند مخارق أنا و هارون بن أحمد بن هشام، فلعب مع هارون بالنّرد فقمره مخارق مائتي رطل باقلا طريّا، فقال مخارق: و أنتم عندي أطعمكم من لحم جزور من الصناعة، يعني من صناعة أبيه يحيى بن ناووس الجزّار.

قال: و مرّ بهارون بن أحمد فصيل ينادى عليه، فاشتراه بأربعة دنانير، و وجّه به إلى مخارق، و قال: يكون ما تطعمنا من هذا الفصيل، فاجتمعنا و طبخ مخارق بيده جزوريّة، و عمل من سنامه و كبده و لحمه غضائر[2]شويت في التّنّور، و عمل من لحمه لونا يشبه الهريسة بشعير مقشّر[3]في نهاية الطّيب، فأكلنا و جلسنا نشرب، فإذا نحن بامرأة تصيح من الشّطّ: /يا أبا المهنّأ، اللّه اللّه فيّ، حلف زوجي عليّ بالطّلاق أن يسمع غناءك و يشرب عليه، فقال: اذهبي و جيئي به، فجاء فجلس، فقال له: ما حملك على ما صنعت، فقال له: يا سيّدي، كنت سمعت صوتا من صنعتك فطربت عليه حتى استخفّني الطّرب، فحلفت أن أسمعه منك ثقة بإيجابك حقّ زوجتي، و كانت زوجته داية هارون بن مخارق. فقال: و ما هو الصوت؟ فقال:

صوت

بكرت عليّ فهيّجت وجدا # هوج[4]الرّياح و أذكرت نجدا

أ تحنّ من شوق إذا ذكرت # نجد و أنت تركتها عمدا

الشعر لحسين بن مطير، و الغناء لمخارق ثقيل أول، و فيه لإسحاق ثقيل أول آخر، فغنّاه إياه و سقاه رطلا، و أمره بالانصراف، و نهاه أن يعاود، و خرج. فما لبثنا أن عادت المرأة تصرخ: اللّه اللّه فيّ يا أبا المهنّأ، قد أعاد زوجي المشئوم اليمين أنك تغنّيه صوتا آخر، فقال لها: أحضريه، فأحضرته أيضا، فقال له: ويلك، ما لي و لك! أيّ شيء قصّتك[5]!فقال له: يا سيّدي أنا رجل طروب، و كنت قد سمعت صوتا لك آخر فاستفزّني الطّرب إلى أن [1]مريم/12.

[2]ف، ما: «ضفائر» . و الغضائر: القطع.

[3]ف: «مقشور» .

[4]الهوج: جمع هوجاء، و هي الرياح المتداركة الهبوب كأن بها هوجا.

[5]س: «أيش قصتك» !.

حلفت بالطلاق ثلاثا أنّي أسمعه منك، قال: و ما هو؟قال لحنك: أبلغ سلامة أنّ البين قد أفدا[1] # و أنّ صحبك عنها رائحون غدا

هذا الفراق يقينا إن صبرت له # أو لا فإنّك منها ميّت كمدا

لا شكّ أنّ الذي بي سوف يهلكني # إن كان أهلك حبّ قبله أحدا

/فغنّاه إيّاه مخارق و سقاه رطلا، و قال له: احذر ويلك أن تعاود، فانصرف. و لم تلبث أن عاودت الصّياح تصرخ: يا سيّدي، قد عاود اليمين ثلاثة، اللّه اللّه فيّ و في أولادي، قال: هاتيه، فأحضرته، فقال لها: انصرفي أنت، فإن هذا كلما انصرف حلف و عاد، فدعيه يقيم يومه كلّه، فتركته و انصرفت، فقال له مخارق: ما قصّتك أيضا؟قال: قد عرّفتك يا سيّدي أنّني رجل طروب، و كنت سمعت صوتا من صنعتك فاستخفّني الطّرب له فحلفت أنّي أسمعه منك، قال: و ما هو؟قال: ألف الظّبي بعادي # و نفى الهمّ رقادي

و عدا الهجر على الوصـ # ـل بأسياف حداد

قل لمن زيّف ودّي: # لست أهلا لودادي

قال: فغنّاه إيّاه و سقاه رطلا، ثم قال: يا غلام، مقارع، فجيء بها، فأمر به فبطح، و أمر بضربه فضرب خمسين مقرعة، و هو يستغيث فلا يكلّمه، ثم قال له: احلف بالطّلاق أنك لا تذكرني أبدا، و إلاّ كان هذا دأبك إلى الليل، فحلف بالطّلاق ثلاثا على ما أمره به، ثمّ أقيم فأخرج عن الدار، فجعلنا نضحك بقيّة يومنا من حمقه.

أشرف من بيته على القبور و غنى باكيا

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد، قال: حدّثنا أحمد بن محمد، قال: حدّثني إسحاق بن عمر بن بزيع، قال: أتيت مخارقا ذات يوم و معي زرزور الكبير لنقيم عنده، فوجدته قد أخرج رأسه من جناح له، و هو مشرف على المقابر يغنّي هذا البيت و يبكي: أين الملوك التي كانت مسلّطة

قال: فاستحسنّا ما سمعناه منه استحسان من لم يسمع قطّ غناء غيره، فقال/لنا: انصرفوا، فليس فيّ فضل اليوم بعد ما رأيتم. قال محمد: و كان و اللّه مخارق ممّن لو تنفّس لأطرب من يسمعه استماع نفسه.

سمعت الظباء غناءه فوقفت بالقرب منه مصغية

و ذكر محمد بن الحسن الكاتب أنّ محمد بن أحمد بن يحيى المكّيّ حدّثه عن أبيه قال: خرج مخارق مع بعض إخوانه إلى بعض المتنزّهات، فنظر إلى قوس مذهبة مع أحد من خرج معه، فسأله إيّاها، فكأنّ المسئول ضنّ بها. قال: و سنحت ظباء بالقرب منه، فقال لصاحب القوس: أ رأيت إن تغنّيت صوتا فعطفت عليك به خدود هذه الظباء، أ تدفع إليّ هذه القوس؟ قال: نعم، فاندفع يغني.

[1]أفد: دنا أو عجل. ـ

صوت

ما ذا تقول الظّباء # أ فرقة أم لقاء!

أم عهدها بسليمى # و في البيان شفاء!

مرّت بنا سانحات # و قد دنا الإمساء

فما أحارت جوابا # و طال فيها[1]العناء

في هذه الأبيات ليحيى المكّيّ ثقيل أول بالوسطى.

قال: فعطفت الظّباء راجعة إليه حتى وقفت بالقرب منه، مستشرفة تنظر إليه مصغية تسمع صوته، فعجب من حضر من رجوعها و وقوفها، و ناوله الرّجل القوس فأخذها و قطع الغناء، فعاودت الظّباء نفارها، و مضت راجعة على سننها[2].

غني وسط دجلة فتسابق الناس لسماعه

قال ابن المكّيّ: و حدّثني رجل من أهل البصرة كان يألف مخارقا و يصحبه، قال: كنت[3]معه مرّة في طيّار ليلا و هو سكران، فلما توسّط دجلة اندفع بأعلى صوته فغنّى، فما بقي أحد في الطّيّار من ملاّح و لا غلام و لا خادم إلا بكى من رقّة صوته، و رأيت الشّمع و السّرج من جانبي دجلة في صحون القصور و الدّور يتساعون بين يدي أهلها[4]يستمعون غناءه.

ابن الأعرابي يستكثر الهبة التي أخذها لشعر غناه

حدّثني الصّوليّ، قال: حدثني محمد بن عبد اللّه التّميميّ الحزنبل، قال: كنا في مجلس ابن الأعرابيّ إذ أقبل رجل من ولد سعيد بن سلم كان يلزم ابن الأعرابيّ، و كان يحبّه و يأنس به، فقال له: ما أخّرك عنّي؟فاعتذر بأشياء منها أنه قال: كنت مع مخارق عند بعض بني الرّشيد، فوهب له مائة ألف درهم على صوت غنّاه إياه، فاستكثر[5]ابن الأعرابيّ ذلك و استهوله، و عجب منه و قال له: بأيّ شيء غنّاه؟ قال: غنّاه بشعر العبّاس بن الأحنف:

صوت

بكت عيني لأنواع # من الحزن و أوجاع

و إني كلّ يوم عنـ # دكم يحظى بي السّاعي

فقال ابن الأعرابيّ: أمّا الغناء فما أدري ما هو، و لكن هذا و اللّه كلام قريب مليح.

[1]ف: «و طال منها» .

[2]السنن: الطريقة.

[3]ف، ما: «ركبت معه في طيار... الخ» . و الطيار: القارب السريع.

[4]يتساعون بين يدي أهلها: يتسابقون.

[5]ف: «فاستكبر ذلك ابن الأعرابي و استهاله» .

لحن مخارق في هذين البيتين ثقيل أول من جامع صنعته، و فيهما لإبراهيم الموصليّ ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة. و ذكر حبش أنّ فيهما لإبراهيم بن المهديّ لحنا ماخوريّا.

نصح إبراهيم بن المهدي شارية بألاّ تتشبه به في تزايده و إلا هلكت

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة، قال: حدّثني هبة اللّه بن إبراهيم بن المهديّ، قال: غنّت شارية يوما بحضرة أبي صوتا، فأحدّ النظر إليها و صبر حتى قطعت نفسها ثم قال لها: أمسكي، فأمسكت، فقال لها: قد عرفت إلى أيّ شيء ذهبت؛ أردت أن تتشبّهي بمخارق في تزايده، قالت: نعم يا سيدي.

قال: إيّاك ثم إياك أن تعودي، فإن مخارقا خلقه اللّه وحده في طبعه و صوته و نفسه، يتصرّف في ذلك أجمع كيف أحبّ، و لا يلحقه في ذلك أحد، و قد أراد غيرك أن يتشبه به في هذه الحال فهلك، و افتضح و لم يلحقه، فلا أسمعنّك تتعرّضين لمثل هذا بعد وقتك هذا[1].

غلمان المعتصم يتركونه و يجتمعون لسماع مخارق فيعذرهم

أخبرني عمّي، قال: حدّثني عليّ بن محمد بن نصر البسّامي، قال: حدثني خالي أبو عبد اللّه عن أبيه، قال: كنّا بين يدي المعتصم ذات ليلة نشرب إلى أن سكرنا جميعا، فقام، فنام[2]و توسّدنا أيدينا[2]و نمنا في مواضعنا، ثمّ انتبه فصاح فلم يجبه أحد، و سمعنا صياحه فتبادرنا نسأل عن الغلمان، فإذا مخارق قد انتبه قبلنا فخرج إلى الشّطّ يتنسّم الهواء، و اندفع يغنّي، فتلاحق به الغلمان جميعا، فجئت إلى المعتصم فأخبرته و قلت: مخارق على الشّطّ يغنّي و الغلمان قد اجتمعوا عليه، فليس فيهم فضل لشيء غير استماعه، فقال لي: يا بن حمدون، عذر و اللّه و أيّ عذر!ثمّ جلس و جلسنا بين يديه إلى السّحر.

المأمون يسأل إسحاق عن غناء مخارق و إبراهيم بن المهدي

و ذكر محمد بن الحسن[3]الكاتب أنّ أبان بن سعيد حدّثه: أنّ المأمون سأل إسحاق عن إبراهيم بن المهديّ و مخارق، فقال: يا أمير/المؤمنين، إذا تغنّى إبراهيم بعلمه فضل مخارقا، و إذا تغنّى مخارق بطبعه و فضل صوته فضل إبراهيم، فقال له: صدقت.

غنى الأمين فخلع عليه جبة ثم ندم حين رآها عليه

نسخت من كتاب هارون بن الزّيات:

حدّثني هارون بن مخارق عن أبيه، قال: دعاني محمد الأمين يوما و قد اصطبح فاقترح عليّ: استقبلت ورق الرّيحان تقطفه # و عنبر الهند و الورديّة الجددا

أ لست تعرفني في الحيّ جارية # و لم أخنك و لم ترفع إليّ يدا[4]

[1]ف: «بعد و قبل هذا» .

(2-2) التكملة من ما.

[3]ف: «محمد بن الحسين الكاتب» .

[4]س: «.. و لم أرفع إليك يدا» .

فغنّيته إياه، فطرب طربا شديدا و شرب عليه ثلاثة أرطال ولاء، و أمر لي بألف دينار و خلع عليّ جبّة وشي كانت عليه مذهبة، و درّاعة مثلها و عمامة مثلها تكاد تعشي البصر من كثرة الذّهب، فلمّا لبست ذلك و رآه عليّ ندم، و كان كثيرا ما يفعل ذلك، فقال لبعض الخدم: قل للطبّاخ يأتينا بمصليّة[1]معقودة الساعة، فأتى بها، فقال لي: كل معي، و كنت أعرف النّاس بمذهبه و بكراهته لذلك، فامتنعت. فحلف أن آكل معه، فحين أدخلت يدي في الغضارة[2]رفع يده، ثم قال: أفّ نغّصتها عليّ و اللّه و قذّرتها عندي بإدخالك يدك فيها، ثمّ رفس القصعة رفسة فإذا هي في حجري، و ودكها[3]يسيل على الخلعة حتى نفذ إلى جلدي، فقمت مبادرا فنزعتها، و بعثت بها إلى منزلي و غيّرت ثيابي و عدت و أنا مغموم منها و هو يضحك، فلمّا رجعت إلى منزلي جمعت كلّ صانع حاذق فجهدوا في إخراج ذلك الأثر منها فلم يخرج، و لم أنتفع بها حتى أحرقتها فأخذت ذهبها، و ضرب الدّهر بعد ذلك ضرباته.

يؤاكل المأمون و يغنيه فيعبس في وجهه ثم يدعوه ثانية و يكافئه

ثم دعاني المأمون يوما، فدخلت إليه و هو جالس، و بين يديه مائدة عليها رغيفان و دجاجتان، فقال لي: تعال فكل، فامتنعت، فقال لي: تعال ويلك فساعدني. فجلست فأكلت معه حتى استوفى، و وضع النبيذ و دعا علّوية فجلس، و قال لي: يا مخارق، أ تغنّي: أقول التماس العذر لمّا ظلمتني # و حمّلتني ذنبا و ما كنت مذنبا

فقلت: نعم يا سيّدي، قال: غنّه، فغنّيته فعبس في وجهي ثم قال: قبّحك اللّه أ هكذا يغنّى هذا!ثم أقبل على علّوية فقال: أ تغنّيه؟قال: نعم يا سيّدي، قال: غنّه، فغنّاه، فو اللّه ما قاربني فيه، فقال: أحسنت و اللّه، و شرب رطلا، و أمر له بعشرة آلاف درهم، و استعاده ثلاثا، و شرب عليه ثلاثة أرطال يعطيه مع كلّ عشرة آلاف درهم، ثم خذف بإصبعه[4]و قال: برق يمان، و كان إذا أراد قطع الشرب فعل ذلك، و قمنا فعلمت من أين أتيت.

فلمّا كان بعد أيام دعاني فدخلت إليه و هو جالس في ذلك الموضع بعينه يأكل هناك، فقال لي: تعال ويلك فساعدني، فقلت: الطلاق لي لازم إن فعلت، فضحك ثم قال: ويلك، أ تراني بخيلا على الطّعام!لا و اللّه، و لكنني أردت أن أؤدّبك، إنّ السادة لا ينبغي لعبيدها أن تؤاكلها، أ فهمت؟فقلت: نعم، قال: فتعال الآن فكل على الأمان فقلت: أكون إذا أوّل من أضاع تأديبك

إياه و استحقّ العقوبة من قريب، فضحك حتى استغرب[5]، ثمّ أمر لي بألف دينار، و مضيت إلى حجرتي المرسومة لي[6]للخدمة، و أتيت هناك بطعام فأكلت، و وضع النّبيذ و دعاني و بعلّوية، فلمّا جلسنا قال له: يا عليّ، أ تغنّي: /

أ لم تقولي: نعم، قالت: أرى و هما # منيّ و هل يؤخذ الإنسان بالوهم![7]

[1]صلى اللحم يصليه صليا: شواه فهو مصليّ، و يقال: أتى بشاة مصليّة.

[2]الغضارة كسحابة: القصعة الكبيرة.

[3]الودك: ما يتحلب من اللحم و الشحم من دسم.

[4]خذف بإصبعه: حركه كأنه يرمي شيئا.

[5]استغرب: بالغ في الضحك.

[6]ف، ما: «المرسومة بي» .

[7]الوهم: السهو أو الخطأ.

فقال: نعم يا سيّدي، فقال: هاته، فغنّاه، فعبس في وجهه و بسر[1]و قال: قبّحك اللّه، أ تغنّي هذا هكذا!ثمّ أقبل عليّ فقال: أ تغنّيه يا مخارق؟ فقلت: نعم يا سيّدي، و علمت أنه أراد أن يستقيد[2]لي من علّوية و يرفع مني، و إلا فما أتى علّوية بما يعاب فيه، فغنّيته، فطرب و شرب رطلا، و أمر لي بعشرة آلاف درهم، و فعل ذلك ثلاث مرّات كما فعل به.

ثمّ أمر بالانصراف فانصرفنا، و ما عاودت بعد ذلك مؤاكلة خليفة إلى وقتنا هذا.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

استقبلت ورق الرّيحان تقطفه # و عنبر الهند و الورديّة الجددا

أ لست تعرفني في الحيّ جارية # و لم أخنك و لم تمدد إليّ يدا

الشعر-فيما يقال-لعمر بن أبي ربيعة، و الغناء للغريض خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، و أصله يماني، و فيه لابن جامع هزج.

صوت

أقول التماس العذر لما ظلمتني # و حمّلتني ذنبا و ما كنت مذنبا

هبيني امرأ إمّا بريئا ظلمته # و إمّا مسيئا قد أناب و أعتبا[3]

الشعر للأحوص، و الغناء لمالك خفيف رمل بالوسطى عن عمرو.

صوت

أ لم تقولي: نعم، قالت: أرى و هما # منّي و هل يؤخذ الإنسان بالوهم!

قولي: نعم، إنّ «لا» -إن قلت-قاتلتي # ما ذا تريدين من قتلي بغير دم!

الغناء لسياط خفيف رمل بالبنصر عن عمرو، و لم يقع إليّ لمن الشّعر.

يتنافس هو و علوية في غناء صوت فيسبق علوية

قال هارون: و حدّثني أبو معاوية الباهليّ، قال:

حضرت علّوية و مخارقا مجتمعين في مجلس، فغنّى علوية صوتا فأحسن فيه و أجاده، فأعاده مخارق و برّز عليه و زاد، فردّه علّوية و تعمّل فيه و اجتهد فزاد على مخارق، فجثا مخارق على ركبتيه و غنّاه و صاح فيه

حتى اهتزّ منكباه، فما ظننّا إلا أنّ الأرض قد زلزلت بنا، و غلب و اللّه ما سمعنا على عقولنا، و نظرت إلى لون علّوية و قد امتقع [1]بسر: أظهر العبوس.

[2]يستقيد لي: يأخذ لي بثأري.

[3]أعتبه: أرضاه بعد العتاب.

و طار دمه، فلمّا فرغ مخارق توقّعنا أن يغنّي علّوية، فما فعل و لا غنّى بقية يومه. قال: و كان مخارق إذا صاح قطع أصحاب النايات.

سأله الأمين أن يغنيه أصواتا فلم يحسن فأرسله إلى إسحاق ليعلمه

أخبرني وسواسة بن الموصليّ، و هو أحمد[1]بن إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، قال: قال لي مخارق: دعاني يوما محمد المخلوع فدخلت عليه و عنده إبراهيم بن المهديّ، فقال: غنّني يا مخارق، فغنّيته أصواتا عديدة، فلم يطرب لها و قال: هذا كله معاد، فغنّني: لقد أزمعت للبين هند زيالها[2]

فقلت: لا و اللّه ما أحسنه، فقال: غنّني: لا و الذي نحرت له البدن

/فقلت: لا و اللّه ما أحسنه، فقال: غنّني: يا دار سعدى سقى أطلالك الدّيما

فقلت: لا و اللّه لا أحسنه، فغضب، و قال: ويلك!أسألك عن ثلاثة أصوات فلا تحسن منها واحدا!فقال له إبراهيم بن المهديّ: و ما ذنبه؟إسحاق أستاذه و عليه يعتمد، و هو يضايقه[3]في صوت يعلّمه إياه، فقلت: قد و اللّه صدق، ما يعطيني شيئا و لا يعلّمنيه، قال: فما دواؤه؟فقد و اللّه أعياني، فقال له إبراهيم: توكّل به من يصبّ على رأسه العذاب حتى يعلّمه مائة صوت، قال: أمّا هذا فبعيد، و لكن اذهب إليه عني فمره أن يعلّمك هذه الثلاثة الأصوات، فإن فعل و إلا فصبّ السّوط على رأسه حتى يعلّمك.

يذهب إلى إسحاق ليعلمه فيكله إلى جارية له

فدخلت إلى إسحاق، فجلست بغير أمره، و سلّمت سلاما منكرا. ثم أقبلت عليه فقلت: يأمرك أمير المؤمنين أن تعلّمني كذا و كذا قال: ما أحسنه، فقلت: إني أنفّذ فيك ما أمرني به، فقال: تنفّذ فيّ ما أمرت به، أ لا تستحي ويحك مني و من تربيتي إياك!قلت: فلا بدّ من أن تعلّمني ما أمرك به أمير المؤمنين، قال: فإني لست أحسنه و لكن فلانة تحسنه، هاتوها. فجاءت و جعلت تطارحني حتى أخذت الأصوات الثّلاثة، و جعل كل من جاء يومئذ لا يحجبه ليروني و جاريته تطارحني.

فلمّا أخذت الأصوات رجعت إلى محمد و أخبرته الخبر و حضر إسحاق، فغنّيته إياها، فطرب، و جعل إبراهيم بن المهديّ يقول: أحسن و اللّه، أحسن و اللّه، فلما فرغت قال إسحاق: لا و اللّه ما أحسن و لا أصاب هو و لا

إبراهيم في استحسانه، و لقد جهدت الجارية جهدها أن يأخذه عنها فلم يتوجّه له، ثم اندفع فغنّاها، فكأني و اللّه كنت ألعب عند ما سمعت.

/ثم أقبل على إبراهيم بن المهديّ فقال له: كم أقول لك: ليس هذا من علمك و لا ممّا تحسنه و أنت تكابر [1]ف: «و هو ابن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم» .

[2]ف: «زوالها» .

[3]س: «و هو يطابقه» .

و تدخل نفسك فيما لا تحسنه!فقال: أ لا تراه يا أمير المؤمنين يصيّرني مغنّيا!فقال له إسحاق: و لم تجحد ذلك!أ و أسررت إليّ منه شيئا لم تظهره للناس و تعلّمهم إياه!و متى صرت تأنف من هذا و أنت تتبجح به!فليتك تحسنه، و اللّه ما تفرق بين الخطأ و الصواب فيه، و إن شئت الآن ألقيت عليك ثلاثين مسألة من أيّ علم شئت، فإن أجبت في واحدة منهن و إلاّ علمت أنك متكلّف. فقال: يا أمير المؤمنين يستقبلني بهذا بين يديك! قال[1]: و ما هذا مما لا أستقبلك به؟فقال له محمد: نعم اختر ما شئت حتى نسألك عنه فقال: إنما يفعل هذا الصبيان[2]، و انكسر حتى رحمته، فقلت لمحمد: يا أمير المؤمنين لعلك ترى مع هذا القول أنه لا يحسن، بلى و اللّه إنه ليحسن كلّ شيء و ما يقدر أحد أن يقول هذا غيري، و إنه ليتقدّم كثيرا من الناس في كل شيء، فجعل محمد يضحك و هو يقول، تشجّه بيد و تدهنه بيد، و تجرّحه بيد و تأسوه بيد!.

نسبة هذه الأصوات

صوت

لقد أزمعت للبين هند زيالها # و زمّوا[3]إلى أرض العراق جمالها

فما ظبية أدماء واضحة القرا # تنصّ إلى برد الظّلال غزالها[4]

/تحتّ بقرنيها برير أراكة # و تعطو بظلفيها إذا الغصن طالها[5]

بأحسن منها مقلة و مقلّدا # و جيدا إذا دانت تنوط شكالها[6]

الشّعر لكثيّر، و الغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو، و فيه لابن سريج في الثّالث و الثّاني ثقيل أول بالسّبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق، و لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، في الثّاني ثمّ في الثّالث، و في كتاب حكم: لحكم فيه خفيف ثقيل، و عن حبش لطويس فيه رمل بالوسطى، و ذكر أيضا أن لحن معبد ثاني ثقيل.

صوت[7]

يا دار سعدى سقى أطلالك الدّيما # مسقي الرّوايا و إن هيّجت لي سقما

دار خلت و عفت منها معالمها # إلاّ الثّمام و إلاّ النّؤي و الحمما[8]

الغناء لقفا النّجّار ثقيل أول بالوسطى عن عمرو و الهشاميّ و إبراهيم.

[1]ف: «فقلت» .

[2]ف: «بالصبيان» .

[3]يقال: زمّ القوم: تقدّمهم كأنه زمام. و زموا جمالها: أرسلوها متقدمة.

[4]القرا: الظهر. و النص من الشيء: منتهاه و مبلغ أقصاه. و تنص غزالها: تستحثه.

[5]البرير: ثمر الأراك. و تعطو بظلفيها: ترتفع بهما. و طالها ارتفع عنها.

[6]تنوط: تعلق. الشكال: وثاق بين الحقب و البطان و بين اليد و الرجل.

[7]في ف جاء هذا الصوت تاليا للذي بعد.

[8]الثمام: نبت ضعيف لا يطول. و النؤي: الحفير حول الخيمة يمنع السيل. و الحمم جمع حمة و هو الفحم و كل ما احترق بالنار.

صوت

لا و الذي نحرت له البدن # و له بمكّة قبّل الرّكن

ما زلت يا سكني أخا أرق # متكنّفا بي الهمّ و الحزن

أخشى عليك و بعضه شفق # أن يفتنوك و أنت مفتتن

الغناء لابن سريج رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، عن إسحاق/و ذكر الهشاميّ أنه لسليمان الوادي أوله فيه لحن، و نسبه إبراهيم إلى ابن عبّاد و لم يجنّسه.

أخبرني عمّي: حدّثنا أحمد بن أبي طاهر، قال: حدّثني عبد الوهّاب المؤذّن، قال: انحدرنا مع المعتصم من السنّ[1]و نحن في حرّاقته[2]، و حضر وقت الأذان فأذّنت، فلما فرغت من الأذان اندفع مخارق بعدي فأذّن و هو جاث على ركبتيه، فتمنيت و اللّه أن دجلة أهرقت[3]لي فغرقت فيها.

غضب عليه المعتصم ثم صالحه و أعاده إلى مرتبته

أخبرني عمّي، قال: حدّثني عبد اللّه بن عبد اللّه بن حمدون، قال: حدّثني أبي، قال: غضب المعتصم على مخارق فأمر به أن يجعل في المؤذّنين و يلزمهم، ففعل ذلك، و أمهل حتى علم أنّ المعتصم يشرب و أذّنت العصر، فدخل هو إلى السّتر حيث يقف المؤذّن للسلام، ثمّ رفع صوته جهده و قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين و رحمة اللّه و بركاته، الصّلاة يرحمك اللّه، فبكى حتى جرت دموعه، و بكى كلّ من حضره، ثمّ قال: أدخلوه إليّ، ثم أقبل علينا و قال: سمعتم هكذا قطّ!هذا الشيطان لا يترك أحدا يغضب عليه، فأمر به فأدخل إليه، فقبّل الأرض بين يديه، فدعاه المعتصم إليه و أعطاه يده فقبّلها، و أمره بإحضار عوده فأحضر، فأعاده إلى مرتبته.

إسحاق الموصلي يبدي رأيه في علوية و مخارق

وجدت في بعض الكتب، عن عليّ بن محمد[4]البسّاميّ، عن جدّه حمدون بن إسماعيل قال: /غنّى علّوية يوما بين يدي إسحاق الموصليّ: هجرتك إشفاقا عليك من الأذى # و خوف الأعادي و اتّقاء النّمائم

فقال له إسحاق: أحسنت يا أبا الحسن أحسنت، و استعاده ثلاثا و شرب، فقال له علّوية: يا أستاذ، أين أنا الآن من صاحبي-يعني مخارقا-مع قولك هذا لي؟فقال: لا ترد أن تعرف هذا، قال: بي و اللّه إلى معرفته أعظم

الحاجة، فقال: إذا غنيتما ملكا اختاره عليك و أعطاه الجائزة دونك، فضجر علّوية و قال لإسحاق: أفّ من رضاك و غضبك!.

[1]السنّ: مدينة على دجلة.

[2]الحرّاقة: سفينة خفيفة المر.

[3]س، ف: «انفرقت» .

[4]ف: «عن علي بن البسامي» .

نسبة هذا الصوت

صوت

هجرتك إشفاقا عليك من الأذى # و خوف الأعادي و اتّقاء النمائم

و إنّي و ذاك الهجر لو تعلمينه # كسالية عن طفلها و هي رائم[1]

الشّعر لهلال بن عمرو الأسديّ، و الغناء لعلّوية ثقيل أوّل بالوسطى، عن عمرو.

رأي أبي يعقوب الخريمي في علوية و مخارق

و قال الجاحظ: قال أبو يعقوب الخريميّ[2]:

ما رأيت كثلاثة رجال كانوا يأكلون النّاس أكلا، حتى إذا رأوا ثلاثة رجال ذابوا كما يذوب الرّصاص على النّار: كان هشام بن الكلبيّ علّامة نسّابة و راوية للمثالب عيّابة، فإذا رأى الهيثم بن عديّ ذاب كما يذوب الرّصاص، و كان عليّ بن الهيثم جونقا مفقعا[3]نيّا صاحب تقعّر يستولي على كل كلام، لا يحفل بخطيب و لا شاعر، فإذا رأى موسى الضّبيّ/ذاب كما يذوب الرّصاص، و كان علّوية واحد الناس في الغناء رواية و حكاية و دراية و صنعة و جودة ضرب و أضراب و حسن خلق، فإذا رأى مخارقا ذاب كما يذوب الرّصاص على النار.

حج في السنة التي حجت فيها أم جعفر بسبب جاريتها بهار

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب، عن ابن خرداذبه قال:

هوي مخارق جارية لأمّ جعفر، فحجّ في السنة التي حجت فيها أمّ جعفر بسبب الجارية، فقال أحمد بن هشام فيه: يحجّ النّاس من برّ و تقوى # و حجّ أبي المهنّا للتّصابي

وهب المعتصم دار مخارق ليونازة خليفة الأفشين فقال عيسى ابن زينب شعرا في ذلك

قال: و كان المعتصم قد وهب دار مخارق لمّا قدم بغداد ليونازة خليفة الأفشين، فقال عيسى ابن زينب في ذلك: يا دار غيّر رسمها يونازه # و بقي مخارق قاعدا في فازه[4]

لا تجزعنّ أبا المهنّا إنّها # دنيا تنال بذلّة و عزازه

أم جعفر تهب له جاريتها بهار

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ، قال: حدّثنا عمر بن شبّة، و حدّثني محمد بن يحيى الصّوليّ، قال: [1]رائم من رأمت الناقة ولدها: عطفت عليه، فهي رائم. و في الشعر إقواء لاختلاف حركة الروي بالرفع في هذا البيت، و الجر في البيت الذي قبله.

[2]ف: «قال أبو عمرو الخريمي» .

[3]المفقع: الفقير المجهود، و جونقا: لقب له.

[4]الفازة: مظلة من نسيج أو غيره تمد على عمود أو عمودين.

وجدت بخطّ عبد اللّه بن الحسين: حدثني الحسن بن إبراهيم بن رياح، قالا: كان مخارق يهوى جارية لأم جعفر يقال لها بهار[1]، و يستر ذلك عن أمّ جعفر، حتى بلغها ذلك، فأقصته و منعته من المرور ببابها، و كان بها كلفا. قال الصّوليّ في خبره: فلما علم أن الخبر قد بلغ أمّ جعفر قطعها و تجافاها؛ إجلالا لأم جعفر، و طمعا في السلوّ عنها، و ضاق ذرعه بذلك، فبينا/هو ذات ليلة في زلاّل[2]، و قد انصرف من دار المأمون، و أمّ جعفر تشرب على دجلة، إذ حاذى دارها، فرأى الشمع يزهر فيها، فلما صار بمسمع منها و مرأى اندفع فغنّى:

صوت

إن تمنعوني ممرّي قرب دارهم # فسوف أنظر من بعد إلى الدّار

سيما الهوى شهرت حتى عرفت بها # أنّي محبّ و ما بالحبّ من عار

ما ضرّ جيرانكم-و اللّه يصلحهم # لو لا شقائي-إقبالي و إدباري

لا يقدرون على منعي و لو جهدوا # إذا مررت و تسليمي بإضماري

الشعر للعباس بن الأحنف، و الغناء لمخارق رمل بالوسطى.

فقالت أمّ جعفر: مخارق و اللّه، ردّوه، فصاحوا بملاّحه: قدّم، فقدّم، و أمره الخدم بالصّعود، فصعد، و أمرت له أمّ جعفر بكرسيّ و صينيّة فيها نبيذ، فشرب، و خلعت عليه، و أمرت الجواري فغنّين، ثمّ ضربن عليه فغنّى فكان أوّل ما غنّى:

صوت

أغيب عنك بودّ ما يغيّره # نأي المحلّ و لا صرف من الزمن

فإن أعش فلعلّ الدّهر يجمعنا # و إن أمت فقتيل الهمّ و الحزن

قد حسّن اللّه في عينيّ ما صنعت # حتّى أرى حسنا ما ليس بالحسن

الشّعر للعبّاس بن الأحنف، و الغناء لمخارق رمل.

/قال: فاندفعت بهار فغنّت كأنها تباينه، و إنما أجابته عن معنى ما عرّض لها به: تعتلّ بالشّغل عنا ما تلمّ بنا # و الشّغل للقلب ليس الشّغل للبدن

ففطنت أمّ جعفر أنها خاطبته في نفسها، فضحكت و قالت: ما سمعنا بأملح ممّا صنعتما، و قال إسماعيل بن يونس في خبره: و وهبتها له.

غنّى المأمون حين قدم مكة أحدث صوت صنعه

و قال هارون بن الزّيات:

[1]ف، س: «نهار» .

[2]زلال: شبه قارب يسير في النهر.

حدّثني هارون بن مخارق عن أبيه: أنّ المأمون سأله لما قدم مكة عن أحدث صوت صنعه، فغنّاه:

صوت

أقبلت تحصب الجمار و أقبلـ # ت لرمي الجمار من عرفات

ليتني كنت في الجمار أنا المحـ # صوب[1]من كفّ زينب حصيات

الشّعر للنّميريّ، و الغناء لمخارق خفيف رمل بالبنصر، قال: فضحك، ثمّ قال: لعمري إن هذا لأحدث ما صنعت، و لقد قنعت بيسير، و ما أظنّ بهار كانت تبخل عليك بأن تحصبك بحصاة كما تحصب الجمار. و استعاده الصوت مرّات.

غنى بشعر للمأمون في جارية له فأبكاه

أخبرني جعفر بن قدامة قال:

حدّثني هارون بن مخارق، قال: حدثني أبي، قال: كنّا عند المأمون يوما، فجاءه الخادم الحرميّ فأسرّ إليه شيئا، فوثب فدخل معه، ثمّ أبطأ علينا ساعة و عاود و عينه تذرف، فقال لنا: دخلت الساعة إلى جارية لي كنت أتحظّاها، فوجدتها/في الموت، فسلّمت عليها فلم تستطع ردّ السّلام إلا إيماء بإصبعها، فقلت هذين البيتين: سلام على من لم يطق عند بينه # سلاما، فأومى بالبنان المخضّب

فما اسطعت توديعا له بسوى البكا # و ذلك جهد المستهام المعذّب

ثمّ قال: غنّ فيها يا مخارق، ففعلت، فما استعادني ذلك الغناء قطّ إلا بكى.

حج رجل معه و غناه صوتا فوهب له حجته

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ إجازة، قال: حدّثني أحمد بن أبي العلاء، قال: حدّثني أبي، قال: حجّ رجل مع مخارق، فلما قضيا الحجّ و عادا، قال له الرّجل في بعض طريقه: بحقّي عليك غنّني صوتا، فغنّاه: رحلنا فشرّقنا و راحوا فغرّبوا # ففاضت لروعات الفراق عيون

فرفع الرجل يده إلى السماء و قال: اللهمّ إني أشهدك أنّي قد وهبت[2]حجّتي له.

وفاته

و توفّي مخارق في أوّل خلافة المتوكّل، و قيل: بل في آخر خلافة الواثق، و ذكر ابن خرداذبه أن سبب وفاته أنه كان أكل قنّبيطيّة باردة فقتلته من فوره[3].

[1]ف:

«ليتني في الجمار كنت أنا المحصوب»

.

[2]ف: «وجهت حجتي له» .

[3]ف: «فقتلته من يومه» .

صوت

إذا متّ فادفنّي إلى جنب كرمة # تروّي مشاشي[1]بعد موتي عروقها

و لا تدفنّي[2]بالفلاة فإنّني # أخاف إذا ما متّ ألاّ أذوقها

عروضه من الطويل، و يروى:

إذا رحت مدفونا فلست أذوقها

الشعر لأبي محجن الثقفيّ، و الغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو، و فيه لحنين لحن ذكره إبراهيم و لم يجنّسه.

إلى هنا انتهى الجزء الثامن عشر من كتاب الأغاني، و يليه الجزء التاسع عشر، و أوله «ذكر أبي محجن و نسبه» .

[1]المشاش: العظم.

[2]في هذا البيت إقواء، و بالرواية الأخرى لا إقواء فيه.

فهرس موضوعات الجزء الثامن عشر

الموضوع الصفحة
ذكر ذي الرمة و خبره 259
ذكر خبر إبراهيم 293
ذكر مقتل الزبير و خبره 297
ذكر أخبار دنانير و أخبار عقيد 304
أخبار خفاف و نسبه 310
أخبار جبهاء و نسبه 322
أخبار والبة بن الحباب 325
أخبار عمران بن حطان و نسبه 330
أخبار عمارة بن الوليد و نسبه 338
أخبار الأضبط و نسبه 342
أخبار الأعشى و نسبه 344
أخبار عمرو بن قميئة و نسبه 348
أخبار المؤمل بن جميل 353
أخبار مساور و نسبه 355
أخبار سعيد بن حميد و نسبه 359
أخبار ابن مناذر و نسبه 369
نسب أشجع و أخباره 397
أخبار ابن مفرغ و نسبه 425
أخبار الزبير بن دحمان 454
نسب العماني و خبره 461
أخبار عروة بن أذينة و نسبه 468
ذكر مخارق و أخباره 477

فهرس الموضوعات 503